مسوغات المحدثين في الرواية عن الضعفاء

محمد بن عبدالله حيّاني

كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الملك فيصل - الأحساء

ملخص البحث :

في الوقت الذي تردد فيه صدى الإنكار على المحدثين في عصرنا الحاضر جاء هذا البحث ليوضح حرص المحدثين على الرواية عن الثقات قولاً وفعلاً من جهة ، ثم تحذيراً من الرواية الضعيفة من جهة أخرى ، مميزين إياها ومعلنين عنها بضوابط علمية كي لا يختلط أمرها على الناس .

وبما أن المحدث قد يضطر إلى الرواية عن الضعفاء لمسوغات علمية بعيداً عن التساهل لهذا وذاك وضح البحث تلك الضوابط والمسوغات ، ليكون ذلك رداً على المستشرقين الذين حاولوا - من غير جدوى - فتح ثغرات على المحدثين وخاصة من جهة روايتهم عن الضعفاء ، وإيضاحاً لمن تأثر بهم من المثقفين من أبناء جلدتنا .

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليسوغ به استقرار الحياة ، وصلى الله وسلم على نبيّه الناطق بالحكمة والصواب ، وصاغ للأمة منهج ازدهار الحياة ، فقام أصحابه بواجب هذا المنهج خير قيام ، رضي الله عنهم ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

أمّا بعد :

فإنه لما كانت السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله عزّ وجل لم يسبق المسلمين أحد في اهتمامهم بها كمنهج ربهم ونظام حياتهم حيث شيّدوا منهجاً للحفاظ عليها وتصفيتها من الصالح للاحتجاج مما سواه لتكون مساغاً لكل وارد وضياءً لكل مقتبس .

والناظر في كتب السنة من غير المتخصصين في علومها ربما رابه رواية المحدثين أحياناً عن الضعفاء وكتابتهم أحاديث الكذّابين ؛ وقد تردد على سمعي ما يفيد ذلك مراراً ، فشدّني ذلك إلى الأخذ بالعزم على جمع المسوّغات العلمية المنهجية التي حملتهم على ذلك ، مما وصلت إليه يدي ، كي يظهر للقارئ أن تصرّفهم ذلك إنما كان بمسوّغ منهجي لا تهاوناً واستهتاراً .

والله أسأل تمام التوفيق والسداد، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، إنه سميعٌ مجيب ، والحمد لله رب العلمين، وصلى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد :

لم يسبق في تاريخ العلم منهج أقوم وأدق وأضبط من منهج المحدثين الذي وضعوه للحفاظ على السنة المطهرة ، وتمييز الصالح منها للاحتجاج من غيره ، والمنع من أي دخيل معكر .

انطلق المحدثون في تشييد هذا المنهج من الحرص على السماع من الثقات بعد التعرف إلى أحوالهم عن كثب - مهما شق ذلك عليهم - ليتوثقوا من عدالة الراوي وضبطه ، فإذا ثبت لديهم ذلك عرّفوا به وأشهروه واحتجوا بحديثه ، أما إن ثبت لديهم عكس ذلك شهّروا به وكتبوا عنه - ما دام يروي ويحدث - وحفظوا حديثه ، وصنفوه في كتب مخصوصة للتعريف به وتمييزه كي لا يشتبه أمره على الناس .

في ساحة هذا الواقع كان هناك رواة ضعفاء لكن

ضعفهم غير شديد فلم يعتنق المحدثون أحاديثهم كالأحاديث الصحيحة التي يرويها الثقات ولم يطرحوها نهائياً ، بل تعاملوا معها بما يمليه المنطق العلمي السديد ، حيث عملوا على تصفيتها من كل ما لا يصلح للحجية واستخلاص ما يصلح بعد اجتماع وتضافر المتابعات والشواهد، أو انتقاء ما يصلح للحجية مما وافق فيه الضعيف رواية الثقات والأصول العامة في الشرع ، بالإضافة إلى مسوغات علمية متعددة كانت قنوات التصفية والانتخاب من تلك الأحاديث ليصب المستخلص منها في رياض السنة الصالحة للاحتجاج في الأحكام أو الفضائل.

إن الذهب عندما يستخرج من باطن الأرض فمنه ما يخرج صافياً خالصاً ومنها ما يشوبه كدر ، وهذا الأخير لا يطرح بالكلية لأن طرحه تفريط شديد وتهور ، لذا يخضع للتصفية عبر عملية تحليلية مناسبة ليستخلص منه الخالص ويطرح الكدر بعد ذلك .

إن تعامل المحدثين مع الرواية الضعيفة بالاستخلاص والتصفية والانتقاء عبر ضوابط علمية إنما هو عمل علمي دقيق ينبع من الحرص والأصالة العلمية .

رغم ذلك فقد روى المحدثون الضعيف أحياناً لكن مع الإعلام عنه بذكر الإسناد ، وذلك اصطلاح علمي توافق عليه علماء تلك العصور وعرف بينهم ، ثم في العصور اللاحقة لم يعد لهذا الاصطلاح فائدة وموضع ، حينئذ نبه علماء تلك العصور على ترك ذلك الاصطلاح والعودة إلى الإعلام عن الرواية الضعيفة ، بتحديد مواطن الضعف وسببه .

وسيتضح للقارئ في هذا المقال مدى حرص المحدثين على الرواية عن الثقات ومجانبة الضعفاء ، ثم المسوغات العلمية التي خولت المحدثين رواية الضعيف .

لذا على كل قارئ وباحث في كتب السنة إذا عثر على راوٍ ضعيف أن لا يتعجل بالحكم ، وإنما عليه أن يتحقق من ضعف الراوي والرواية في ضوء تلك المسوغات؛ فليس كل من طُعن فيه هو ضعيف بذلك الطعن ، وليس كل راوٍ ضعيف تكون جميع مروياته ضعيفة ، وإلا كان مجازفاً جارحاً نفسه .

المبحث الأول- حرص المحدثين في الرواية عن الثقات:

المطلب الأول – الدافع الديني إلى حرصهم :

يتمثل الدافع الديني في حرصهم على الرواية عن الثقات فيما يلي :

١ – أمر الله عز وجل بالتثبت في الرواية .

٢ – أمر النبي ﷺ بذلك .

٣ – فعل الصحابة رضي الله عنهم وفق ذلك .

أما أمر الله عز وجل بذلك :

فقد قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (٣) .

فدلت الآيات الكريمة على أن خبر الفاسق ساقط ، ولو كان مقبولاً لما احتاج إلى تبيّن وتثبت .

كما دلت على أن شهادة غير العدل مردودة ، وبناءً على ذلك فلا معنى للاشتغال بمروياتهما بحال ، لذا فالاهتمام بأخبار الثقات فحسب هو المتعين .

قال الإمام مسلم رحمه الله بعد استدلاله بالآيات السابقة على التثبت : (فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول ، وأن شهادة غير العدل مردودة، والخبر وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه فقد يجتمعان في أعظم معانيهما ، إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم ، كما أن شهادته مردودة عند جميعهم)(٤) .

أما أمر النبي ﷺ بذلك : فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن تعمد الكذب عليه، منبهاً على عظيم خطر هذه الجريمة بقوله: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»(٥).

ثم نهى عن رواية ما يُعتقد أو يُظن كذبه على النبي ﷺ منبهاً إلى خطورة ذلك فقال : «من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين»[٦].

فقد نبه عليه الصلاة والسلام إلى خطورة ما يظن كذبه ليدخل في النهي ما يحتمل أن يؤدي إليه سداً للذريعة، فالمحدث إذا تهاون في الرواية عن الضعفاء والمتروكين مناكيرهم وهياتهم فلا يستبعد أن يتهاون في الرواية عن الكذابين كذبهم .

والذي يؤكد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» [٧].

قال الإمام ابن عبدالبر : (إن كل من حدث بكل ما سمع من ثقة وغير ثقة لم يؤمَن عليه أن يحدث بالكذب)[٨].

لأن الإنسان تسمع أذنه الصدق والكذب فلو حدث بكل ما سمع لم يسلم من الكذب حينئذ .

ثم حذر عليه الصلاة والسلام من الكذابين عليه ليزيد الأمر حيطة فقال : «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم»[٩].

أما فعل الصحابة – رضي الله عنهم – وفق أمر الشرع فيتجلى في تثبتهم في الرواية ، فعن قُبيصة بن ذُويب رضي الله عنه : أن الجدة جاءت أبا بكر تلتمس أن تورَّث ، فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ، ولكن أسأل الناس، فسألهم فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال : كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال له : هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه[١٠].

فلم يكتف أبو بكر رضي الله عنه برواية المغيرة بن شعبة وهو صحابي حتى شهد معه صحابي آخر شاركه في سماع الخبر من النبي ﷺ .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله : (كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار)[١١] . وكذلك كان عمر رضي الله عنه يتثبت في الرواية .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله : (هو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب)[١٢] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع، فأرسل عمر في أثره فقال : لم رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» . فقال : لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك ، فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس، فقلنا : ما شأنك؟ فأخبرنا ، فقال : هل سمع أحد منكم معي ؟ فقلنا : نعم كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره[١٣].

وعن بسر بن سعيد قال : أتى عثمان المقاعد ، فدعا بوَضوء فتمضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ويديه ثلاثاً ، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ هكذا يتوضأ ، يا هؤلاء أكذاك ؟ قالوا : نعم ، لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ عنده[١٤].

فلم يقتصر رضي الله عنه على رؤيته وضوء رسول الله ﷺ وإنما تثبت من جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ رأوا وضوء النبي ﷺ أيضاً .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني غيره استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وإن أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع النبي ﷺ قال : ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له [١٥].

لقد كانت طريقة الإمام علي رضي الله عنه في التثبت في الرواية أنه يطلب اليمين ممن حدثه عن النبي ﷺ.

وأخرج الإمام[16] مسلم بإسناده عن مجاهد بن جبر المكي رحمه الله قال : جاء بُشير بن كعب العدوي إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ. ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف .

لقد أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على بشير الإرسال ، لأنه تابعي يقول : قال رسول الله ﷺ. لذا جعل يطلب منه إعادة ما يرويه لعله يسنده ويعرف حال الواسطة بينه وبين النبي ﷺ لو كان تابعياً.

وعن الحسن البصري رحمه الله أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا فحدث سمرة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين : سكتة إذا كبر ، وسكتة إذا فرغ من قراءة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فحفظ ذلك سمرة ، وأنكر عليه عمران بن حصين ، فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب - بالمدينة - فكان في كتابه إليهما : أن سمرة قد حفظ[17].

إن تثبت الصحابة رضي الله عنهم بطلب الشاهد أو اليمين ليس خوفاً من الكذب ، لأن جميع الصحابة - رضي الله عنهم - عدول بتعديل الله لهم [18]، وإنما خوفاً من خطأ الذاكرة لا أكثر .

ولم يقتصر الصحابة - رضي الله عنهم - على التثبت في تحمل الحديث عن النبي ﷺ ، وإنما تحروا فيه حال أدائه وروايته ؛ أخرج الإمام البخاري[19] في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، وقال علي - رضي الله عنه - حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن معروف ابن خَرَّبوذ عن أبي الطفيل ، عن علي بذلك .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله معقباً على هذا الحديث : (فقد زجر الإمام علي عن رواية المنكر ، وحث على التحديث بالمشهور ، وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرقائق ، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان في معرفة الرجال)[20] .

وللحديث دلالة أخرى وهي : أن على المحدث أن يراعي حال السامع فلا يحدثه إلا بما يعقله ويفهمه دفعاً للضرر .

قال الحافظ الذهبي : (قال شُرّاح هذا الأثر : إنما قال الإمام علي ذلك ، لأن الإنسان إذا سمع ما لا يفهمه ، أو ما لا يتصور إمكانه ، اعتقد استحالته جهلاً ، فلا يصدق بوجوده ، فإذا أسند إلى الله تعالى أو رسوله عليه السلام لزم المحذور ، ويُكذَّب)[21].

وأخرج مسلم في مقدمة صحيحه[22] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) .

وفي توجيه النظر : (وقد فُهم من هذين الأثرين - علي وابن مسعود رضي الله عنهما - أن المحدث يجب عليه أن يراعي حال من يحدثهم ، فإذا كان فيما ثبت عنده ما لا تصل إليه أفهامهم وجب عليه ترك تحديثهم به دفعاً للضرر، فليس كل حديث يجب نشره لجميع الناس كما يتوهمه الأغمار)[23] .

ومما تقدم يتضح أن التثبت في الرواية أمر يتعلق بالدين ، وما يتعلق بالمهم فهو مهم ، وإذا بلغ الصحابة رضوان الله عليهم هذا القدر من التثبت والتحري وهم عدول فكيف بمن بعدهم ؟

من هذا وذاك انطلق المحدثون في التحري والتثبت ، ودققوا في هذا الباب وفتشوا عن الرجال ، وتكلموا فيهم ومن ذلك نشأ علم الجرح والتعديل .

المطلب الثاني – الدليل العقلي على حرصهم :

لا يتصور من أي عاقل أن يهدر طاقته ، أو يضيّع إمكانيته ، وثمرة جهده .

ولا يتصور من أي أمة أن تضيّع تراثها المنهجي العلمي والحضاري ، ما دامت تحتضن عقولاً واعية وتزخر بعلماء أجلاء .

لذا جرت العادة أن يقوم علماؤها بالحفاظ على تراثها بالطرق المناسبة والمنضبطة ما أمكنها ، لأن تراث كل أمة يمثل كيانها وشخصيتها الذي تسعى إلى تحقيقه وتدأب في الحفاظ عليه .

وإذا كان كذلك فهذه الأمة أولى الأمم بذلك ، لأن دافع الحفاظ على تراثها جعله الله مطلباً دينياً ليتم لمنهجها السماوي حياته المتألقة حتى قيام الساعة ، سواء عملت به الأمة أو تهاونت به ، أو رفضته ، نظراً للفرق بين الإسلام كمنهج وبين المسلم الذي يطبق المنهج أو يتهاون فيه ، لذا لو تهاون السلف في الرواية – التي هي السبب في التعريف بهذا المنهج وإظهاره بصورته الواضحة – دون عناية وتثبت وتمييز لما قام منهج الإسلام بأحكامه .

المبحث الثاني – مسوغات كتابتهم عن الوضاعين:

المطلب الأول – بين يدي المسوغات :

مع تحريم المحدثين الرواية عن الكذابين ، وتحذيرهم وعيبهم الرواية عن المتروكين والضعفاء كتبوا عنهم ، ولكن لمسوغات علمية هادفة بعيداً عن التناقض في أنفسهم ، والتساهل في الرواية.

أما رواية غير المحدثين لها ، فلم يكن لهم بذلك مسوغات المحدثين المتعددة وإنما مجرد الجمع في القصة والمعنى والباب ما ورد في ذلك من آثار ، والاحتجاج للمسألة الفقهية ما وقعت اليد عليه دون تمييز بين صحيح أو حسن أو ضعيف أو موضوع مكتفين بذكر الإسناد عن بيان الحال تبرئة للعهدة .

وسأذكر في هذا الفصل المسوغات التي دفعت المحدثين إلى ذلك .

المطلب الثاني – مسوغات الكتابة عن الوضاعين :

١ – للتعريف بها كي لا تقلب : بحيث لا تبدل أسانيدها الموضوعة بأسانيد صالحة :

قد يكتبون أحاديث الوضاعين كي لا تبدل أسانيدها المشتملة على الكذابين بأسانيد صالحة، ولا ينكشف أمرها للعامة وغير المختصين .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (عادة المحدثين يروون ما في الباب لأجل المعرفة بذلك ، وإن كان لا يحتج من ذلك إلا ببعضه)[٢٤] .

يريد بالبعض الذي يحتج به الضعيف الذي تعددت طرقه.

وقال أبو يعلى الخليلي رحمه الله : (ومن لا معرفة له إذا نظر إلى الضعاف الكذابين الذين وضعوا الأحاديث وجدها قريبة الإسناد ، وظنها ما يعبأ به ، وإن جماعة كذابين رووا عن أنس ولم يروه ، كأبي هُدبة – إبراهيم ابن هُدبة البصري – ودينار – أبو مكِّيس – وموسى بن عبد الله الطويل ، وخِراش – بن عبد الله ، وهؤلاء وأمثالهم لا يدخلهم الحفاظ في كتبهم ، وإنما يكتبونه اعتباراً ليميزوه عن الصحيح)[٢٥] .

وفي تهذيب التهذيب[٢٦]، ترجمة على بن الحَزَوَّر الكوفي ، قال الساجي : عنده مناكير ، وقال يعقوب بن سفيان: لا يكتب حديثه ولا يذكر إلا للمعرفة.

وفي تهذيب التهذيب[٢٧] ، ترجمة عيسى بن قِرْطاج الكوفي ، قال يعقوب بن سفيان : لا يذكر حديثه ولا يكتب إلا للمعرفة .

وفي تهذيب التهذيب[٢٨]، ترجمة جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوي ، قال محمد بن رافع : رأيت أحمد بن حنبل في مجلس يزيد بن هارون ومعه كتاب زهير عن جابر الجعفي ، فقلت : يا أبا عبد الله تنهوننا عن جابر وتكتبونه ؟ قال : لنعرفه .

وفي تهذيب التهذيب [٢٩]، ترجمة يحيى بن أبي أنيسة زيد ، وقيل : أسامة الغَنَوي : ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة والكبار ، وقال يعقوب بن سفيان : ضعيف لا يكتب حديثه إلا للمعرفة.

وفي التمهيد[٣٠]، ذكر الإمام ابن عبد البر حديث بقية ابن الوليد المدلس عن أبي العلاء عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم قال : هذا حديث انفرد به بقية عن أبي العلاء وهو إسناد فيه ضعف لا تقوم به حجة ، ولكن ذكرناه ليعرف.

وقال الإمام ابن منده : بلغني أن أبا زرعة قال : أنا أحفظ ستمائة ألف حديث صحيح وأربعة عشر ألف إسناد في التفسير والقراءات وعشرة آلاف حديث مزورة . قيل له: ما بال المزورة تحفظ ؟ قال: إذا مر بي منها حديث عرفته[٣١].

٢ – على سبيل التعجب والإنكار :

قال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عن رواية الثقات عن رجل مما تُقوي حديثه ؟ قال : أي لعمري . قلت : محمد بن السائب الكلبي روى الثوري عنه ؟ قال : إنما ذلك إذا لم يتكلم فيه العلماء ، وكان الكلبي يُتكلم فيه . قلت فما معنى رواية الثوري عنه وهو غير ثقة عنده ؟ قال : كان الثوري يذكر الرواية عن الكلبي على الإنكار والتعجب فيعلقون عنه روايته عنه ، ولم تكن روايته عن الكلبي قبوله[٣٢] له .

وفي تهذيب التهذيب[٣٣] ، ترجمة طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي ، قال ابن حبان : كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم ، لا يحل كتب حديثه ، ولا الرواية عنه ، إلا على جهة التعجب .

وفي تهذيب التهذيب[٣٤] ، ترجمة عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير الزبيري ، قال ابن حبان: كان يروي الموضوعات عن الثقات ، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب .

وفي تهذيب التهذيب[٣٥] ، ترجمة عُمارة بن جُوَين ، أبو هارون العبدي البصري ، قال ابن حبان:كان يروي عن أبي سعيد ما ليس من حديثه ، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب .

٣ – للقدح فيه :

قد يكتبون ، أو يروون عن كذاب أو متهم حديثاً على جهة القدح فيه ، فكأن حديثه المكذوب علامةٌ دالة على كذب راويه ، وذلك إعلام منهم ، وكشف لهذا الكذاب بهذه الطريقة ، لأن أهل زمانهم من المحدثين يعرفون حقيقة الأمر بمجرد رواية الإسناد .

ففي تهذيب التهذيب [٣٦]، ترجمة محمد بن زياد اليشكري الطحان الكوفي ، قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يحل ذكر حديثه في الكتب إلا على جهة القدح فيه .

وفي تهذيب التهذيب[٣٧] ، ترجمة محمد بن سعيد بن حسان المصلوب الشامي ، قال ابن حبان : كان يضع الحديث ، لا يحل ذكره إلا على وجه القدح فيه .

المبحث الثالث – مسوغات روايتهم عن الضعفاء:

المبحث الأول – مسوغات الرواية عن الضعفاء :

اختلافُ المحدثين في جرح الراوي وتعديله :

قد يكون الراوي عند محدث ضعيفاً وعند آخر ثقة ، لأن الحكم على الراوي بكونه ثقةً أو ضعيفاً أمر يتوقف على مدى اطلاع العالم على أحوال الراوي عن كثب ، والعلماء يتفاوتون في ذلك لاختلاف الأوطان ، أو للتفاوت في المدة الزمنية التي صاحبوا فيها الراوي ، لذا قد يطلع

عالم على حال من الراوي لا يطلع عليه الآخر وهذا كثير ، وقد يكون سبب الاختلاف في الراوي هو التفاوت العلمي بينهم كالاختلاف فيما يجرح وما لا يجرح ، لذا كان منهم المتشدد ، والمتوسط ، والمتساهل في الجرح والتعديل .

وأيضا قد يشترط أحدهم شرطاً لصحة الحديث لا يشترطه الآخر ، قال شيخ الإسلام رحمه الله في معرض اعتذاره عن اختلاف العلماء في اجتهادهم الفقهي ، وذكر لذلك سببين ثم قال : (السبب الثالث : اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره ، مع قطع النظر عن طريق آخر ، ولذلك أسباب ، منها : أن يكون المحدث بالحديث يعتقد أحدهما ضعيفاً ، ويعتقده الآخر ثقة ، ومعرفة الرجال علم واسع ، وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الإجماع والاختلاف مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم .

ومنها : أن لا يعتقد أن المحدث سمع الحديث ممن حدث عنه ، وغيره يعتقد أنه سمعه لأسباب توجب ذلك معروفة .

ومنها : أن يكون للمحدث حالان : حال استقامة وحال اضطراب، مثل أن يختلط، أو تحترق كتبه، فما حدث به في حال الاستقامة ، صحيح وما حدث به في الاضطراب ضعيف ، فلا يُدرى ذلك الحديث من أي النوعين ، وقد علم غيره أنه مما حدث به في حال الاستقامة .

السبب الرابع : اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالف فيها غيره ، مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسنة ، واشتراط بعضهم ، أن يكون المحدث فقيهاً إذا خالف الحديث قياس الأصول ، واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره إذا كان مما تعم به البلوى، إلى غير ذلك مما هو معروف في مواضعه)[38] .

وقال الإمام الترمذي : (وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال ، كما اختلفوا فيما سوى ذلك من العلم) [39].

وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم رحمه الله : (ولعل قائلاً يقول : وما الغرض في تخريج ما لا يصح سنده ولا يعدل رواته ؟

والجواب عن ذلك من أوجه : منها : أن الجرح والتعديل مختلف فيهما فرب راوٍ عدله إمام وجرحه غيره)[40] .

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح : (ما اختلفوا في صحته من الأحاديث قد يكون سبب اختلافهم انتفاء وصف من هذه الأوصاف بينهم خلاف في اشتراطه)[41]. يعني شروط الصحة .

وقال الإمام - النووي رحمه الله في مقدمته على شرح مسلم : (عاب عائبون مسلماً بروايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء ولا عيب عليه في ذلك ، وجوابه من أوجه ذكرها ابن الصلاح :

أحدها أن يكون ذلك في ضعيف عند غيره ، ثقة عنده، ولا يقال : الجرح مقدم على التعديل ؟ لأن ذلك فيما إذا كان الجرح ثابتا مفسراً بسبب ، وإلا فلا يقبل الجرح إذا لم يكن كذا)[42] .

وقال الإمام أبو بكر الحازمي رحمه الله : (ينبغي أن يعلم أن جهات الضعف متباينة متعددة ، وأهل العلم مختلفون في أسبابه فرب راوٍ هو موثوق به عند عبدالرحمن ابن مهدي ومجروح عند يحيى بن سعيد[43] القطان وبالعكس ، وهما إمامان عليهما مدار النقد في النقل، ومن عندهما يتلقى معظم شأن الحديث) .

وقال الحافظ العلائي رحمه الله : (إن كثيراً من الأئمة وثقوا جماعة من الرواة إما بحسب اجتهادهم في مروياتهم، أو لأنه لم يظهر لهم منهم ما ينافي الثقة وظهر ذلك لغيرهم فجرحوهم)[44] .

إن الاختلاف العلمي أمر معروف ، به يتنامى العلم ، والمطلع المتمرس المتخصص في علم الحديث يجزم بأن الحكم على الرواة أمر اجتهادي وذلك أصل واضح في باب الجرح والتعديل .

بعد هذا يمكن القول بأنه لا يمكن الاعتماد على حكم عالم في راوٍ معين خالفه فيه عالم آخر ، وإنما يعتمد فيه الاحتمال الراجح بعد تتبع أقوال المجرحين والمعدلين ، ومعرفة أسباب الجرح والتعديل ، ثم الموازنة بينها ، وبين المتشدد والمتوسط والمتساهل في الجرح والتعديل .

قال الحافظ ابن حجر : (تعديل الأئمة للأحاديث مبني على غلبة الظن فإذا قالوا : أخطأ فلان في كذا لم يتعين خطؤه في نفس الأمر بل هو راجح الاحتمال) [٤٥] .

٥ - الضعف النسبي :

كثيراً ما يطلقون الضعف على راو ثقة حال مقارنته بمن هو أثبت منه ، ويريدون الضعف الجزئي بالنسبة إلى من هو أثبت منه .

قال الحافظ ابن حجر في مقدمة [٤٦] الفتح في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة المعروف بابن الغسيل بعد حكاية توثيقه عن ابن معين وغيره وتضعيف البعض له : (قلت تضعيفهم له بالنسبة إلى غيره ممن هو أثبت منه من أقرانه، وقد احتج به الجماعة سوى النسائي).

وقال الحافظ بن حجر في بذل الماعون [٤٧] في فضل الطاعون في سياق ترجمة أبي بَلَج يحيى بن سليم الكوفي ثم الواسطي قال : (وقد وثقه يحيى بن معين والنسائي ، ومحمد بن سعد والدارقطني ، ونقل ابن الجوزي عن ابن معين أنه ضعفه ، فإن ثبت ذلك فقد يكون سئل عنه وعمن فوقه ، فضعفه بالنسبة إليه ، وهذه قاعدة جليلة فيمن اختلف النقل عن ابن معين فيه ، نبه عليها أبو الوليد الباجي في كتابه : رجال البخاري) .

وفي تهذيب التهذيب [٤٨] ، ترجمة العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرقي أبو شِبل المدني : (قال عثمان الدارمي : سألت يحيى بن معين عن العلاء وابنه كيف حديثهما قال : ليس به بأس .

قلت : هو أحب إليك أو سعيد المقبري ؟ قال : سعيد أوثق ، والعلاء ضعيف ، قال الحافظ : يعني بالنسبة إليه . يعني كأنه لما قال : أوثق . خشي أن يظن أنه يشاركه في هذه الصفة فقال : إنه ضعيف) .

٦ - الخطأ في تضعيف الثقة ، لاشتباه اسمه باسم راو ضعيف :

قال الحافظ ابن حجر[٤٩] في مقدمة الفتح ، ترجمة إسماعيل بن أبان الوراق الكوفي : وثقه النسائي ، ومطيَّن، وابن معين ، والحاكم أبو أحمد ، وجعفر الصائغ ، والدارقطني ، وقال الدارقطني في رواية الحاكم عنه : أثنى عليه أحمد وليس بقوي .

قال الحافظ : أما قول الدارقطني فيه ، فقد اختلف ، ولهم شيخ يقال له : إسماعيل بن أبان الغَنَوي أجمعوا على تركه فلعله اشتبه به) .

وفي مقدمة[٥٠] الفتح، ترجمة أحمد بن بشير الكوفي أبو بكر مولى عمرو بن حُريث المخزومي : (قال النسائي : ليس بذاك القوي .

وقال عثمان الدارمي : متروك ، وقواه ابن معين وأبو زرعة وغيرهما، وأما كلام الدارمي فقد رواه الخطيب بأنه اشتبه عليه براو آخر اتفق اسمه واسم أبيه) .

٧ - الجرح غير المؤثر في الراوي :

كأن يكون الجارح متشدداً في الجرح والتعديل فيجرح الثقة بما لا يجرح .

قيل للإمام شعبة رحمه الله : لم تركت حديث فلان ؟ قال : رأيته يركض على برْذَون - الخيل التركي - فتركت حديثه . لأن ذلك لا يليق برزانة شخصية المحدث .

وجاء الإمام شعبة رحمه الله منزل المِنْهال بن عمرو ، فسمع صوت الطُّنبور ، وقيل : القراءة بألحان فتركه ، فقيل له : هلا سألته عسى كان لا يعلم .

وسئل الحكم بن عتيبة : لِمَ لَمْ ترو عن زاذان ؟ قال: كان كثير الكلام .

قلت : لأن من كثر كلامه كثر سقطه .

ورأى جرير بن عبد الحميد الضبي سِماك بن حرب يبول قائماً فتركه .

ومثل هذه الأمور عند جمهور المحدثين لا توجب قدحاً في الراوي يؤدي إلى ضعف حديثه وتركه[٥١] . لأنها لا تُخلُّ بعدالة الراوي أو ضبطه .

٨ – حسن الظن بالراوي :

قد يروي المحدث عن ضعيف ويظنه ثقة لأنه ليس من بلده فقد روى الإمام مالك عن عبد الكريم بن أبي المخارق أبي أمية الجزري البصري وهو ضعيف[٥٢] للسبب المذكور، قال القاضي إسماعيل المالكي البغدادي : (إنما يعتبر بمالك من أهل بلده ، فأما الغرباء فليس يحتج به فيهم ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : وبنحو هذا اعتذر غير واحد عن مالك في روايته عن عبد الكريم بن أبي أمية من الغرباء)[٥٣].

وفي تهذيب[٥٤] التهذيب ، ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي المصري المعروف ببَحْشَل : (قال ابن عدي : رأيت شيوخ مصر مجمعين على ضعفه ، ومن كتب عنه من الغرباء لا يمتنعون عن الرواية عنه) .

قلت : لأنهم لا معرفة لهم بحقيقة حاله لاختلاف الأوطان، وهذا أمر غير مطرد فيمن اختلفت أوطانهم فليتنبه.

٩ – الكتابة عن الضعيف حال استقامته :

قد يكتبون عن الراوي وهو مستقيم الحال ، ثم يتغير حاله من اختلاط ونحوه فيتركونه عندئذ .

ففي تهذيب التهذيب[٥٥] ، ترجمة أحمد بن عبد الرحمن القرشي المعروف ببَحْشَل : (قال ابن عدي : سألت عبدان عنه ، فقال : كان مستقيم الأمر في أيامنا . وقال أبو زرعة : كتبنا عنه وأمره مستقيم ، ثم خلط بعد ، ثم جاء في خبره أنه رجع عن التخليط) .

١٠– الكتابة عن الضعفاء لمعرفة هل للحديث رواة أم تفرد به راوٍ واحد ثم معرفة حاله :

ذكر الإمام أبو عبد الله الحاكم عدداً من أئمة الحديث والفقه الذين رووا عن ضعفاء منهم الإمام مالك وأبو حنيفة وصاحبيه والشافعي – رحمهم الله – ثم قال : (وكذلك من بعدهم من أئمة المسلمين قرناً بعد قرن ، وعصراً بعد عصر إلى عصرنا هذا ، لم يخل إمام من أئمة الفريقين – ممن يذهبون إلى جواز الرواية عن الضعفاء ، ومن يذهب إلى منعها – عن مطعون فيه من المحدثين ، وللأئمة في ذلك غرض ظاهر، وهو أن يعرفوا الحديث من أين مخرجه – وكل راوٍ للحديث يعتبر مخرجاً له – والمنفرد به عدل أو مجروح)[٥٦] .

١١– اعتبار رواية الضعيف بغيره وذك بمقارنتها برواية آخرين للحديث :

كثيراً ما يعمد المحدّث إلى حديث راوٍ ضعيف فيكتبه ليعتبره بغيره دراسة لرجاله ، ومقارنة بغيره ، ليظهر له مدى صلاحية الحديث للمتابعة أو الشاهد ليقوي أصل الحديث بذلك .

قال الإمام أحمد رحمه الله في رواية ابن القاسم : (عبد الله بن لهيعة ما كان حديثه بذاك ، وما أكتب حديثه إلا للاعتبار والاستدلال ، إنما أكتب حديث الرجل كأني أستدل به مع حديث غيره يشده، لا أنه حجة إذا انفرد)[٥٧].

وقال في رواية المرزوي عنه : (كنت لا أكتب حديث جابر الجعفي ثم كتبته أعتبر به) .

وقال في رواية ابنه حنبل : (ما حديث ابن لهيعة بحجة ، وإني لا أكتب كثيراً مما أكتب أعتبر به ، ويقوي بعضه بعضاً)[٥٨] .

وقال رحمه الله : كنت لا أكتب حديث جابر الجعفي ثم كتبته أعتبر به[٥٩].

١٢ – الرواية عن الضعيف في المتابعات :

في مقدمة الفتح[٦٠]، ترجمة ميمون بن سيّار البصري : ضعفه يحيى بن معين ، وقال أبو داود : ليس بذاك ، وقال أبو حاتم : ثقة ، قال الحافظ ابن حجر : قلت: (ماله في البخاري سوى حديثه عن أنس : من صلى صلاتنا .. الحديث بمتابعة حميد الطويل . وفي ترجمة هشام بن حُجير المكي: وثقه العجلي وابن سعد ، وضعفه يحيى القطان ، ويحيى بن معين ، وقال أحمد : ليس بالقوي . أخرج له البخاري حديثين عن طاووس عن أبي هريرة في كفارة الأيمان من طريقه ، وفي النكاح بمتابعة عبد الله بن طاووس عن أبيه)[٦١] .

وفي ترجمة إسحاق بن يحيى الكلبي ، قال الذهبي : (مجهول ، وله عند البخاري مواضع يسيرة متابعة)[٦٢].

١٣– قرن الراوي الضعيف براوٍ آخر حال الرواية عنه :

قد يروي المحدثون عن رجل ضعيف أو فيه ضعف مقروناً براوٍ آخر – بواو العطف – أحسن حالاً منه كلاهما عن شيخ واحد إعلاماً بعدم الاحتجاج به بمفرده .

من ذلك قول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في محمد بن عمرو بن علقمة الليثي – وفيه كلام من جهة حفظه -: (روى له البخاري مقروناً) [٦٣].

وفي مقدمة الفتح[٦٤]، ترجمة أسيد بن زيد الجمال ، قال النسائي : متروك . وقال ابن معين : حدث بأحاديث كذب . قال الحافظ ابن حجر : (لم أجد لأحد فيه توثيقاً ، وقد روى عنه البخاري في كتاب الرقاق حديثاً واحداً مقروناً بغيره) .

١٤– الاستشهاد برواية الضعيف بعيداً عن قصد الاحتجاج :

إن المحدثين يحتجون أصلاً للحكم الشرعي بحديث صالح للحجية من صحيح أو حسن في الجملة فإذا كان لديهم حديث آخر في المعنى نفسه من طريق صحابي آخر أطلقوا عليه شاهداً ، يعني يشهد ويؤيد الحديث الأول ، فإذا كان الإسناد ضعيفاً ربما أوردوه في الباب على سبيل الاستشهاد به لا الاعتماد تأييداً للحديث الأول المحتج به لا أكثر [٦٥] .

في تهذيب التهذيب [٦٦]، ترجمة محمد بن يزيد الحِزامي الكوفي البزاز ضعفه البخاري وأخرج عنه : (وقد أشكل أمره على من أشكل كون البخاري ضعفه فكيف يخرج عنه في صحيحه ؟ والجواب عن ذلك : ما ذكره ابن عدي من أنه إنما استشهد به خاصة) .

وفي سير أعلام النبلاء [٦٧] ، ذكر الحافظ الذهبي صحيح مسلم وشرطه وذكر طائفة ممن فيهم طعن أمثال محمد بن إسحاق ، وعطاء بن السائب ، وليث بن أبي سليم ثم قال : (فلم يخرج لهم إلا الحديث بعد الحديث إذا كان له أصل) .

يريد في المتابعات والشواهد .

وذكر الحافظ ابن حجر بعض من تكلم البخاري فيهم وعلق عنهم ثم قال : (وما يعلقه البخاري من أحاديث هؤلاء إنما يورده في مقام الاستشهاد وتكثير الطرق) [٦٨].

١٥ – رواية الحديث الضعيف تعليقاً بعيداً عن قصد الاحتجاج :

الحديث المعلق عند جمهور المحدثين : ما حذف من أول إسناده رجل فأكثر على التوالي، ولو إلى آخر الإسناد وعزي إلى من فوق المحذوف . وحكمه ضعيف عند الجمهور[٦٩].

وبهذا الأسلوب يعلق البخاري أحياناً أحاديث رواة فيهم جرح بقصد الاستشهاد فحسب .

ففي تهذيب التهذيب[٧٠]، ترجمة خليفة بن خياط العُصفري التميمي المعروف بشَباب . قال الحافظ ابن حجر: (روى له البخاري مقروناً ، وإذا حدث عنه بمفرده علق أحاديثه).

وقال عنه في التقريب[٧١] : (صدوق ربما أخطأ ، وكان أخبارياً علاّمة) .

١٦- ذكر الراوي الضعيف عرضاً واتفاقاً :

قد ترد رواية الضعيف عرضاً واتفاقاً بعد رواية الأصل الصحيح المحتج به ، إما لكونها زيادة على الأصل يرويها المحدث كما سمعها دون قصد الاحتجاج بها .

أو تذكر بعد رواية الأصل لبيان وجه الخطأ فيها ، تعليلاً لعدم الاحتجاج بها .

ففي تهذيب التهذيب [٧٢] ، ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي .

قال الحافظ : (لم أر له في صحيح البخاري شيئاً معلقاً ، ثم في الاستسقاء زيادة رواها عنه سفيان وتبين في سياق الحديث أنها ليست معلقة ، وهذا ظاهر واضح من سياقه ، والظاهر أن البخاري لم يقصد التخريج له وإنما وقع اتفاقاً) .

وقال في مقدمة[٧٣] الفتح عن زيادة المسعودي : (إنما هي زيادة موصولة في الخبر ، وإنما أراد البخاري أصل الحديث على عادته في ذلك) .

والمسعودي : صدوق اختلط قبل موته[٧٤].

وفي مقدمة الفتح[٧٥] : ترجمة الحسن بن عُمارة الضبي ، قال الحافظ : (أطبقوا على تركه وليس له في الصحيحين رواية ، ولم يعلق البخاري له أصلاً إلا أنه قال في كتاب المناقب : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا شبيب بن غَرْقَدة قال : سمعت الحي - قوم الرجل - يذكرون عن عروة يعني البارقي أن النبي ﷺ أعطاه ديناراً ليشتري به شاة ... فذكر الحديث . قال سفيان : كان الحسن بن عُمارة جاءنا بهذا الحديث عنه ، يعني عن شبيب .

فالبخاري لم يقصد الرواية عن الحسن بن عمارة ، ولا الاستشهاد به ، بل أراد بسياقه ذلك أن يبين أنه لم يحفظ الإسناد الذي حدثه به عروة) .

١٧- الانتخاب من روايات الضعيف ما يصلح منها للرواية:

قد ينتخب المحدث وينتقي من أحاديث الضعيف ما يصلح للرواية مما وافق فيه الثقات ، أو حدث فيه عن الثقات ، أو كان ثبتاً ضابطاً فيه.

ففي تهذيب التهذيب[٧٦] ، ترجمة العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرَقي أبو شِبل المدني ، قال الحافظ ابن حجر : (أخرج له مسلم من حديث المشاهير دون الشواذ . وقال في التقريب : صدوق ربما وهم)[٧٧].

وفي مقدمة فتح الباري[٧٨] ، ترجمة إسماعيل بن أبي أويس ، قال أبو حاتم : (محله الصدق. وقال الدارقطني لا أختاره في الصحيح . وقال أحمد بن حنبل: لا بأس به). وقال الحافظ : (روِّينا في مناقب البخاري بسند صحيح أن إسماعيل أخرج له أصوله وأذن له أن ينتقي منها ، وأن يعلم على ما يحدث به ليحدث به ، ويعرض عما سواه ، وهو مشعر بأن ما أخرجه البخاري عنه هو من صحيح حديثه ، لأنه كتب من أصوله) .

وفي مقدمة الفتح [٧٩] ، ترجمة محمد بن خازم أبي معاوية الضرير : (قال ابن معين كان أثبت أصحاب الأعمش بعد شعبة وسفيان . وقال أبو حاتم : أثبت الناس في الأعمش سفيان ثم أبو معاوية . قلت : لم يحتج به البخاري إلا في الأعمش) .

١٨- الرواية عن الضعيف طلباً لعلو الإسناد ، وأصل الحديث محفوظ :

قد يروي المحدث عن ضعيف طلباً لعلو الإسناد إذا كان الحديث عنده عن الثقات نازلاً ومعروفاً ومحفوظاً لديهم ، وهو عند الضعيف من طريق فيه علو ، فيرويه

المحدث عنه طلباً لهذا العلو ما دام أصل الحديث محفوظاً من رواية الثقات، وليس الاحتجاج حينئذ برواية هذا الضعيف وإنما برواية الأصل المحفوظ لدى الثقات.

ففي سير أعلام النبلاء[٨٠] ذكر الحافظ الذهبي قصة إنكار أبي زرعة الرازي على مسلم إخراجه لأسباط بن نصر وقَطَن بن نُسَير- وكلاهما صدوق مطعون في ضبطه[٨١]- فنقل البَرْذعي إنكار أبي زرعة إلى مسلم فأجاب: إنما أدخلت من حديث أسباط وقطن وأحمد بن عيسى ما رواه ثقات وقع لي بنزول، ووقع لي عن هؤلاء بارتفاع فاقتصرت عليهم، وأصل الحديث معروف.

١٩- الرواية عن الضعيف في مجلس المذاكرة:

قد يروي المحدث حديثاً ضعيفاً في مجلس المذاكرة لإثبات سعة الحفظ لا أكثر، وليست الرواية في المذاكرة معرض احتجاج[٨٢].

ففي تاريخ[٨٣] بغداد ذكر الخطيب البغدادي حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: تبنى مدينة بين دِجْلة ودُجَيل، والصَّراة وقُطْرُبُل[٨٤]، يُجبى إليها كنوز الأرض، ويجتمع إليها كل إنسان، فهي أسرع ذهاباً في الأرض من الحديد المحماة في الأرض الخوّارة.

ثم قال الخطيب: (قال أبو الحسين أحمد بن جعفر: رواه عماد بن سيف الضبي عن سفيان الثوري، ورواه عن عمار جماعة نفر منهم: يحيى بن بُكير الكرماني، وإسحاق ابن بشر الكاهلي، وقد رواه عن يحيى بن أبي بكير يحيى ابن معين، إلا أنه لم يروه على أنه صحيح، وإنما رواه على المذاكرة ثم عرّف محله من الوَهي فقال ليس بشيء).

٢٠- الضرورة الفقهية الملحة:

ذهب الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وأبو حنيفة والشافعي وغيرهم من المحدثين والفقهاء رحمهم الله إلى أنه إذا لم يوجد في المسألة الفقهية حديث مما يصلح للحجيّة وعُثر على حديث ضعيف منها مما ليس بموضوع ولا متروك يحتج به للمسألة الفقهية لأن العمل به يصبح حينئذ أولى من القياس والرأي. وهذا المسلك ينطلق من أمرين:

الأول: يحتمل من السيء الحفظ أن يضبط أحياناً، وكثير الغفلة قد يتيقظ أحياناً، والذي يخالف الثقات، قد يوافقهم أحياناً بل رب حديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى، لموافقته الأصول الشرعيّة، قال الإمام ابن عبد البر بعد أن ساق حديثاً تفرد به بَقية بن الوليد الكَلاعي المدلس المشهور: (وهو إسناد فيه ضعيف، ولكن ذكرناه ليعرف، والحديث الضعيف لا يرفع - لا يترك - وإن لم يحتج به، فرب حديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى)[٨٥].

وسأل إسحاق بن إبراهيم بن هانئ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قائلاً: ترى أن نكتب الحديث المنكر؟ قال: المنكر أبداً منكر. قيل له: فالضعفاء؟ قال: قد يحتاج إليهم في وقت[٨٦].

الثاني: بما أن الاجتهاد الفقهي معرض للخطأ والصواب وخاصة إذ لم يكن ثمة دليل أو قرينة، فحينئذ يقدم الضعيف ترجيحاً لاحتمال وجود خيط صلة من وحي السماء، وذلك أحوط في التشريع.

قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله: (سمعت أبي يقول: لا تكاد ترى أحداً ينظر في الرأي، إلا وفي قلبه دَغَل - فساد - والحديث الضعيف أحب إلي من الرأي. قال: فسألته عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيها إلا صاحب حديث لا يدري صحيحه من سقيمه، وصاحب رأي، فمن يسأل؟ قال: يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي)[٨٧].

وقال الإمام أحمد لابنه أيضاً: (لو أردت أن أقتصر على ما صح عندي، لم أرو من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء، ولكنك يا بني تعرف طريقتي في الحديث أني لا أخالف ما يضعف إلا إذا كان في الباب شيء يدفعه)[٨٨].

وفي تدريب الراوي[٨٩] : حكى ابن منده أنه سمع محمد بن سعد الباوردي يقول : كان من مذهب النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه . قال ابن منده : (وكذلك أبو داود يأخذ مأخذه ، ويخرج الإسناد الضعيف إن لم يجد في الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأي الرجال، وهذا رأي الإمام أحمد ، فإنه قال : إن ضعيف الحديث أحب إليه من رأي الرجال : لأنه لا يعدل إلى القياس إلا بعد عدم النص) .

وقال العلامة ابن القيم في إعلام الموقعين[٩٠] : (وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة ، فإنه ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس ، فقدم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه ، وقدم الشافعي خبر تحريم صيد وجٍ[٩١] مع ضعفه على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة في وقت الليل مع ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلاد ، وأما مالك فإنه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس ، وإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص ولا قول الصحابة أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف عدل إلى الأصل الخامس وهو القياس فاستعمله للضرورة ، وقد قال في كتاب الخلّال . سألت الشافعي عن القياس ؟ فقال : إنما يصار إليه عند الضرورة أو ما هذا معناه) .

وفي فتح المغيث [٩٢] : (وحكى الإمام الماوردي رحمه الله عن الإمام الشافعي رحمه الله في الجديد : إن المرسل يحتج به إذا لم يوجد دلالة سواه .

وزعم ابن حزم أن جميع الحنفية على أن مذهب إمامهم أيضاً أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس) .

وقال الإمام النووي في الأذكار[٩٣] : (قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا ، وأما الأحكام كالحلال والحرام والبيوع والنكاح والطلاق ، وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن إلا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك ، كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الأنكحة ، فإن المستحب أن يتنزه عنه ولكن لا يجب) .

فنخلص مما تقدم إلى أن تقديم العمل بالضعيف في الأحكام على الرأي أصل عام عند الفقهاء ، وعند أبي داود والنسائي من المحدثين . أما مستوى الضعيف الذي يحتج به لذلك فالإجماع على تحريم العمل بالموضوع ، وطرح المتروك ، ولا بأس بما سوى ذلك .

وهذا الظاهر من عمل الإمام أحمد رحمه الله ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (والذي يتبين من عمل الإمام أحمد وكلامه أنه يترك الرواية عن المتهمين والذين كثر خطؤهم للغفلة وسوء الحفظ ، ويحدث عمن دونهم في الضعف مثل من في حفظه شيء ، ويختلف الناس في تضعيفه وتوثيقه ، وكذلك كان أبو زرعة يفعل)[٩٤].

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن مراد الإمام أحمد في الاحتجاج بالضعيف إذا لم يوجد في الباب سواه الحديث الحسن كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ولكن نوزع في ذلك وللمسألة تفصيل[٩٥].

بعد هذا يحسن ذكر ضوابط الاحتجاج بالضعيف – في الأحكام – التي دل عليها كلام الإمام أحمد وغيره من الأئمة ، وهي :

١ – أن لا يكون موضوعاً أو متروكاً .

٢ – أن لا يوجد سواه أقوى منه .

٣ – أن لا يعارض الأصول العامة في الشرع . والله أعلم.

٢١ – عدم إهدار الضعيف في فضائل الأعمال ، طلباً للثواب ، بشروط مخصوصة :

أباح جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء العمل بالحديث الضعيف – مما ليس بموضوع ولا متروك – الوارد في فضائل الأعمال طلباً للثواب ، وهذا الحكم ينطلق من احتمال صحة الحديث ، لأن السيء الحفظ قد يضبط أحياناً ، وكثير الغفلة قد يتيقظ أحياناً ، والذي يخالف الثقات قد يوافقهم أحياناً. ورب حديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى لموافقته الأصول وتوفر الشواهد .

من هذا المنطلق أباح العلماء العمل به إذا ورد في الفضائل طلباً للثواب وعدم هدره .

قال الإمام ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله في معرض ذكره مراتب الرواة : (ومنهم الصدوق الورع المغفل الغالب عليه الوهم والخطأ والسهو والغلط فهذا يكتب من حديثه الترغيب والترهيب والزهد والآداب ولا يحتج بحديثه في الحلال والحرام)(٩٦) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله : (قد ورد عن غير واحد من السلف أنه لا يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتحليل والتحريم إلا عمن كان بريئاً من التهمة بعيداً من الظِنّة ، وأما أحاديث الترغيب والترهيب والمواعظ ونحو ذلك ، فإنه يجوز كتبها عن سائر المشايخ)(٩٧).

وقال الإمام النووي رحمه الله : (إنهم قد يروون عنهم – الضعفاء – أحاديث الترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال ، والقصص ، والزهد ، ومكارم الأخلاق ونحو ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام وسائر الأحكام ، وهذا الضرب في الحديث يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل فيه ، ورواية ما سوى الموضوع فيه ، والعمل به ، لأن أصول ذلك مقررة في الشرع معروفة عند أهله) (٩٨) .

وقال أيضاً : قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب في الحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً) (٩٩) .

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (قد رخص كثير من الأئمة في رواية الأحاديث الرقاق ونحوها عن الضعفاء، منهم ابن مهدي وأحمد بن حنبل)(١٠٠).

ومن الأئمة القائلين بذلك الإمام سفيان الثوري رحمه الله حيث قال : (لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة من النقصان ، ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ)(١٠١).

وقال أبو حاتم : حدثنا عبدة قال : قيل لابن المبارك ، وروى عن رجل حديثاً ، فقيل : هذا رجل ضعيف ؟ فقال يحتمل أن يروي عنه هذا القدر أو مثل هذه الأشياء ، قلت لعبدة : مثل أي شيء كان ؟ قال : في أدب ، موعظة ، زهد(١٠٢).

وقال يحيى بن معين في موسى بن عُبيدة الربذي – ضعيف – : يكتب من حديثه الرقاق .

وقال الإمام سفيان بن عيينة : لا تسمعوا من بقية ما كان في سنة ، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره (١٠٣). وبقية صدوق كثير التدليس(١٠٤).

وقال أيضاً في زياد البَكّائي – في حديثه لين – : لا بأس به في المغازي وأما في غيرها فلا(١٠٥).

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله : إذا روِّينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال ، وإذا روِّينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال.

وقال الإمام أحمد رحمه الله : إذا روِّينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد ، وإذا روِّينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد .

وروي عنه أيضاً : أحاديث الرقاق يحتمل أن يُتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم(١٠٦).

وقال أبو زكريا العَنبري : الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً ، ولم يحل حراماً ، ولم يوجب حكماً ، وكان في ترغيب أو ترهيب ، أو تشديد أو ترخيص ، وجب الإغماض عنه والتساهل في رواته .

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله : أحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتج به[١٠٧].

وقد اشترط المحدثون للعمل بالضعيف في الفضائل شروطاً هي :

١ – أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج بذلك من انفرد من الكذابين، والمتهمين بالكذب ، ومن فحش غلطه.

٢ – أن يندرج تحت أصل معمول به في الشرع .

٣ – أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته .

والشرط الأول نقل الحافظ العلائي الاتفاق عليه ، وأما الأخيران فزادهما العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد رحمهما الله [١٠٨].

٤ – أن لا يشتهر الضعيف ، وذلك احتراز من الظن بمشروعية ما دل عليه ، أو يراه بعض الجهال فيظن أنه سنة صحيحة لشهرته . وهذا الشرط زاده الحافظ ابن حجر رحمه الله[١٠٩] .

٢٢– كتابة الضعيف غير روايته :

قد يظن البعض أن الكتابة عن الضعفاء ، والسماع منهم هي كالرواية عنهم والأمر ليس كذلك ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله : فرق بين كتابة حديث ضعيف وروايته ، فإن الأئمة كتبوا أحاديث الضعفاء ولم يرووها ، قال يحيى بن معين : (كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور ، وأخرجنا خبزاً نضجاً) [١١٠] .

ولدى النظر في أسباب كتابة بعض المحدثين عن الضعفاء دون الرواية عنهم يظهر أنها كالتالي :

أ – للتعريف بالراوي وحديثه، وخاصة إذا كان من الكذابين والمتهمين، وقد تقدم ذكر أمثلة على ذلك.

ب – الكتابة للاعتبار بما يُكتب ليعلم بعد ذلك هل هو صالح للمتابعة والشواهد أم لا ؟ فإن لم يصلح لا يرو حينئذ ، وقد تقدم ذكر أمثلة على ذلك .

ج – قد يكتب المحدث عن ضعيف وهو حسن الظن به لا يعرف ضعفه ، وبعد الكتابة عنه يكشف أمره فيمسك الكاتب عن الرواية لحديثه وقد تقدمت أمثلة على ذلك :

قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله : (إن البغداديين أرغب الناس في طلب الحديث ، وأشدهم حرصاً عليه ، وأكثرهم كتباً له ، وليس يعيب طالب الحديث أن يكتب عن الضعفاء والمطعون فيهم، فإن الحفاظ ما زالوا يكتبون الروايات الضعيفة ، والأحاديث المقلوبة والأسانيد المركبة لينقِّروا عن واضعيها ويبينوا حال من أخطأ فيها .

وأهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في الحديث وآدابه ، وشدة الورع في روايته)[١١١] .

فكلام الخطيب البغدادي رحمه الله واضح في الفصل بين الكتابة والرواية وأسبابها ، حيث إن الكتابة قد تكون لأسباب منها المعرفة ، والبحث عن أسباب الضعف ، أو الخطأ ، ومن ثم انتخاب ما يصلح للرواية مما لا يصلح في ضوء القواعد العلمية ، ونور الورع .

٢٣ – البعد عن تخصص الحديث :

وذلك يتعلق بكتب المغازي ، والسير ، والتفسير ، والفقه ، والأدب ، والأخلاق ، والحِكَم ونحو ذلك ، فإن أصحابها يغلب فيهم البعد عن التخصص في علوم الحديث، علماً أنهم يعذرون في ذكر إسناد الحديث ، كما هو منهج المتقدمين ، ولا يعذرون في حذفه .

المبحث الرابع - الاعتذار عن وجود الضعيف في كتب السنة وغيرها :

المطلب الأول - سبب وجود الضعيف في كتب السنة والاعتذار عن ذلك :

بعد العرض الواضح لمسوغات الكتابة والرواية عن الضعفاء والمتروكين ندرك لماذا أدخل المحدثون الرواة الضعفاء كتبهم .

إن هذا الموقف من المحدثين في حقيقة الأمر عناية منهجية من المحدثين هدفها الوقاية من جهة والعلاج التشريعي المناسب من جهة أخرى .

ولو أهملوا الرواية الضعيفة بالكلية لانتشرت بين الناس على أيدي الماكرين ، أو الزهاد البعيدين عن تخصص الحديث، وفات منها ما يصلح للحجية بتضافر المتابعات والشواهد .

وتلك ثغرة كبيرة يتحملها المتخصصون بعلوم السنة .

وإن أهم كتب السنة المشهورة المعتمدة بعد الصحيحين مسند الإمام أحمد والسنن الأربعة قد أخرج فيها أصحابها عن رواة ضعفاء بالمسوغات العلمية السالفة الذكر مع الإعلام عنها .

ونظراً لمكانة ذلك الكتب في الاعتماد عليها بعد الصحيحين قد يستغرب البعض وجود الراوي الضعيف فيها ، ولا يكتفى بذكر المسوغات عموماً وإنما يجب معرفة نوع المسوغات التي خولت أصحاب تلك الكتب إدخاله .

لذا سأبين ذلك على النحو التالي :

إن إخراجهم للضعيف كان بنسبة قليلة مع التفاوت فيما بينهم في مقدار تلك النسبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض ذكره كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسنن : (في بعض هذه الكتب ما هو ضعيف ، بل ما يعلم أنه كذب ، لكن هذا قليل جداً)(١١٢) .

وقال الإمام محمد بن طاهر المقدسي في شروط الأئمة (١١٣) الستة : وأما أبو داود ومن بعده - الترمذي ، النسائي ، ابن ماجة - فإن كتبهم تنقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول : صحيح وهو الجنس المخرج في هذين الكتابين - والبخاري ومسلم - فإن أكثر ما في هذه الكتب مخرج في هذين الكتابين .

القسم الثاني : صحيح على شرطهم : وهو من الصحيح الذي تركه البخاري ومسلم ، إلا أن طريقه لا يكون كطريق ما أخرجه الشيخان من حيث الجملة ، لأن لأبي داود والنسائي وأحمد بن صالح المصري وغيرهم شرطاً في الصحيح حكاه أبو عبد الله بن منده محمد بن إسحاق : إخراج حديث أقوام لم يجمع على تركهم ، إن صح الحديث ، باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال .

ولا يعني ذلك أن جميع ما أخرجوه كان بشرطهم المذكور .

القسم الثالث : أحاديث أخرجوها للضدية في الباب المتقدم - الذي اعتمدوه واحتجوا به - وأوردوها لا قطعاً منهم بصحتها ، وربما أبان المخرج لها عن علتها بما يفهمه أهل المعرفة) .

فدل مفهوم ما تقدم على أن إخراجهم للضعيف قليل.

أما أسباب إخراجهم عن الضعفاء فقد ذكرها الإمام ابن طاهر رحمه الله بقوله : (فإن قيل : لم أودعوها كتبهم ولم تصح عندهم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : رواية قوم لها واحتجاجهم بها، فأوردوها وبينوا سقيمها لتزول الشبهة .

الثاني : أنهم لم يشترطوا الصحة ، لذا كانوا يخرجون الشيء وضده .

الثالث : بما أن كتبهم غلب عليها أحاديث الأحكام

لذا يوردون أدلة الخصم مع عدم احتجاجهم بها كشأن الفقهاء)[114] .

ولمزيد إيضاح للمسألة يمكن القول :

١ - بأن من لم يشترط الصحة دأبه أن يزيد في إخراج أحاديث تصلح للاحتجاج مما لم يخرجه البخاري ومسلم ، إما بأسانيد الثقات ، وإما بالانتقاء من أحاديث الضعفاء مما وافقوا فيه الثقات ، أو بطريق تضافر المتابعات والشواهد، وبذلك تدخل رواية الضعفاء ، وأحياناً رواية بعض المتروكين بسبب كثرة الطرق للحديث الواحد.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في معرض ذكره منهج الإمام أحمد وأصحاب السنن في كتبهم: (فإذا انحطوا إلى إخراج حديث الضعفاء اختاروا منها ولم يستوعبوها على حسب آرائهم واجتهادهم في ذلك ، وأما من أجمع على تركه واطراحه لعدم فهمه وضبطه ، أو لكونه متهماً فيندر أن يخرج لهم أحمد والنسائي ، ويورد لهم أبو عيسى الترمذي فيبينه بحسب اجتهاده ، لكنه قليل ، ويورد لهم ابن ماجة أحاديث قليلة ولا يبين ، وقلّ ما يورد منها أبو داود ، فإن ورد بينه في غالب الأوقات)[115] .

فاتضح من كلام الإمام الذهبي رحمه الله أنهم يختارون من حديث الضعفاء حسب اجتهادهم ، وأحياناً يعرضون إلى طريق فيه متروك ويبينوا ذلك ، والسبب في ذلك كثرة الطرق كما تقدم .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله : (لا أعلمه - الترمذي - خرّج عن متهم بالكذب متفق على اتهامه حديثاً بإسناد منفرد ، إلا أنه قد يخرج حديثاً مختلفاً في إسناده وفي بعض طرقه متهم ، وعلى هذا الوجه خرّج حديث محمد سعيد المطلوب ، ومحمد بن السائب الكلبي)[116].

ولا بد من التنبيه إلى أنه ليس كل من قيل عنه متروك قد أجمع المحدثون على تركه ، لذا قد يخرج أبو داود والنسائي من تركه بعض المحدثين وحسن من شأنه آخرون، وإنما يمتنعان عن إخراج حديث من أجمع على تركه [117].

٢ - قد يكون من عادة بعض المحدثين العناية بذكر علل الحديث كالترمذي والنسائي لذا يذكرون الطرق المعلومة والسالمة من العلة قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (اعترض على الترمذي رحمه الله بأنه في غالب الأبواب يبدأ بالأحاديث الغريبة الإسناد غالباً ، وليس ذلك بعيب فإنه رحمه الله يبين ما فيها من العلل ثم يبين الصحيح في الإسناد ، وكان قصده رحمه الله ذكر العلل ، ولهذا نجد النسائي إذا استوعب طرق الحديث بدأ بما هو غلط ، ثم يذكر بعد ذلك الصواب المخالف له ، وأما أبو داود رحمه الله فكانت عنايته بالمتون أكثر ولهذا يذكر الطرق واختلاف ألفاظها والزيادات المذكورة في بعضها دون بعض ، فكانت عنايته بفقه الحديث أكثر من عنايته بالأسانيد فلهذا يبدأ بالصحيح من الأسانيد) [118] .

وقال الإمام أبو عبد الله بن رُشيد : (كتاب النسائي أبدع الكتب المصنفة في السنة تصنيفاً ، وأحسنها ترصيفاً، وكان كتابه بين جامع البخاري ومسلم مع حظ كثير من بيان العلل ، وفي الجملة فهو أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً ، ورجلاً مجروحاً ، ويقاربه كتاب أبي داود وكتاب الترمذي)[119] .

قلت : وهكذا شأن كتاب السنن للدارقطني ، حيث جعله مؤلفه كتاب علل أحاديث الأحكام ليكشفها للناس ، وتلك فضيلة لما في ذلك من الحفاظ على السنة بحيث لا تختلط الأحاديث الضعيفة المعللة بما صح من السنة[120].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (أهل المعرفة والسنة والجماعة إنما يذكرون علل الحديث نصيحة للدين وحفظاً لسنة النبي ﷺ وصيانة لها ، وتمييزها مما يدخل على رواتها من الغلط والسهو والوهم ، ولا يوجب ذلك

عندهم طعناً بل يقوي بذلك الأحاديث السليمة عندهم لبراءتها من العلل ، وسلامتها من الآفات) [١٢١] .

بعد هذا يبقى النظر في سنن ابن ماجة حيث أغرب على الكتب الخمسة نحواً من (١٠٠٠) حديث ، وذلك مطلوب حديثياً وفقهياً ولكن غلب عليها الضعف وإن كان البعض منها صحيحاً وحسناً .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله عن سنن ابن ماجة : (وأما الأحاديث التي لا تقوم بها حجة فكثيرة لعلها نحو الألف) [١٢٢].

وقد خص الحافظ ابن حجر ذلك بالرجال لا بالأحاديث فقال رحمه الله : (كتابه في السنن جامع جيد كثير الأبواب والغرائب ، وفيه أحاديث ضعيفة جداً ، حتى بلغني أن المزي كان يقول : مهما انفرد بخبر فيه فهو ضعيف غالباً . وليس الأمر في ذلك على إطلاقه باستقرائي، وفي الجملة ففيه أحاديث كثيرة منكرة ، والله تعالى المستعان ، ثم وجدت بخط الحافظ شمس الدين محمد بن علي الحسيني ما لفظه : سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول : كل ما انفرد به ابن ماجة فهو ضعيف ، يعني بذلك ما انفرد به من الحديث عن الأئمة الخمسة . انتهى ما وجدته بخطه . وهو القائل يعني وكلامه هو ظاهر كلام شيخه لكن حمله على الرجال أولى ، وأما حمله على أحاديث فلا يصح كما قدمت ذكره من وجود الأحاديث الصحيحة والحسان مما انفرد به من الخمسة) [١٢٣].

وقد أخرج ابن ماجة في غير الأحكام أحاديث مما قيل : إنها موضوعة ، ومنها متفق على وضعه ، والجميع بلغ نحواً من ١٤ حديثاً .

قال أبو عبد الله بن رشيد رحمه الله : (إنه تفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الحديث، وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم) [١٢٤] .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله: (غض من رتبة سننه ما في الكتاب من المناكير وقليل من الموضوعات) [١٢٥] .

وقال في الميزان عند ذكره حديث فضل قزوين الذي وضعه ميسرة بن عبدربه وأخرجه ابن ماجة : (لقد شان ابن ماجة سننه بإدخاله هذا الحديث الموضوع فيها)[١٢٦] .

وذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله طبقة عن المتروكين والمجهولين ثم قال : (لم يخرج لهم الترمذي ولا أبو داود ولا النسائي ، ويخرج لبعضهم ابن ماجة ومن هنا نزلت درجة كتابه عن بقية الكتب ، ولم يعده من الكتب المعتبرة سوى طائفة من المتأخرين)[١٢٧] .

بعد هذا فإدراج بعض المتأخرين لسنن ابن ماجة ضمن الكتب الستة إنما قام على أساس الزيادة على الصحيحين لا على أساس تفاوت درجات الصحة والمسألة اجتهادية[١٢٨] ، فابن ماجة أكثر من الرواية عن الضعفاء ، وأخرج في الفضائل عن قليل من الكذابين والمتهمين مع الإعلام ، وقد سبق موقف المحدثين في ذلك علماً أن ما عابوه عليه يبلغ ربع الكتاب ، لأن عدد أحاديثه (٤٣٤١) في ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي رحمه الله ، وما انتقد عليه (١٠٠٠) حديث ، والله أعلم .

المطلب الثاني – سبب وجود الضعيف في غير كتب السنة والاعتذار عن ذلك :

كثر وجود الضعيف في كتب الفضائل ، والمناقب ، والملاحم ، والسير ، والأخلاق ، والآداب ، والترغيب ، والترهيب ، والتفسير ، والفقه ونحو ذلك .

والاعتذار عن ذلك بما يلي :

١ – تقدم اتفاق المحدثين على التساهل في غير الأحكام بشروط مخصوصة . وذلك لأنه ليس فيها من ضرر على تشريع الأحكام ، لذا يتوخى الضعيف المطابق

للشروط كي لا يفوت بذلك على المسلم فضيلة أو ثواب .

٢ – إنما أكثروا من ذكرها للمعرفة والاطلاع ، شأنهم في ذلك شأن من جمع أقوالاً متعددة في المسألة الواحدة ، وهو يعلم غثها من سمينها ولا يريد الاحتجاج بها ، فيذكر ما ينقل إليه بقصد الاطلاع لا أكثر .

قال الإمام ابن جرير الطبري في فاتحة تاريخه [١٢٩]: (فما كان في كتابي هذا مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا) .

وقال أيضاً : (إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض ذكره كتب التفسير والفضائل والسير : (وهؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم ، وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف ، ويروون من الأحاديث الإسرائيليات ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر ، لأن وظيفتهم النقل لما نقل ، أو حكاية أقوال الناس ، لأنهم يقولون : نحن ننقل ما ذُكر لنا ، فالعهدة على القائل لا على الناقل) [١٣٠] .

٣ – لم يكونوا متخصصين بعلم الحديث ، فيأخذون ما ينقل إليهم ثقة منهم بالناقل ، لذا كان نقلهم دون تفتيش وبحث .

قال شيخ الإسلام في الرد على البكري :

جمهور مصنفي السير والأخبار وقصص الأنبياء لا يميزون بين الصحيح والضعيف ، والغث والسمين كالثعلبي ، والواحدي ، والمهدوي ، والزمخشري ، وعبد الجبار بن أحمد .

وذكر عدداً من المفسرين والإخباريين ثم قال : (فهؤلاء لا يعرفون الصحيح من السقيم ، ولا لهم خبرة بالمروي بالمنقول ، ولا لهم خبرة بالنقلة ، بل يجمعون فيما يروون بين الصحيح والضعيف ولا يميزون بينهما ، لكن منهم من يروي الجميع ويجعل العهدة على الناقل ، ومنهم من ينصر قولاً أو جملة إما في الأصول أو التصوف والفقه بما يوافقها من صحيح أو ضعيف ، ويرد ما يخالفها من صحيح أو ضعيف)[١٣١] .

٤ – في القرن الثاني الهجري وما بعده كان المتعارف عليه آنذاك أن ذكر الإسناد بمثابة البيان ، وبه براءة من العهدة .

حكى الحافظ ابن حجر عن الحافظ العراقي قوله : (من أبرز إسناده من المفسرين أعذر من حذف إسناده ، لأن ذاكر إسناده يحيل ناظره على الكشف عن سنده ، أما من لم يذكر سنده وأورده بصيغة الجزم فخطؤه أشد كالزمخشري) [١٣٢] .

وقال الحافظ ابن حجر : (والاكتفاء بالحوالة على النظر في الإسناد طريقة معروفة لكثير من المحدثين ، وعليها يحمل ما صدر عن كثير منهم من إيراد الحديث الساقط معرضين عن بيانها صريحاً ، وقد وقع هذا لجماعة من كبار الأئمة ، وكان ذكر الإسناد عندهم من جملة البيان)[١٣٣] .

فظهر بذلك أن المصنفين في غير الأحكام معذورون بذكر الإسناد ، لأنه أسلوب ومنهج متعارف عليه بينهم ، ولكن أصبح ذلك غير كاف فيمن جاء بعدهم .

قال الحافظ السخاوي رحمه الله : (لا يبرأ من العهدة في هذه الأعصار بالاقتصار على إيراد إسناده بذلك لعدم الأمن من المحذور وإن صنعه أكثر المحدثين في الأعصار الماضية في سنة مائتين وهلم جرا ، خصوصاً

الطبراني وأبو نعيم ، وابن منده ، فإنهم إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برئوا من عهدته[١٣٤] .

إن المتقدمين برئوا من العهدة بهذا الاصطلاح المتعارف عليه بينهم ، فلا عتب عليهم فيما اصطلحوا عليه.

بقي الكلام عن كتب الفقه - وهي كتب أحكام - فطبقة المجتهدين رحمهم الله كانوا يسندون الحديث ، ويحتجون بالصحيح والحسن وقد ينزلون إلى الضعيف لأحد المسوغات السابقة .

أما من جاء بعدهم من أهل التفريع على أقوالهم فالكثير منهم يستدل بالحديث ، ويعزوه إلى مخرجيه من كتب السنة وهذا حسن ، والأفضل أن يبين درجته .

ومنهم من يستدل بالحديث دون ذكر الإسناد ، ودون عزو لمخرجيه قط ، وهذا عيب كبير في حق من فعل ذلك وإن لم يكن متخصصاً لأنه قصر بعدم السؤال ، لذا يعاب عليه عدم عنايته بالحديث ، كما يعاب المحدث بعدم عنايته بفقه الحديث .

قال الإمام النووي رحمه الله : (وأما فعل كثيرين من الفقهاء أو أكثرهم ذلك واعتمادهم عليه - الضعيف - فليس بصواب ، بل قبيح جداً - إن لم يكن بالضوابط المذكورة في العمل به في الفضائل والأحكام - لأنه إن كان يعرف ضعفه لم يحل له أن يهجم على الاحتجاج به من غير بحث ، وعليه بالتفتيش عنه إن كان عارفاً ، أو بسؤال أهل العلم له إن لم يكن عارفاً والله أعلم)[١٣٥] .

المبحث الخامس - أثر الرواية عن الضعفاء:

المطلب الأول - هل يجرح الثقة بروايته عن الضعفاء؟

إن جرح الراوي وتعديله مبني أصلاً على العدالة والضبط ، فإذا كثرت المناكير في حديثه نظر إن كان ذلك بسبب ضعف ضبطه جرح بذلك وإلا فلا يؤثر ، غاية الأمر أنه يعاب على روايته عن الضعفاء إن لم تكن بمسوغ من المسوغات السالفة الذكر - لأن تلك المناكير من قبل الضعفاء لا من جهة ضبطه .

وأما تلك الأحاديث المنكرة فهي مميزة وغير مقبولة ، فكل حديث منكر يرويه عن ضعيف فلا يقبل منه وإن كان ثقة في نفسه ، إنما يقبل منه ما رواه عن الثقات فحسب ، وهذا منهج أئمة المحدثين.

ففي تهذيب التهذيب[١٣٦] ، ترجمة سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون الدمشقي الخولاني . قال فيه الإمام أبو حاتم الرازي : سليمان صدوق ، مستقيم الحديث ولكنه أروى الناس عن الضعفاء والمجهولين .

وقال الإمام صالح بن محمد البغدادي : لا بأس به ، ولكنه يحدث عن الضعفاء .

فقد أبقى الإمام أبو حاتم على درجته (الصدق واستقامة الحديث) لكنه عاب عليه روايته عن الضعفاء والمجهولين .

وكذلك فعل الإمام صالح بن محمد البغدادي ، والذي يؤكد ذلك قول الإمام الدارقطني فيه : ثقة .

فقال له الإمام أبو عبد الله الحاكم : أليس عنده مناكير ؟ قال : حدث عن قوم ضعفاء وأما هو فثقة.

وفي تهذيب التهذيب[١٣٧]، ترجمة عيسى بن موسى التيمي الأزرق البخاري المعروف بغُنْجار : قال ابن حبان: (يروي عن المجاهيل والكذابين أشياء كثيرة حتى غلب على حديثه المناكير لكثرة روايته عن الضعفاء والمتروكين) .

وقال أيضاً : (ربما خالف ، اعتبرت حديثه بحديث الثقات وروايته عن الأثبات مع رواية الثقات فلم أر فيما يروي عن المتقنين شيئاً يوجب تركه إذا بيّن السماع في خبره ، والاحتياط في أمره ، الاحتجاج بما روى عن الثقات إذا بيّن السماع عنهم ، لأنه كان يدلس عن الثقات ما سمع من الضعفاء عنهم ، وترك الاحتجاج بما روى عن

الثقات إذا لم يبين السماع .

وقال الإمام أبو حاتم الرازي : (هو في نفسه صدوق، إلا أنه إذا روى عن المجهولين كثرت المناكير في حديثه ، وليس الحمل فيها عليه فإني تتبعت روايته عن الثقات فوجدتها مستقيمة) .

فهذا صريح في أن تلك المناكير ليست من جهة ضبطه وإنما من جهة الضعفاء الذين روى عنهم .

وقال الإمام أبو حاتم الرازي أيضاً : (ثقة مقبول غير أنه يروي عن أكثر من مائة شيخ من المجهولين لا يعرفون أحاديث منكرة ، وربما توهم طالب العلم أنه جرح فيه وليس كذلك) .

وهذا القول صريح في الحكم وخاصة من أمثال الإمام أبي حاتم الرازي المتشدد .

لذا فكل راو مكثر الرواية عن الضعفاء وجرحه بعض المحدثين فإن الجرح بسبب الضبط لغفلته. حيث كان لا يميز أحياناً رواية الضعيف من غيره ، أو كان يختل ضبطه فيما رواه عن الثقات أحياناً فيجرح لذلك لا لروايته عن الضعفاء .

المطلب الثاني – هل يعدل الضعيف برواية الثقة عنه؟

إن المعول عليه في توثيق الراوي أصلاً ما ازدان به من عدالة ، وما اكتسبه من الضبط ، وثبت ذلك لدى المحدثين ، ولا يشفع في ذلك رواية الثقات عنه ، وهذا ما عليه جمهور المحدثين .

قال الإمام ابن أبي حاتم : (سألت أبي عن رواية الثقات عن رجل غير ثقة مما يقويه ؟ قال : إن كان معروفاً بالضعف لم تقوه روايته عنه . وقال أيضاً : وسألت أبا زرعة عن رواية الثقات عن رجل مما تقوي حديثه ؟ قال : أي لعمري . قلت : الكلبي روى عنه الثوري !! قال : إنما ذلك إذا لم يتكلم فيه العلماء ، وكان الكلبي يُتكلم فيه . قلت: فما معنى رواية الثوري عنه وهو غير ثقة عنده ؟ قال: كان الثوري يذكر الرواية عن الكلبي على الإنكار والتعجب فيعلقون عنه روايته عنه ، ولم تكن روايته عن الكلبي قبوله له) [١٣٨] .

وقد حكى العلماء هذا المذهب عن الجمهور . قال الإمام النووي رحمه الله : (إذا روى العدل عمن سماه لم يكن تعديلاً عند الأكثرين وهو الصحيح) .

وحكى ذلك السيوطي في التدريب ، والسخاوي في فتح المغيث[١٣٩] أيضاً.

وذهب بعض العلماء إلى أن رواية الثقة عن الرجل تعتبر تعديلاً له مستدلين بأن الثقة لو علم فيه جرحاً لذكره.

وقد رد الجمهور هذا الرأي محتجين بأن الثقة يروي عن الضعيف وغيره ، وقد فعل ذلك كثير من السلف ، حيث رووا عن الثقات في سياق الاحتجاج ، ورووا عن الضعفاء لمعرفة مخارج الحديث وأصله الصالح للاحتجاج ، وغير ذلك ، كما تقدم في المسوغات[١٤٠].

قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله : (احتج من زعم أن رواية العدل عن غيره تعديلٌ له ، بأن العدل لو كان يعلم فيه جرحاً لذكره ، وهذا باطل ، لأنه يجوز أن يكون العدل لا يعرف عدالته فلا تكون روايته عنه تعديلاً ، ولا خبراً عن صدقه ، بل يروي عنه لأغراض يقصدها ، وقد وجد جماعة من العدول الثقات رووا عن قوم أحاديث أمسكوا في بعضها عن ذكر أحوالهم مع علمهم بأنها غير مرضية ، وفي بعضها شهدوا عليهم بالكذب في الرواية ، أو بفساد الآراء والمذاهب)[١٤١] .

وقد رد هذا القول أيضاً أبو بكر الصيرفي ، حكاه عنه الحافظ السخاوي في فتح المغيث[١٤٢] فقال : (وكذا خطّأه الفقيه أبو بكر الصيرفي، وقال : لأن الرواية تعريف، أي مطلق تعريف تزول جهالة العين بها بشرطه ، والعدالة بالخبرة ، والرواية لا تدل على الخبرة) .

وثمة قول ثالث ، وهو أن الراوي الثقة إن عرف عنه أنه لا يروي إلا عن ثقة كانت روايته عن الرجال تعديلاً له .

قال الحافظ السخاوي : (والثابت التفصيل ، فإن علم أنه لا يروي إلا عن عدل ، كانت روايته عن الراوي تعديلاً له، وإلا فلا ، وهذا هو الصحيح عند الأصوليين ، كالسيف الآمدي وابن الحاجب وغيرهما ، بل وذهب إليه جمع من المحدثين ، وإليه ميل الشيخين وابن خزيمة في صحاحهم ، والحاكم في مستدركه ، ونحوه قول الشافعي رحمه الله : فيما يتقوى المرسل : أن يكون المرسل إذا سمى من روى عنه لم يسم مجهولاً ولا مرغوباً عن الرواية عنه)[١٤٣] .

وهو قول الخطيب البغدادي رحمه الله ، وعزاه إلى الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله . قال الخطيب رحمه الله : (إذا قال العالم : كل من أروي لكم عنه وأسميه فهو عدل رضا مقبول الحديث . كان هذا القول تعديل منه لكل من روى عنه وسماه ، وقد كان ممن سلك هذه الطريقة عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله)[١٤٤] .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من رسالته خاتمة الرسالات ، ورضي الله عن أصحابه الذين نالوا أشرف الدرجات وعن أتباعهم ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه خاتمة - أسأل الله حسنها - أذكر فيها أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها في هذا البحث . هي:

١ - إن السامع أو القارئ غير المتخصص عندما يعلم بوجه ما ، أن كثيراً من كتب السنة ضمت أحاديث ضعيفة يستنكر ذلك ، ولا شك أن ذلك بدافع الغيرة ، ولكن عليه أن يبحث عن سبب ذلك عند أهل التخصص ، ولا يقف موقف الناقد بدون رصيد .

٢ - إن المستشرقين دأبوا في بث الشبهات حول السنة حقداً على الإسلام والمسلمين ، غير أن شبههم سرعان ما تتهافت أمام صرح منهج علوم السنة الشامخ الذي أحاط بها وحافظ عليها.

٣ - إن الاصطلاحات العلمية تختلف من علم إلى علم ومن زمن إلى زمن ، فكلما تقدم الزمن اصطلح علماؤه على اصطلاحات تتناسب مع واقع عصرهم لذا فلا يقاس اصطلاح الزمن اللاحق على الزمن السابق ، لأن لكل عصر اصطلاحه المناسب .

٤ - فلو حاولنا القياس لكان عملنا خطأً محضاً لأنه قياس فاسد ، فلا يقاس اصطلاح على اصطلاح لأن لكل اصطلاح أسسه ومقتضياته وعصره .

٥ - إن من حرص المحدثين على السنة أنهم لم يتركوا الضعفاء يروون للناس دون حساب عن طريق كتابة مروياتهم وحفظها وتدوينها ، ثم مقارنتها بأحاديث الثقات والأصول العامة في الشرع واستخلاص ما يصلح منها للاحتجاج ، وطرح ما لا يصلح دون إهمال ، للإعلام عنها بما يناسب من تدوينها في كتب مخصوصة ، ونحو ذلك من أخذ الاحتياط لها كي لا تختلط على الناس .

٦ - لم يقصر المحدثون تجاه الرواية الضعيفة فيما اصطلحوا وانتهجوا وإنما حصل التقصير من بعض متأخري الفقهاء ، حيث اقتصروا على الاستدلال للحكم الفقهي بأحاديث محذوفة الأسانيد، ومهملة من التخريج ، ولا يعذرون بأنهم غير متخصصين فسؤال المتخصص غير متعسر ، وقد استمرت آثار ذلك إلى يومنا الحاضر حيث يتخرج طالب الماجستير والدكتوراه في الفقه وتجده عاجزاً عن تخريج الحديث التخريج الصحيح المناسب .

وهذه مسؤولية تقع على القائمين على برامج الدراسات العليا المتخصصة في الجامعات العربية .

ابن المرابط الأندلسي

وشرحه للجامع الصحيح

محمد بن زين العابدين رستم
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض - المغرب

١ - المقدمة :

اعتنى أهلُ الأندلس بالجامع الصحيح للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) رواية وتحمُّلاً ؛ ودرايةً وتفقُّهاً ؛ وأنشأ الله منهم جيلاً من العلماء الذين وضعوا عليه كتباً ؛ تباينت مقاصدُهم فيها : فمنهم مَنْ بَسَط القولَ في شرح أحاديث الكتاب جُملةً وتفصيلاً ؛ كالمهلب بن أبي صفرة المري [١] (ت ٤٣٥هـ) ، وعلي بن خلف بن بطّال القرطبي [٢] (ت ٤٤٩هـ) ، وأحمد بن عمر بن وَرْد المري [٣] (ت ٥٤٠هـ) ، ومنهم من نظر من الكتاب إلى مسائل رآها يُستصعبُ فهمها ويُستشكل حلُّها ، فخصها بتأليف لطيف ، كابن حزم [٤] (ت ٤٥٦هـ) ، وابن عبدالبر [٥] (ت ٤٦٤هـ) .

ومنهم من ألف في غريب ألفاظ أحاديث الجامع الصحيح : استقلالاً كالحافظ المفسر أحمد بن عمر القرطبي [٦] (ت ٦٥٦هـ) ؛ أو مع صحيح مسلم كالحافظ محمد بن أبي نصر الحُميدي الميورقي [٧] (ت ٤٨٨هـ) .

ومنهم من خص رجال الجامع الصحيح بتأليف ، كأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي [٨] (ت ٤٧٤هـ) ، أو جمع بين رجاله ورجال مسلم كأبي علي الحسين بن محمد الجياني [٩] (ت ٤٩٨هـ) .

ومن الشروح الأندلسية لصحيح البخاري ، التي عفا عليها الزمن فلم يُبق منها إلا أثراً ، شرح القاضي أبي عبدالله محمد بن خلف ابن المرابط ، وسنُفرد هذه الدراسة لهذا الشارح ولشرحه .

٢ - التعريف بابن المرابط :

هو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب الأندلسي المري أبو عبدالله ، المعروف بابن المرابط ، المالكي [١٠] .

لم تذكر المصادر التي وقعت لي تاريخ مولده ، وغاية ما فيها أنه من أهل ألمريَّة [١١] .

ولقد روى ابن المرابط عن طائفة من أهل عصره ، منهم : أبو علي أحمد بن محمد الطلمنكي [١٢] ، والمهلب ابن أبي صفرة [١٣] ، وأبو الوليد بن ميقل ، وأبو عمرو المقرئ ، وخلف الجعفري ، ومحمد بن عباس القيرواني[١٤].

وأفاد ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ) أن أخذ ابن المرابط عن الطلمنكي والمهلب بن أبي صُفرة ، كان مختلفًا ، فقال: "سمع أبا القاسم المُهلب ، وأجازه أبو عمر الطَّلَمنكي" [١٥].

ولَمَّا تَضَلَّع ابن المرابط في العلم ، تصدى لنشره وإسماعه ، فأخذ عنه جماعة من أهل هذا الشأن ، لم يسمِّهم ابن بشكوال ، واكتفى بالإشارة إليهم فقال : «أخبرنا عنه غير واحدٍ من شيوخنا» [١٦] .

بيد أن ابن فرحون سمّى أفراداً منهم ، فقال : "... ورحل إليه الناس ، وسمعوا منه ، فمنهم : القاضي أبو عبدالله التميمي ، والقاضي أبو علي الحافظ [١٧] ، والفقيه أبو محمد بن أبي جعفر[١٨] " [١٩] .

واستقضي ابن المرابط في ألمرية [٢٠] فكان مفتيها وعالمها [٢١] .

ولابن المرابط تآليف ، منها :

١ - تاريخ بلنسية [٢٢] .

٢ - تعليقه على المدونة في الفقه [٢٣] .

٣ - الوصول إلى الغرض والمطلوب من جواهر قوت القلوب[٢٤].

٤ - شرح البخاري وسيأتي الكلام عليه مفصلاً في موضعه إن شاء الله .

ولقد أجمع كل من ترجم لابن المرابط ، على وصفه بالعلم والفضل ، فهذا ابن بشكوال يقول فيه : "وكان من أهل العلم والرواية ، والفهم والتفنن في العلوم" [٢٥] .

ووصفه الذهبي بأنه : قاضي المرية وعالمها ... كان رأساً في مذهب مالك ، ارتحل الناس إليه [٢٦] .

وحلاه ابن فرحون بقوله : "فقيه بلده ومفتيه ... كان من أهل الفقه ، والفضل والتفنن" [٢٧] .

ونعت الشيخ محمد بن محمد مخلوف ابنَ المرابط بـ:"الفقيه الفاضل الإمام ، العالم العُمدة الكامل" [٢٨] .

توفي ابن المرابط يوم الأحد لأربع خلون من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة [٢٩] .

٣ - تحقيق نسبة شرح البخاري إلى ابن المرابط :

أثبت معظم من ترجم لابن المرابط أن له شرحاً لصحيح البخاري، لكنهم لم يعيّنوا له عنواناً يعرف به ، واكتفوا في الدلالة عليه بعبارة مجملة ، مثل قول ابن بشكوال : "... له تأليف في شرح البخاري" [٣٠]، وكقول الذهبي : "... وصنّف شرحاً للبخاري" [٣١] ، وأما الصفدي فقال : "... صنف كتاباً كبيراً في شرح البخاري" [٣٢] ، وقال ابن فرحون منوهاً بالشرح : "... وله في شرح البخاري كتابٌ كبير حسن" [٣٣] .

ويُشْكِلُ على هذا الذي تقرر ، أن القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، لم يذكر لابن المرابط شرحا مستقلاً لصحيح البخاري ، وإنما قال : "واختصر شرح المهلب ، تلميذه أبو عبدالله محمد بن خلف بن المرابط ، وزاد عليه فوائد"[٣٤]. فأوهمت عبارة القسطلاني أن ابن المرابط ، اكتفى باختصار شرح شيخه المهلب بن أبي صفرة مع زيادات يسيرة ولم تسم به همة إلى وضع شرح مستقل على الجامع الصحيح ، وهذا الذي فهمه بعض من قلّد القسطلاني كحاجي خليفة، والقنوجي ، والشيخ عبدالسلام المباركفوري ، وإسماعيل باشا [٣٥] .

وليس ما فهمه هؤلاء الفضلاء من عبارة القسطلاني بجيد للأسباب التالية :

١ - أن الذين ذكروا لابن المرابط شرحاً على الجامع الصحيح ، من الطبقة العليا من كُتَّاب السير والتراجم، وحسبك بابن بشكوال والذهبي جلالة قدر ، وسعة اطلاع، وقوة تحرٍّ وتيقظ ، فلو كان ابن المرابط إنما اختصر شرح المهلب ، لما خفي ذلك على الذهبي الذي نوّه بوفاة ابن المرابط ؛ وذكره بوصف عرف به فقال : "... وفيها - يعني سنة ٤٨٥ - مات المحدث جعفر بن يحيى الحكاك ... وشارح البخاري القاضي أبو عبدالله محمد بن خلف ابن المرابط" [٣٦] .

٢ - لقد وصف الذين ذكروا لابن المرابط شرحاً على البخاري ، بأنه كبير ، فكيف يكون المُختصر بهذا الوصف ؟ !

٣ - ربما أدخل الوهم على القسطلاني في حسبانه أن ابن المرابط اختصر شرح شيخه ، ما قد رآه في الشرح ، من كثرة النقول عند المهلب بن أبي صفرة ، والعهد قريب به ، وشرحه واقع بأيدي الناس .

٤ - لم يكن الوصف الغالب على مناهج التأليف في عهد ابن المرابط الاختصار وإنما كان الزمان زمان اختراع وإبداع .

٥ - لقد ذكر ابن بشكوال أن ابن المرابط جلس إلى الناس لإسماع شرحه [٣٧] ، فلولا أنه من اختراعه لما استجاز الناس الجلوس إليه على هذا النحو .

ولقد بحثت كثيراً عن شرح ابن المرابط فيما وقع تحت يدي من فهارس مكتبات العالم التي جمعت لها المخطوطات من كل حدب وصوب فلم أجد للشرح فيها ذكراً ، واستعنت في ذلك ببعض الفهارس الحديثة التي ترشد إلى أماكن وجود المخطوطات ، كتاريخ بروكلمان وتاريخ التراث العربي فلم أحل من ذلك بطائل ، فأوشكت أن أقطع بفقدان الكتاب ، وانقطاع أثره .

وبْينَا أنا على تلك الحال ، أتردد بين الأسف على الكتاب ، وبين الطمع في العثور عليه ، إذ مرَّ بي ذكر ابن المرابط في "فتح الباري" للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، فأمعنتُ في تتبعه من الكتاب كله ، ثم أضفت إليه " عمدة القاري" للبدر العيني (ت ٨٥٥هـ) ، و "إرشاد السَّاري" للقسطلاني ؛ فوقفت في هذه الكتب الثلاثة على عشرين نصًا منقولة عن ابن المرابط أثبتها ههنا .

ولعل قائلاً يقول : لم وقع الاختيار على هذه الشروح الثلاثة ، دون سواها ؟ والجواب : أن أصحاب هذه الشروح الثلاثة قد شحنوها بالنقول الكثيرة المستفيضة عن شراح الجامع الصحيح من أهل الأندلس على أنني لم أقنع بالبحث في هذه الشروح الثلاثة المذكورة فنظرت في شرح رابع ، غالباً ما يقرن إليها ، وهو : "الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري" لشمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، لكن ظهر بالاستقراء والتتبع أن الكرماني لم ينقل شيئاً عن ابن المرابط .

٤ – منهجي في الجمع والتعليق :

استخرت الله عز وجل في تجريد نقول الشراح الثلاثة – الذين أوْمأتُ إليهم آنفاً – عن ابن المرابط ؛ فاستخرجت مادة علمية ؛ رتبتها على النحو التالي :

١ – جمعتُ كل نصٍّ صريح الثبوت عن ابن المرابط؛ كأن يقول الناقل عنه : "قال ابن المرابط" ، ثم يذكر نص كلامه. كما التقطت كل كلام مَحْكي عن ابن المرابط، كأن يقول الناقل : "وحكى – فلان عن ابن المرابط أن..."، ثم يذكر الكلام المحكي كما جمعت كل كلام مفهوم من صريح قول ابن المرابط ، كأن يقول الناقلُ بعد ذكر أمرٍ : «أشار إلى ذلك ابنُ المرابط" .

٢ – رتبت ما التقطته على الكتب والأبواب ؛ حسب ترتيب الجامع الصحيح .

٣ – رقَّمتُ الكتب والأبواب وفق ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي للجامع الصحيح في الطبعة التي علق عليها علامة الجزيرة وفقيهُها الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز – من فتح الباري .

٤ – لم أنقل صيغ تراجم الأبواب بكاملها ؛ فقد يترجم البخاري بكلام يطول نقله ؛ ويشقّ ذكره ، فلذلك قد أدع من الترجمة قليلاً أو كثيراً .

٥ – رقّمت القدر المستخرج من شرح ابن المرابط، بأرقام متسلسلة .

٦ – صدرت ما استخرجته بقولي : "قال فلان في قوله كذا" ؛ فأذكر اسم الناقل عن ابن المرابط، ثم أنقل من لفظ الحديث : أو سنده ؛ أو من كلام البخاري في الترجمة، القدر الذي شرحه ابن المرابط ، ثم جاء الناقل فذكره عنه ، وقد أخالف ذلك لبعض التدبير .

٧ – إذا كان النص وارداً عن اثنين من أصحاب الشروح الثلاثة المشار إليها آنفاً ؛ تخيّرت الصيغة الأتمّ ، فنقلتها عن أحدهما ، مع عدم إغفال ذكر الآخر ، فأقول مثلاً : "قال القسطلاني وابن حجر واللفظ له..."، وأفعل ذلك أيضاً إذا اتفق أصحاب الشروح الثلاثة في النقل .

٨ – عزوت ما استخرجت إلى موضعه ، من الشروح الثلاثة المشار إليها آنفاً ، ورددت القدر المتكلم عليه

من لفظة أو رجل واقع في السند إلى موضعه من الحديث أو الإسناد أو الترجمة .

٩ – ذكرت في الحاشية تعليقات بعض أهل العلم على كلام ابن المرابط .

١٠– إذا طال النقل ، وامتد الكلام ، فإني أحذف من كلام الناقل عن ابن المرابط شيئاً قليلاً أو كثيراً ، ولا يكون ذلك الحذف مُخلّاً بمعنى الكلام المنقول، وأرشد إلى الحذف بنقاط تدل عليه .

٥ – النصوص المستخرجة :

٢ – كتاب الإيمان :

١ – باب قول النبي ﷺ : "بني الإسلام على خمس":

١ – قال العيني في شرح قول عمر بن عبدالعزيز : "إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسُنناً ، فمن استكملها استكمل الإيمان..." [٣٨] : قال ابن المرابط : "الفرائض ما فرض علينا من صلاة وزكاة ونحوهما ، والشرائع كالتوجه إلى القبلة ، وصفات الصلاة وعدد شهر رمضان وعدد جلد القاذف وعدد الطلاق، إلى غير ذلك ، والسنن ما أمر به الشارع من فضائل الأعمال ، فمن أتى بالفرائض والسنن وعرف الشرائع، فهو مؤمن كامل"[٣٩].

٢ – قال العيني في شرح قول معاذ : "اجلس بنا نؤمن ساعة" [٤٠]: "قال ابن المرابط : «نتذاكر ما يُصدِّق اليقينَ في قلوبنا، لأن الإيمان هو التصديق بما جاء من عند الله تعالى» [٤١] .

٣ – كتاب العلم :

١٨– باب متى يصح سماع الصغير ؟

٣ – قال ابن حجر : «قوله : حدثنا محمد بن يوسف»[٤٢] هو البيكندي كما جزم به البيهقي وغيره ، وأما الفريابي ، فليست له رواية عن أبي مسهر ، وكان أبو مسهر شيخ الشاميين في زمانه ، وقد لقيه البخاري وسمع منه شيئاً يسيراً وحدّث عنه هنا بواسطة وذكر ابن المرابط – فيما نقله ابن رُشيد عنه أن أبا مسهر تفرد برواية هذا الحديث عن محمد بن حرب» [٤٣] .

١٢– كتاب الخوف :

٥ – باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً :

٤ – قال ابن حجر في شرح قول البخاري : "واحتج الوليد بقول النبي ﷺ : «لا يُصلين أحدٌ إلا في بني قريظة»[٤٤] «... والأولى في هذا ما قاله ابن المرابط ، ووافقه الزين ابن المنير، أن وجه الاستدلال منه [٤٥] ، بطريق الأولوية ، لأن الذين أخروا الصلاة حتى وصلوا إلى بني قريظة لم يُعنفوا مع كونهم فوتوا الوقت ، فصلاة من لا يفوت الوقت بالإيماء – أو كيف ما يُمكن – أولى من تأخير الصلاة ، حتى يخرج وقتها» [٤٦] .

٢٣– كتاب الجنائز :

٥ – باب الإذن بالجنازة :

٥ – قال ابن حجر : قوله : "باب الإذْن بالجنازة" ، قال ابن رشيد : ضبطناه بكسر الهمزة، وسكون المعجمة، وضبطه ابن المرابط بمد الهمزة ، وكسر الذال على وزن الفاعل» [٤٧] .

٣٢– باب قول النبي ﷺ : " يعذب الميت ببعض بكاء أهله ..." :

٦ – قال ابن حجر في الجمع بين حديثي عمر وعائشة[٤٨]: "وقد جمع كثيرٌ من أهل العلم بين حديثي عمر وعائشة بضروب من الجمع : أولها ... ثالثها : يقع ذلك أيضاً لمن أهمل نهي أهله عن ذلك وهو قول داود وطائفة، ولا يخفى أن محله ما إذا لم يتحقق أنه ليست لهم بذلك عادة ، ولا ظن أنهم يفعلون ذلك ، قال ابن المرابط : إذا علم المرء بما جاء في النهي عن النوح وعرف أن أهله من شأنهم يفعلون ذلك ولم يُعلمهم بتحريمه ولا زجرهم عن

تعاطيه ، فإذا عذّب على ذلك عُذب بفعل نفسه لا بفعل غيره بمجرده» (٤٩) .

٧ – ثم قال ابن حجر في القول السادس من أقوال أهل العلم في الجمع بين الحديثين المذكورين : "سادسها معنى التعذيب تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها ، و هذا اختيار لأبي جعفر الطبري من المتقدمين ، ورجحه ابن المرابط وعياض ومن تبعه ، ... واستشهدوا له بحديث قَيْلة بنت مخرمة ... : "قلت : يا رسول الله قد ولدته فقاتل معك يوم الربذة، ثم أصابته الحُمى، فمات ونزل عليّ البكاء ، فقال رسول الله ﷺ : "أيغلب أحدكم أن يُصاحب صُوَيْحِبَهُ في الدنيا معروفاً ، وإذا مات استرجع ، فوالذي نفسُ محمد بيده ، إن أحدكم ليبكي ، فَيَسْتَعبِر إليه صويحبه ، فيا عباد الله لا تعذبوا موتاكم" ... قال ابن المرابط : حديث قيلة نص في المسألة فلا يعدل عنه" (٥٠) .

٣٣– باب ما يكره من النياحة على الميت :

٨ – قال ابن حجر : قوله "باب ما يكره من النياحة على الميت" ... ويحتمل أن تكون ما مصدرية ، ومن تبعيضية والتقدير كراهية بعض النياحة ، أشار إلى ذلك ابن المرابط وغيره» (٥١) .

٥١– باب السرعة بالجنازة :

وقال أنس رضي الله عنه : أنتم مُشَيِّعون فامش بين يديها وخلفها ، وعن يمينها وعن شمالها .

٩ – قال ابن حجر : قوله : "وقال أنس : أنتم مُشَيِّعُون فامش" ... قال الزين بن المنير : "مطابقة هذا الأثر للترجمة أن الأثر يتضمنُ التوسعة على المُشَيِّعين وعدم التزامهم جهة معينة وذلك لما علم من تفاوت أحوالهم في المشي ، وقضية الإسراع بالجنازة أن لا يُلزموا بمكان واحد، يمشون فيه لئلا يشق على بعضهم، ممن يضعف في المشي ، عمن يقوى عليه ... وقد سبق إلى نحو ذلك أبو عبدالله بن المرابط فقال : قول أنس ليس من معنى الترجمة إلا من وجه أن الناس في مشيهم متفاوتون (٥٢) .

٥٦– باب سُنة الصلاة على الجنائز ، وقال النبي ﷺ: "من صلى على الجنازة" ... :

١٠– قال القسطلاني وابن حجر – واللفظ له – : "قال ابن رشيد نقلاً عن ابن المرابط وغيره ما مُحصّله : مراد هذا الباب ، الرد على من يقول إن الصلاة على الجنازة ، إنما هي دعاءٌ لها واستغفار ، فتجوز على غير طهارة ، فأول المُصنف الرد عليه ، من جهة التسمية التي سماها رسول الله ﷺ صلاة ، ولو كان الغرض الدعاء وحده لما أخرجهم إلى البقيع ، ولدعا في المسجد وأمرهم بالدعاء معه، أو التأمين على دُعائه ولما صفهم خلفه كما يصنع في الصلاة المفروضة والمسنونة وكذا وقوفه في الصلاة ، وتكبيره في افتتاحها وتسليمه في التحلل منها كل ذلك دال على أنها على الأبدان، لا على اللسان وحده ، وكذا امتناع الكلام فيها، وإنما لم يكن فيها ركوع ولا سجود، لئلا يتوهم بعض الجهلة أنها عبادة للميت ، فيضل بذلك، انتهى" (٥٣) .

٨١– باب الجريدة على القبر ، وأوصى بريدة الأسلمي أن يجعل في قبره جَريدتان ... :

١١– قال ابن حجر : قوله : "وأوصى بريدة الأسلمي... إلخ" قال ابن المرابط وغيره : يحتمل أن يكون بريدة أمر أن يُغرزا في ظاهر القبر اقتداءً بالنبي ﷺ في وضعه الجريدتين في القبرين، ويحتمل أن يكون أمر أن يجعلا في داخل القبر ، لما في النخلة من البركة ، لقوله تعالى : ﴿ كشجرة طيبة ﴾ ، والأول أظهر ، ويؤيده إيراد المصنف حديث القبرين في آخر الباب ، وكأن بُريدة حَمَل الحديث على عمومه، ولم يره خاصاً بذينك الرجلين" (٥٤).

٢٩– كتاب فضائل المدينة :

٥ – باب من رغب عن المدينة :

١٢- قال القسطلاني وابن حجر - واللفظ له - :

"قوله : فيجدانها وُحوشاً" [٥٥] .

قال النووي : الصحيح أن معناه يجدانها ذات وحوش قال : وقد يكون وحشاً بمعنى وحوش ، وأصل الوحش كل شيء توحش من الحيوان . وجمعه وحوش ، وقد يُعبر بواحِدِهِ عن جمعه ، وحكى عن ابن المرابط أن معناه أن غنم الراعيين المذكورين ، تصير وحوشاً ، إما بأن تنقلب ذاتها ، وإما أن تتوحش وتنفر منها ، وعلى هذا فالضمير في يجدانها يعود على الغنم ، والظاهر خلافه» [٥٦] .

٦٥- كتاب التفسير :

٩٦- سورة "اقرأ باسم ربك الذي خلق" :

١٣- قال ابن حجر : قوله "الصالحة" [٥٧] قال ابن المرابط : هي التي ليست ضغْثاً ، ولا من تلبيس الشيطان، ولا فيها ضربُ مثل مُشكل" [٥٨] .

٦٨- كتاب النِّكاح :

١٣- باب من جعل عتق الأمَة صَداقَها :

١٤- قال العيني والقسطلاني وابن حجر - واللفظ له:

قوله : باب من جعل عتق الأمَة صداقها" ، كذا أورده غير جازم بالحُكم وقد أخذ بظاهره من القُدماء سعيد بن المسيب وإبراهيم وطاوس ... قالوا إذا أعتق أمته على أن يجعل عتقها صداقها، صح العقد والعتق والمهر على ظاهر الحديث [٥٩]، وأجاب الباقون عن ظاهر الحديث بأجوبة أقربها إلى لفظ الحديث أنه أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجبت له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها بها ويؤيده قوله في رواية عبدالعزيز بن صهيب : "سمعت أنساً قال : سَبَى النبي ﷺ صفية فأعتقها وتزوجها" ، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، فأعتقها" ... وقال آخرون : قوله : "أعتقها وتزوجها" معناه أعتق ثم تزوجها فلما لم يُعلم أنه ساق لها صداقاً ، قال : أصدقها نفسها"

أي لم يصدقها شيئاً فيما أعلم ، ولم ينف أهل الصداق، ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية، وابن المرابط من المالكية ، ومن تبعهما : إنه قول أنس ، قاله ظناً من قبل نفسه ، ولم يرفعه" [٦٠] .

٢٠- باب "وأمهاتكم اللاتي أرْضعنكم" ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب :

١٥- قال ابن حجر : "وقال ابن المرابط حديث عمٍّ حفصة قبل حديث عمِّ عائشة [٦١] ، وهما مُتعارضان في الظاهر ، لا في المعنى ، لأن عم حفصة أرضعته المرأة مع عمر، فالرضاعة فيهما من قبل المرأة ، وعم عائشة إنما هو من قبل الفحل ، كانت امرأة أبي القعيس أرضعتها، فجاء أخوه يستأذن عليها فأبت فأخبرها الشارع أن لبنَ الفحل يحرم كما يحرم من قبل المرأة انتهى" [٦٢] .

٨٦- باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحدٍ إلا بإذنه :

١٦- قال العيني عند قوله : "وما أنفقت من نفقة عن غير أمره، فإنه يُؤدَّى إليه شطره" [٦٣] ... وقال ابن المرابط : وهذه النفقة هي الخارجة عن المعروف الزائدة على العادة، بدليل نص هند : "بالمعروف"، وحديث : "إن للخازن فيما أنفق أجراً ، وللزوجة أجراً" يعني بالمعروف ، وهذا النصف يجوز أن يكون النصف الذي أبيح لها أن تتصدق به بالمعروف" [٦٤] .

٦٨- كتاب الطلاق :

١١- باب الطلاق في الإغلاق والكره ... :

١٧- قال العيني وابن حجر - واللفظ له : وقال ابن المرابط : الإغلاق حرجُ النفس : وليس كل من وقع له فارق عقله ، ولو جاز عدم وقوع طلاق الغضبان لكان لكل أحدٍ أن يقول فيما جناه : كنت غضباناً ، انتهى" [٦٥] .

١٨- قال ابن حجر : قوله : "وقال عثمان : ليس

لمجنون ولا لسكران طلاق" [٦٦] ... وذهب إلى عدم وقوع طلاق السكران أيضاً أبو الشعثاء وعطاء وطاوس ... وقال بوقوعه طائفة من التابعين ... وقال ابن المرابط : إذ تَيَقَّنَّا ذهاب عقل السكران لم يلزمه طلاقٌ ، وإلا لزمه، وقد جعل الله حد السكر الذي تبطل به الصلاة ، أن لا يعلم ما يقول" [٦٧] .

١٨- باب قول الله تعالى : ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمةٌ مؤمنة خير من مشركةٍ ولو أعجبتكم﴾ :

١٩- قال ابن حجر عند شرح قول نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال : إن الله حرم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة ربُّها عيسى، وهو عبدٌ من عباد الله" [٦٨] "وقال أبو عبيد : المسلمون اليوم على الرُّخصة وروى عن عمر أنه كان يأمر بالتنزه عنهن ، من غير أن يُحرمهن ، وزعم ابن المرابط تبعاً للنحاس وغيره أن هذا مُراد ابن عمر أيضاً" [٦٩] .

٢٣- باب الظهار ... :

٢٠- قال العيني عند شرح قول البخاري في الترجمة تعليقاً على قول عكرمة : "إن ظاهر من أمته ، فليس بشيء، إنما الظهار من النساء ، وفي العربية "لِما قالوا" أيْ فيما قالوا ، وفي نقض ما قالوا : "وهذا أولى لأن الله تعالى لم يدل على المنكر وقول الزور [٧٠] "قال ابن المرابط: "قالت فرقة ثم يعودون لما قالوا من الظهار ، فيقولون بالظهار مرة أخرى وهو الذي أنكره البخاري [٧١] .

٦ – التعليق على النصوص المستخرجة :

للمتأمل في هذه النصوص المنقولة عن ابن المرابط أن تعن له الأمور الآتية :

١ – لقد تكلم ابن المرابط في شرحه على أسانيد الأحاديث كما أنه اعتنى بشرح تراجم الأبواب ، وبيان مناسبتها لما فيها من آثار ، و تكلم ابن المرابط أيضاً على الأحاديث التي يسوقها البخاري في الأبواب ، مُستنبطاً ما فيها من فقه وأحكام ، ودافعاً ما قد يكون بينها من تعارض وعدم انسجام .

٢ – تظهر القيمة العلمية لشرح ابن المرابط للجامع الصحيح ، فيما استفدناه من هذه النصوص – من نقول بعض أهل العلم عنه ، واقتباسهم من فوائده ، فمن هؤلاء : القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) الذي يَعِنُّ لي أنه نقل عن ابن المرابط في "إكمال المعلم في شرح مسلم" ، كما أفادته عبارة النووي التي نقلناها عنه آنفاً [٧٢]، ومنهم أيضاً : الزين ابن المنير [٧٣] (ت ٦٩٥هـ) ، وابن رشيد السبتي[٧٤] (ت ٧٢١هـ) ، الذي نقل عن ابن المرابط في : "ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخاري لما تحتها مما تُرجمت عليه [٧٥] .

٣ – يبدو أن الحافظ ابن حجر رجع في بعض ما نقله عن ابن المرابط إلى "ترجمان التراجم" لابن رشيد السبتي لأنه صرح بذلك علانية عندما قال : "ووقفتُ على مجلد من كتاب اسمه ترجمان التراجم ، لأبي عبدالله بن رشيد يشتمل على هذا المقصد وصل فيه إلى كتاب الصيام ، ولو تم لكان في غاية الإفادة ..." [٧٦] .

٤ – لم يكتف الحافظ ابن حجر بالنقل المجرد عن ابن المرابط، من غير نقد أو تعقب ، بل كان أحياناً يعترض عليه ، وينقض قوله ، ويُبين الخطأ فيه [٧٧] ، وكان مع ذلك إذا لاح له صواب رأي ابن المرابط، وحسن تهدِّيه للحق في المسألة التي يدق فهمها ، صرح بأن ما ذهب إليه هو الوجه الذي لا مَعْدِلَ عنه[٧٨] .

٥ – تفاوت الأئمة أصحاب الشروح الثلاثة في النقل عن ابن

المرابط ، فكان الحافظ ابن حجر أكثرهم أخذاً من كلام ابن المرابط، إذ اقتبس منه ستة عشر نصاً، تفرد بنقل أغلبها، ونقل البدر العَيْني عن ابن المرابط في ستة مواضع ، انفرد بالنقل في أربعة منها ، بينما نقل الشهاب القسطلاني عن ابن المرابط في ثلاثة مواضع، يَقْوى الظن بأنه استفاد النقل فيها من "فتح الباري" ولقد أنصف من نفسه عندما صَرّح في موضع من هذه الثلاثة أنه استفاد من الحافظ ابن حجر [٧٩].

٧ – الخاتمة :

فهذه شذراتُ أحسبها قليلة عن شرح أندلسي يكاد يكون مفقوداً ، رَجَوْتُ بها حصول العلم بهذا الشرح الجليل الذي نقل منه القاضي عياض ، والزَّين ابن المنير ، وابن السبتي ، واقتبس من فوائده الحافظ ابن حجر والبدر العيني، والشهاب والقسطلاني .

ولقد شق عليَّ العمل في هذا البحث ، واستصعبته، وذلك لسببين :

الأول : صُعوبة الكشف عن النصوص من بطون مجلدات كثيرة ، وربما يكل الجدُّ ، ويزيغُ البصرُ، وتضعف القوى ، فيكون ذلك باعثاً على إغفال قَدْر يسير ، أو كثير من النصوص .

الثاني : صعوبة الوصول إلى نص ابن المرابط بعد العثور عليه ، وصعوبة معرفة نهاية النص بعد الوقوف على أوله ، وإن تلك الصعوبة لتعظم إذا ترك الناقل ذكر قوله : "انتهى" ، فهنا تزل الأقدام ، ويصعب التمييز في ذلك المقام.

لذلك فإني لست أزعم لنفسي بلوغ الغاية في هذه الدراسة ، والباب مفتوح لاستدراك الفَوَات ، ووصْل البحث بتكملةٍ تُشفي به على الغاية ، وتصل به إلى النهاية .

الهوامش

١ – من شرح المهلب بن أبي صفرة قطعة في خزانة ابن يوسف بمراكش ، تشتمل على : كتاب الجهاد، وفرض الخمس، والجزية والموادعة ، والعقيقة ، والصيد والذبائح، وأعاني تحقيقها منذ مدة، يسر الله في حسن التمام، وانظر عن الشرح: محمد رستم: "شرح أندلسي قديمٌ لصحيح الإمام البخاري"، **مجلة دعوة الحق المغربية** ، العدد ٣١٧ ، شوال ١٤١٦هـ، ص١٣٣-١٤٥.

٢ – من شرح ابن بطال قطع خطية مفرقة في المغرب، والمدينة المنورة ، والأزهر ، وإستانبول وتشستربتي، ومنه أجزاء تحقق الآن في كلية الآداب بالرباط ، وانظر : محمد رستم : "شارح مالكي لصحيح الإمام البخاري من المغرب الإسلامي" **مجلة "الإحياء"** التي تصدر عن رابطة علماء المغرب، العدد العاشر ، ربيع الأول ١٤١٨هـ، ص١٠٧-١٢٩.

٣ – ولقد سمى ابن ورد شرحه : "الاحتواء على غاية المطلب والمُراد في شرح ما اشتمل عليه مصنف البخاري من علم المتن، بعد التعريف برجال الإسناد"، ويصفه السخاوي في "الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" (٧١١/٢) ، تحقيق : إبراهيم باجس ، دار ابن حزم، والقسطلاني في إرشاد الساري (٤٢/١) ، طبعة دار الفكر ، – بأنه واسع جداً ، ويظهر أن هذا الشرح مفقود، إذ لم يرشد إلى مكان وجوده أحدٌ ممن له اشتغال بالمخطوطات ، بيد أن منه نقولاً متناثرة في فتح الباري، التقطتها وكتبت فيها دراسة قدمت إلى ندوة "الدراسات الحديثية في الغرب

واقع النشر الإلكتروني لكتب التراث العربي:

دراسة للاتجاهات النوعية والعددية (*)

مساعد بن صالح الطيار

قسم المكتبات والمعلومات - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص الدراسة:

يلحظ المتابع لواقع النشر الإلكتروني لمصادر وكتب التراث العربي نمواً مطرداً، وتنوعاً في كيفية الإتاحة لهذه المصادر. وتهدف الدراسة الحالية التعرف إلى الاتجاهات النوعية والعددية لمصادر وكتب التراث الإلكترونية المتاحة على أقراص الليزر في سوق البرمجيات العربية أو المواقع العربية الخاصة بهذه الكتب على شبكة الإنترنت. وقد تم استخدام المنهج المسحي من أجل رصد برامج كتب التراث، وأما فيما يتعلق بتحليل الاتجاهات النوعية والعددية، فقد استخدم منهج تحليل المحتوى من أجل الحصول على البيانات الكمية المطلوبة. وبلغت عينة الدراسة ثمانية وخمسين (٥٨) برنامجاً خاصاً بكتب التراث، علاوة على ثلاثة مواقع عربية متاحة على شبكة الإنترنت. وكشفت نتائج الدراسة أن تسعة وثلاثين (٣٩) برنامجاً من أصل ثمانية وخمسين (٥٨) وبنسبة تصل إلى ٦٧,٢٪ كانت من نصيب علوم الدين الإسلامي كالتفسير، والفقه، والحديث، وغير ذلك. وكان نصيب كتب اللغة، والشعر، والأدب تسعة (٩) برامج، وبنسبة مئوية تصل إلى ١٥,٥ ٪ وهي النسبة نفسها التي حققتها الكتب الخاصة بالتاريخ، والسير، والتراجم. وكان نصيب كتب السياسة (الشرعية) برنامجاً واحداً بنسبة ١,٧٪. وأوضحت الدراسة أن كثيراً من كتب التراث يتم إعادة تخزينها وإصدارها مرات عدة سواء من قبل شركة واحدة، أو عدد من الشركات.

الكلمات المفتاحية:

كتب (مصادر) التراث الإلكترونية، رقمنة مصادر التراث، الكتب الإلكترونية (الرقمية) العربية، برامج كتب التراث، برامج النصوص الكاملة، النشر الإلكتروني، برامج أقراص الليزر.

١ - مقدمة

حظي التراث العربي والإسلامي ولا يزال يحظى بالعناية من قبل المتهمين بهذا التراث سواء كانوا باحثين أفراداً أو مؤسسات علمية عربية وأجنبية. وكان نصيب كتب التراث - في أوائل عهد الطباعة العربية - وافراً، حيث حُقق ونُشر كثير من كتبه، وفي شتى المجالات.

ويدخل نشر كتب التراث في وقتنا الراهن منعطفاً جديداً في عالم النشر، ألا وهو نشر هذه المصادر والكتب بشكل إلكتروني. ومع دخول النشر الإلكتروني لعالم اللغة العربية، هبت كثير من شركات الحاسب الآلي، والمؤسسات العلمية والثقافية في وطننا العربي لولوج عصر النشر الإلكتروني العربي. ومرة أخرى تحظى مصادر التراث وكتبه بالنصيب الأكبر في عملية نشر الكتب العربية إلكترونياً (رقمنة مصادر التراث). إن المتابع لما يطرح في سوق البرامج العربية يلحظ تنافساً كبيراً بين هذه الشركات في نشر كتب التراث بشكل آلي. وتختلف نوعية وجودة هذه المصادر الإلكترونية من شركة إلى أخرى، وتتنوع أشكال

النشر الإلكتروني لمصادر وكتب التراث ما بين أقراص ليزرية أو إتاحة لكثير من هذه المصادر على شبكة الإنترنت. وتحاول الدراسة الحالية التطرق لمصادر التراث وأهميتها وطريقة ترتيبها وأنواعها، بعد ذلك تناقش رقمنة مصادر التراث وأهمية ذلك وفائدته للباحثين. وتحاول أيضاً أن ترصد الاتجاهات النوعية والعددية لمصادر التراث الإلكترونية (الرقمية) المتاحة حالياً سواء أكان ذلك على أقراص الليزر أو كانت الإتاحة على شبكة الإنترنت. كذلك تناقش الدراسة أهم النتائج التي توصلت لها.

١ - ١ وصف الدراسة :

يلحظ المهتم بصناعة ونشر الكتاب العربي الإلكتروني اهتماماً متزايداً بنشر مصادر التراث العربي، وتحويلها (رقمنتها digitalzation) من مصادر مطبوعة إلى مصادر إلكترونية (رقمية). ويشهد سوق البرمجيات العربية تنافساً بين شركات الحاسب في إتاحة أكبر قدر من هذه المصادر بشكل رقمي. ولا تزال هذه العملية فيما يخص مصادر التراث العربي في طورها الأول. وهناك الكثير من الثغرات الموجودة في مصادر التراث الرقمية. ولعل هذا يرجع إلى عوامل متعددة، لعل من أهمها حداثة التجربة العربية في هذا المضمار، والتنافس التجاري الذي يُغلّب جانب الكم (إغراق السوق) على جانب الكيف، وهذا لا يعني بحال أن ليس ثمة أعمال رائدة في هذا المجال. يضاف إلى ذلك أن بعضاً من مصادر التراث ذات خصوصية وتحتاج لنوعية من البرمجة قد لا تتناسب مع كثير من البرامج المطروحة في سوق البرمجيات. علاوة على ذلك، ليس هناك دراسة تعنى بالاتجاهات النوعية والعددية لمصادر التراث الإلكترونية، وهذا المضمار يحتاج مزيداً من البحث والدراسات لتجلو لنا واقع النشر الإلكتروني لكتب التراث. والملاحظ في هذا المجال قصور واضح، والدراسة التي بين أيدينا تحاول أن تساهم بإثراء أدبيات الموضوع، وذلك بدراسة الاتجاهات النوعية والعددية لمصادر التراث الإلكترونية، أملاً أن تسد عجزاً في هذا المجال يلاحظه كل متابع لواقع النشر الإلكتروني العربي.

١ - ٢ أسئلة الدراسة :

ستحاول الدراسة التي بين أيدينا أن تجيب عن التساؤلات التالية:

١ - ما الاتجاهات النوعية والعددية لنشر كتب التراث العربي إلكترونياً؟

٢ - ما أوجه القصور في نشر كتب التراث العربي إلكترونياً؟

٣ - ما أنواع الإتاحة لكتب التراث المنشورة إلكترونياً؟

٤ - ما واقع النشر الإلكتروني لكتب التراث العربي؟

١ - ٣ أهداف الدراسة :

ترمي هذه الدراسة التعرف عن كثب إلى وضعية نشر كتب التراث بشكل إلكتروني، أو ما يمكن أن يعبر عنه برقمنة مصادر التراث. هذا هو هدف الدراسة الأساس، وهناك أهداف فرعية يتضمنها الهدف العام يمكن إيجازها بالنقاط التالية:

١ - التعرف إلى واقع نشر كتب التراث بشكل إلكتروني من حيث الناحية النوعية والعددية.

٢ - التعرف إلى الموضوعات التي تحظى بنصيب أكبر في عملية نشر كتب التراث بشكل إلكتروني.

٣ - محاولة الوقوف على أوجه القصور في عملية النشر الإلكتروني لكتب التراث العربي.

١ - ٤ أهمية الدراسة :

لا يخفى على أحد أهمية مصادر التراث العربي في عصرنا الحاضر، فعن طريق هذا التراث عرفنا كثيراً من أحوال أمتنا المجيدة وآدابها الراقية. وهذه المصادر هي الجسر الذي يربط بين حاضر الأمة وماضيها، وهو الروح الداعمة لأي مشروع نهضوي ينشد تجديداً، مبني على

أصالة متينة. وعن طريق التراث نكتشف كثيراً من الجوانب العلمية والعملية التي عاشتها أمتنا إبان عصر القوة والسيادة. وأي أمة لا تحفظ تراثها وتستلهمه في فترات الضعف أمة محكوم عليها بالفشل وإن طال الزمن. وتنبع أهمية التراث العربي من تنوع القضايا التي عالجها فلا تجد قضية تمس الإنسان إلا وفي تراثنا ذكر لهذا الشأن. ولقد أدرك الغيورون من أبناء الأمة أهمية التراث فأولوه عنايتهم فهرسة ونشراً وتحقيقاً وتكشيفاً، وبذلوا كل غالٍ ونفيس من أجل أن يبرزوا هذا التراث للجيل المعاصر ولمن يأتي بعدهم. وعن جوانب التراث العربي وأهميته فالحديث يطول، والمجال لا يسمح بمزيد بسط. هذا من ناحية طبيعة الموضوع الذي تغطيه هذه الدراسة، وأما من ناحية أهمية الدراسة الحالية على وجه الخصوص فيمكن مناقشتها وفق النقاط التالية:

١ - أن هذه الدراسة قد تكون من أوائل الدراسات التي تسعى لكشف الاتجاهات النوعية والعددية لما ينشر من كتب التراث بشكل إلكتروني.

٢ - أن كتب التراث الإلكترونية تعد من أهم الكتب التي يحتاجها الناس، وعلى الرغم من ظهور الكثير منها إلا أن الدراسات العلمية حولها قليلة جداً، هذا إن لم تكن معدومة.

٣ - أن نتائج هذه الدراسة قد يستفاد منها في تحسين وتطوير كتب التراث الإلكترونية.

١ - ٥ حدود الدراسة :

ستحاول الدراسة أن تغطي كتب التراث الإلكترونية فقط دون غيرها. وهذه التغطية ستكون بحسب ما يتوفر للباحث من أدوات تجعله يسيطر على أغلب ما ينشر في هذا المجال. وهذا لا يعني أن الباحث يزعم بأنه غطى جميع ما نشر من كتب التراث. وهناك حدود ستعمل الدراسة وفق نطاقها، فمن ذلك:

١ - أن هذه الدراسة معنية بكتب التراث القديمة، وهي التي يمكن أن تدخل ضمن الكتب التي ألفت قبل عام ١٢٠٠هـ، وتم تحقيقها وإعادة نشرها. أما الكتب بعد هذا التاريخ فهي خارج نطاق الدراسة.

٢ - لا يدخل ضمن إطار الدراسة كتب التراث التي نشرت باللغات غير العربية.

٣ - نظرا لعدم وجود الضبط الدقيق لما ينشر من هذه الكتب بشكل إلكتروني، فالباحث لا يزعم أن جميع ما نشر بشكل إلكتروني تم تغطيته في هذه الدراسة.

١ - ٦ منهج الدراسة :

لن تقتصر الدراسة الحالية على منهج واحد فقط، بل سيتم استخدام منهجين هما : المنهج المسحي ، ومنهج تحليل المحتوى. أما المنهج الأول فاستخدم من أجل جمع ورصد برامج كتب التراث الإلكترونية، وهدفنا من ذلك معرفة واقع نشر كتب التراث إلكترونياً في سوق البرامج العربية.

وأما ما يخص منهج تحليل المحتوى فاستخدم لتحليل الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب التراث الإلكترونية؛ وذلك من أجل الحصول على النسب الكمية لنوعية كتب التراث المتاحة بشكل إلكتروني.

١ - ٧ عينة الدراسة :

تمثل عينة الدراسة ناتج المسح الميداني الذي قام به الباحث لسوق البرمجيات بمدينة الرياض، علاوة على مسح البرامج التي تم عرضها في معرض الرياض الدولي للحاسب الآلي الذي عقد في الرياض العام قبل الماضي (٢٠٠٠م). يضاف إلى ذلك ما قام به الباحث من زيارات ميدانية للمكتبات التجارية -خصوصاً تلك المكتبات التي تقوم ببيع برامج الحاسب الآلي - وذلك من أجل رصد وجمع أكبر عدد ممكن من البرامج الخاصة بكتب التراث. ولقد واجه الباحث صعوبات فيما يتعلق بحصر جميع ما

تم إنتاجه من مصادر تراثية إلكترونية. وبعد تفريغ البيانات التي تم جمعها من خلال عملية المسح الميداني تبين أن عدد برامج كتب التراث بلغ ثمانية وخمسين (٥٨) برنامجاً محملة على أقراص ليزر. يضاف إلى العينة الأصلية ثلاثة مواقع عربية خاصة بكتب التراث متاحة على شبكة الإنترنت، وهي: موقع (الوراق) وعنوانه www.alwaraq.com، وموقع (حرف) عنوانه www.harf.com، وموقع (المحدث) وعنوانه www.muhaddith.com .

ولعله من المفيد أن ننوه هنا إلى أن البرنامج الواحد (قرص الليزر) يحوي مئات الكتب، مثال ذلك القرص الذي يحمل اسم "مكتبة الفقه الإسلامي" هذا القرص يحوي أكثر من ٩٠٠ مجلد. مثال آخر برنامج "مكتبة الحديث الشريف" الذي أنتجته شركة العريس، هذا العنوان مكون من ثلاثة أقراص ليزر، ويحوي مكتبة خاصة بالحديث النبوي الشريف وعلومه تضم أكثر من ٢٥٠٠ مجلد. بناء على ذلك، فحينما نقول ثمانية وخمسين (٥٨) برنامجاً، فإننا لا نقصد بذلك ثمانية وخمسين (٥٨) كتاباً أو مجلداً. على أية حال، قد يكون القرص الواحد يحوي كتاباً واحداً كما هو الحال بالنسبة للقرص الخاص بكتاب «تاريخ دمشق لابن عساكر» ، وكذلك القرص الخاص بكتاب «مجموع الفتاوى لا ابن تيمية» . خلاصة القول، أن عدد الأقراص المغطاة في هذه الدراسة لا يمثل العدد الحقيقي لمصادر التراث التي تم تحويلها إلى شكل (إلكتروني) رقمي.

١ – ٨ مصطلحات الدراسة :

تستخدم هذه الدراسة عدداً من المصطلحات التي قد يحتاج القارئ معرفة دلالتها؛ لذا سنذكر – هنا – بعض التعاريف التي قد تمر بنا خلال مطالعة هذه الدراسة، فمن ذلك:

مصادر التراث :

كل ما كتب باللغة العربية من تراث فكري وفني لآثار مكتوبة موروثة حفظها التاريخ من الماضي حتى وصلت إلينا داخل الحضارة السائدة (الورقي، ١٤٠٤هـ، ص ٥).

رقمنة مصادر التراث :

هي عملية تحويل هذه المصادر من شكلها المطبوع إلى الشكل الآلي (الرقمي أو الإلكتروني) وخزنها على وسائط متنوعة، ثم إتاحتها بشكل أقراص ليزر، أو على شبكة الإنترنت.

الكتب والمصادر الإلكترونية :

هي ناتج عملية الرقمنة، وهي عبارة عن كتب أو مصادر إلكترونية لا يكمن قراءتها، أو استخدامها إلا عن طريق الآلة (الحاسب الآلي).

٢ – الدراسات السابقة

بحثنا في أدبيات الموضوع فلم نجد دراسات مباشرة تطرقت لمصادر التراث الإلكترونية. وهذا بطبيعة الحال حسب جهد الباحث، الذي ما فتئ ينقب هنا وهناك لعله يجد ما يساعده في كتابة هذا الجزء من الدراسة . وهذا لا يعني بطبيعة الحال، نفي وجود دراسات سابقة، فقد يكون الوضع كذلك، ولكن الباحث لم يطّلع عليها بسبب ضعف الضبط الوراقي (الببليوجرافي) للإنتاج الفكري العربي، وهي قضية ما زال الباحثون يعانون منها.

فمن الدراسات ذات العلاقة دراسة الطيار (١٩٩٩م) التي نشرها حول الكتب الإلكترونية العربية، وهي عبارة عن استطلاع للكتب الإلكترونية العربية، حيث عرّف الكتاب الإلكتروني، وأنواعه، وأساليب البحث فيه، مع عرض لعينة من الكتب الإلكترونية العربية والمجالات الموضوعية التي غطتها تلك البرامج. وخلص في دراسته إلى أن ظاهرة نشر الكتب العربية إلكترونياً آخذة بالازدياد؛ وذلك نظراً لتوفر تقنية القارئ الآلي العربي

ومحركات البحث العربية . وأوضح في خاتمة البحث أن هناك ضعفاً عاماً في محركات البحث المستخدمة في صناعة الكتب الإلكترونية . ومن ملاحظاته - أيضاً - أن علوم الدين الإسلامي خصوصاً الحديث النبوي الشريف حظيت بالنصيب الأكبر في صناعة النشر الإلكتروني.

وأما الدراسة الثانية فهي دراسة نشرت حديثاً نشرها كل من جرجيس وبومعرافي (٢٠٠١م) تحت عنوان التراث العلمي العربي على الإنترنت . وفي واقع الأمر فإن هذه الدراسة في أغلبها تناقش معايير تقييم مواقع الإنترنت ، علاوة على استعراض بعض المواقع العربية منها ما هو متصل بالتراث العربي، ومنها غير ذلك ! ولعل ما يمت لموضوع الدراسة بصلة هو حديث المؤلفين عن موقع الوراق المعروف على الإنترنت والخاص بكتب التراث، حيث ذكرا أن موقع الوراق مشروع طموح يسعى إلى توفير التراث العربي على الإنترنت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: المرحلة الكلاسيكية (مؤلفات التراث).

المرحلة الثانية: المرحلة الكلاسيكية الجديدة (المؤلفات الموضوعة ما بعد الحملة الفرنسية على مصر).

المرحلة الثالثة: المرحلة الحديثة (المؤلفات الموضوعة بدءاً من نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى اليوم).

وأشار الباحثان إلى أن الكتب الموجودة على الموقع حتى الآن بلغت ٦٠٠ كتاب شملت أمهات كتب التراث في شتى حقول المعرفة، وبلغ عدد صفحاتها حوالي المليون صفحة. ومن المنتظر أن يبلغ عدد صفحات الوراق خلال سنتين نحو ١٠ ملايين صفحة (جرجيس وبومعرافي، ٢٠٠١م، ص ٤٥). والمفيد في دراسة جرجيس وبومعرافي تلك الاستنتاجات التي ظهرا بها، فمن ذلك:

١ - ندرة المواقع الخاصة بالتراث العلمي العربي.

٢ - الضعف العام للمواقع العربية ذات العلاقة بالتراث خصوصاً فيما يتعلق في عملية البحث.

٣ - غياب العمل المؤسسي فيما يتعلق بالمواقع الخاصة بالتراث، وظهور العمل الفردي غير المتقن.

يضاف لتلك الاستنتاجات بعض التوصيات، والتي يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

١ - الدعوة إلى وضع خطة طويلة الأجل لتنفيذ مشروعات رقمنة (Digitalzation) مصادر المعلومات العربية التراثية والحدثية ووضعها على شبكة الإنترنت.

٢ - دعم المهتمين بقضايا التراث خصوصاً فيما يتعلق بإتاحته على شبكة الإنترنت.

٣ - ضرورة التنسيق بين الجهات المعينة من جامعات ومراكز بحوث ومؤسسات ثقافية لوضع مشاريع مشتركة للتعريف بالتراث العربي على مستوى العالم.

وكما ذكرت - سابقاً - فهاتان الدراستان هما أقرب الدراسات الخاصة بموضوع البحث، يضاف إلى ذلك العديد من المقالات المنشورة في الصحف أو مجلات الحاسب الآلي . بخصوص التعريف ببرامج كتب التراث أو غيرها من البرامج، انظر - على سبيل المثال - (الجندي، ١٩٩٨م)؛ القرشي (١٤٢٢هـ)؛ الطيار (١٤٢٢هـ -أ) والطيار (١٤٢٢هـ - ب). حيث تعد هذه المقالات من المقالات التعريفية، وبعضها عبارة عن ملحوظات حول هذه البرامج أو المواقع الخاصة بكتب التراث. ويتضح مما سبق أنه ليس ثمة دراسة خاصة تكشف لنا الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب التراث الإلكترونية، وهذا هو ما حفّز الباحث أن يقوم بهذه الدراسة أملاً أن تسد بعض أوجه العجز والقصور في هذا المجال.

٣- الإطار النظري - رقمنة مصادر التراث :

قبل أن نتحدث عن رقمنة التراث العربي ومفهومه ومقوماته، يحسن بنا الحديث عن مادة الرقمنة ألا وهي مصادر التراث المطبوعة، هذا التراث الضخم المتنوع المتشعب. فلقد خلّف لنا أسلافنا كمّاً هائلاً من التراث

المعرفي في جميع مجالات الحياة من شريعة وأدب وفن وتاريخ وغير ذلك. ولسنا - في هذه الورقة - بصدد الحديث عن جوانب هذا التراث وثرائه ، فهناك الكثير من المراجع التي عالجت كثيراً من القضايا المتعلقة بمصادر التراث، وعرّفت بأهم هذه المصادر، وما المنشور من هذه المصادر. انظر - على سبيل المثال لا الحصر- الورقي (١٤٠٤هـ)؛ العاني والعدواني (١٣٩٩هـ)؛ عارف (١٤١٥هـ)؛ والمعهد العالمي للفكر الإسلامي (١٤١٧هـ). وفي هذه الفقرة سنحاول التعريف بأنواع هذه المصادر وطرق ترتيبها، وصعوبة البحث في بعض هذه المصادر، إما بسبب غزارة المعلومات التي تحويها أو طريقة الترتيب التي سار عليها مؤلف الكتاب. بعد ذلك نناقش أهمية تحويل هذه المصادر الضخمة إلى شكل إلكتروني (رقمنة مصادر التراث) من أجل تسهيل سبل الإفادة منها.

٣-١ أنواع مصادر التراث وطرائق الترتيب :

تتنوع مصادر التراث بحيث تشمل معظم جوانب المعرفة، وعبر تراثنا الممتد تاريخياً منذ عصر تدوين العلوم، وحتى قبل عصور الانحطاط (بعد المئة العاشرة من الهجرة). فهناك الكثير من مصادر التراث، منها - على سبيل المثال لا الحصر - كتب الفقه المذهبي، ومنها كتب العقائد وتفاسير القرآن (علوم الشريعة). وهناك كتب اللغة والشعر والأدب. وهناك الكتب الموسوعية العامة مثل نهاية الأرب للنويري (ت ٧٣٣هـ)، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (ت ٨٢١هـ). منها كذلك الكتب الموسوعية المتخصصة (المجاميع) مثل العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) أو كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). ولمزيد من التعريف بهذه الكتب وغيرها من كتب التراث انظر صحيفة المراجع المرفقة بهذه الدراسة.

وترتيب هذه المصادر يختلف من مؤلف لآخر، وقد تحكم طريقة الترتيب نوعية المادة العلمية التي تغطيها تلك المصادر. وأغلب مصادر التراث ترتب موادها حسب الموضوعات وبشكل هرمي، فتبدأ بالموضوع العام، بعد ذلك يتم التفريع الخاص للموضوعات العامة، وهكذا. فعلى سبيل المثال: كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري. هذا الكتاب عبارة عن موسوعة علمية حوت كثيراً من فنون العلم. ولقد قسمت موضوعات هذه الموسوعة إلى خمسة فنون رئيسة، وكل فن قسم إلى خمسة أقسام، وكل قسم وزع إلى أبواب، وإن دعت الحاجة قسم كل باب إلى فصول وهكذا. إن الممارس لمصادر التراث يعلم أهمية هذه المصادر، وقيمة المعلومات التي تحويها. ويعلم المطالع - أيضاً - لهذه المصادر أن المعلومات الموجودة فيها يصعب الوصول إليها نظراً لعدم وجود كشافات تحليلية ، يضاف إلى ذلك ضخامة المعلومات التي تحويها تلك المصادر.

٣-٢ صعوبة البحث في مصادر التراث :

لقد شكا كثير من المختصين في مجال التراث صعوبة البحث في بعض هذه المصادر. وكما ذكرنا - آنفاً - من أن الصعوبة تكمن في طريقة الترتيب أو ضخامة المعلومات الموجودة في المصدر المراد استخدامه، أو عدم وجود كشافات تحليلية لكل كتاب. وهذه الصعاب ليست وليدة اليوم، أو أنها معاناة الباحثين المعاصرين فحسب، بل هي قديمة قدم هذه المصادر. فهذا الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) على علو كعبه في العلم وممارسته لهذه المصادر يذكر في تاريخه بعضاً من هذه الصعوبات فيقول "فإني رأيت الكتاب الكثير الإفادة المحكم الإجادة، ربما أُريد منه الشيء فيعمد من يريده إلى إخراجه فيُغمض عنه موضعه، ويذهب بطلبه زمانه، فيتركه وبه حاجة إليه، وافتقار إلى وجوده" (تاريخ بغداد ١: ٢١٣). وكثير من علمائنا القدماء عانوا من البحث في المصادر الضخمة، وهذا الإمام المحدث، مؤرخ الإسلام الذهبي (ت ٧٤٨هـ)

يتمنى أن يقيض الله لمسند الإمام أحمد من يرتبه حسب ترتيب كتاب صحيح البخاري (نظام الكتاب والباب).

أما إذا توجهنا صوب المعاصرين، فها هو البحاثة والمحقق الشهير أحمد شاكر يحكي لنا معاناته في استخراج بعض الأحاديث حيث يقول: " وهذا مسند الإمام أحمد - مثلاً - في ستة مجلدات كبار، وفيه أكثر من ثلاثين ألف حديث، وأحاديثه ليست مرتبة على الأبواب، كيف يبحث فيه القارئ وهو لا يجد دليلاً له أو مرشداً ؟! وهذا - أيضاً - كتاب الطبقات لابن سعد في ثمانية مجلدات، وكله تراجم للأعلام، والمؤلف يروي أحاديث كثيرة في أثناء التراجم، والباحث يحتاج إليها، فما الطريق إلى الوصول؟ نعم، إن له فهرساً على أوائل الأحاديث الشريفة، ولكن قد يكون القارئ غير حافظ للفظ الحديث، وإنما يعرف معناه، وأكثر من ذلك أن يريد البحث عن أحاديث واردة في مسألة معينة وهو لا يعرف ما ورد فيها.. وما لنا نضرب المثل بهما، والصعوبات فيهما معروفة ؟! وأمامنا الكتب الأخرى المرتبة على الأبواب كالكتب الستة وغيرها فكثيراً ما يعجز الممارس لها عن الوصول إلى حديث بعينه يبغيه فيها". وفي موضع آخر يزيد الأمر وضوحاً ويذكر موقفاً حدث له، حيث يقول : "وها أنا أشتغل بعلوم الحديث وكتبه منذ خمس وعشرين سنة، وقد تلقيت كثيراً منها سماعاً وقراءة عن أعلام وكبار من الشيوخ، وفي مقدمتهم والدي الأستاذ الجليل السيد محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر .. ومع ذلك فإني طالما أعياني تطلب بعض الأحاديث في مظانها، وأغرب من هذا أني لبثت نحو خمس سنين، وأنا أطلب حديثاً معيناً في سنن الترمذي - وهو كتاب تلقيته كله عن والدي سماعاً - ولي به شبه اختصاص وكبير عناية". هذا بالنسبة لعالم متبحر في هذا المجال، فما هو حال غير المتخصص !!؟

ويذكر عبد العظيم الديب أن فكرة مشروع تخزين الأحاديث النبوية في الحاسب الآلي استقرت في ذهنه عندما تعرض لبعض الصعوبات عند تخريجه بعض الأحاديث. وسنذكر مثالاً واحداً منها، حيث ذكر أنه لقي عناء في سبيل تخريج حديث "صلوا كما رأيتموني أصلي" يقول عن ذلك بأن هذا الحديث " دائر على ألسنة الفقهاء، ويتردد دائما في كتبهم، ويعزونه إلى البخاري. ولم أشأ أن أعزوه إلى البخاري نقلاً عن السابقين، وبدا لي أن الوصول إليه في البخاري أمر سهل وميسور، ورغبت في التبرك بصحبته ساعة، وبدأت أبحث في الأبواب التي أقدره فيها من أبواب (كتاب الصلاة) فلم أجده، فعاودت البحث، فلم أجده، فقلت: أبحث في الكتاب التالي: (كتاب مواقيت الصلاة) فلم أجده أيضاً. فازددت إصراراً على البحث، وعدت أقرأ أبواب كتاب الصلاة كلمة كلمة، حتى فرغت منها وعددها (١٠٩) مئة وتسعة أبواب، وكانت المفاجأة أنني لم أجده. فمضيت أقرأ كتاب (مواقيت الصلاة) كلمة كلمة، حتى انتهيت من كل أبوابه وهي (٤١) واحد وأربعون باباً، وكانت دهشتي أنني لم أجده أيضاً. وخرجت المسألة عن أن تكون زيادة في الدقة، فقد كان يسعني ما يسع غيري من نسبته إلى البخاري، متابعة لأئمة الفقه الأعلام، وثقة فيهم، وخرجت المسألة أيضاً عن أن تكون التماساً للبركة. وصارت لوناً من التحدي. فالحديث موجود في البخاري بالقطع، ولكن أين هو؟ وإن لم يكن في أبواب (كتاب الصلاة) و (كتاب مواقيت الصلاة) فأين يوجد؟ وتركت ما أنا فيه من شغل، وعزمت على أن أصل إلى الحديث، ولو اقتضى الأمر أن أقرأ البخاري كله كلمة كلمة، وأخذت أقرأ بدقة وتمهل أبواب كتاب الصلاة، وما بعدها حتى وصلت إلى (كتاب الأذان) ووصلت فيه الباب الثامن عشر (باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة) فوجدت الحديث حيث لم أكن أتوقع أن أجده" (الديب، ١٤٠٩هـ، ص ٢١-٢٢).

هذا فيما يتعلق بكتب الأحاديث، وهي من أكثر الكتب تداولا بين العلماء وطلبة العلم وعامة الناس. والذين واجهوا صعوبات البحث فيها من أهل الاختصاص، فما هو حال غيرهم ! ولنترك الكلام عن كتب الأحاديث لنذكر نوعاً آخر من مصادر التراث، والتي يعاني أهل الاختصاص من البحث فيها، هذه المصادر هي كتب الفقه. فعلى الرغم من وضوح طريقة ترتيب كتب الفقه (نظام الكتب والباب الفقهي)، وسهولة معرفة مظان المسائل في هذه الكتب، إلا أن عدداً من المسائل، ليس بالقليل، قد تشذ وتعالج أو تدرج في أماكن غير مناسبة "وتتداخل الموضوعات في بعض هذه الكتب تداخلاً يصعب معه العثور على المسألة المطلوبة -أحياناً- حتى على المتخصص، فقد تجد أبحاث (تصرفات المريض) في كتاب العتق باب العتق في المرض، وقد تجد أحكام (الحضانة) في باب الخلع وهكذا" (العودة، ١٤١٢هـ، ص ٢٣) ومن له أدنى صلة بكتب الفقه يعرف هذا التداخل الذي يصعب معه العثور على المسائل المطلوبة. ولقد تنبه لمثل هذا التشتت الموضوعي للمسائل الفقهية إمام من أئمة الشافعية، وهو الإمام الجليل الزركشي (ت ٧٩٤هـ) الذي ألف كتاباً وسمه بـ «خبايا الزوايا» من أجل أن يعالج قضية تشتت المسائل الفقهية في بعض كتب الشافعية. ولعل في إعطاء مثال يوضح ما قصدناه: مسألة ما هي أفضل المكاسب، هل هي التجارة، أو الزراعة، أو الصناعة. هذه المسألة ذكرها الرافعي (ت ٦٢٣هـ) في كتابه «فتح العزيز شرح الوجيز» في كتاب الأطعمة، وكذلك فعل النووي (ت ٦٧٦هـ) في كتابه «روضة الطالبين». بينما ذكر الزركشي في كتابه خبايا الزوايا أن هذه المسألة محلها في كتاب البيع. ويذكر أيضاً الزركشي في كتابه سالف الذكر أنه بلغه عن القاضي شرف الدين البارزي (ت ٧٣٨هـ) "أنه سئل من بلاد حلب عن مسألة فأجاب عنها وعزا النقل للإمام الرافعي (يعني كتابه شرح الوجيز) فكُشف عن الموضع اللائق بها فلم توجد، فروجع في ذلك فقال: ذكرها في زوية، ولم يسمح بذكرها، وما ذلك إلا لأن الإحاطة بذلك تدل على قوة الاستحضار للكتاب، والاطلاع على جميع فروع الباب" (الزركشي، ١٤١٧هـ). ولقد كنت في نقاش مع أحد المختصين بعلوم الشريعة وممن يعمل في سلك القضاء، ذكر أنه يحتاج المسألة ويعرف أنها في كتاب كذا من كتب الفقه، ويرجع إلى الكتاب، وإلى الباب الذي ظن أنها فيه، ولا يجد شيئاً، ويعلل ذلك بأن الفقهاء قد يعالجون بعض المسائل في سياق غير السياق الذي يتوقع أن تكون فيه كما مر ذكره في مثال «مسألة أفضل المكاسب» (الطيار، ١٤٢٢هـ).

ولو شئت أن أسرد الصعوبات التي تواجه الباحثين في كل فن من فنون العلم التي غطتها كتب التراث لطال بنا الحديث وتشعب. إذاً نحن أمام صعوبات متنوعة تواجه الباحثين، وحيال هذه الصعوبات فقد يثار هذا التساؤل: ما هو الحل؟ وكيف يتم التغلب على هذه الإشكالية؟ وفي واقع الأمر قد أكون مجانباً الصواب إن زعمت أن هناك طريقة واحدة تمكننا من ذلك، ولكن لعل ما يخفف من هذا الأمر هو وجود كشافات تحليلية خاصة بكل مصدر تراثي، أو تحميل هذه المصادر التراثية على وسائط إلكترونية (رقمنة مصادر التراث) من أجل إتاحة كامل النص للبحث العشوائي، والوصول للنص عبر أية مفردة من مفرداته. وهذا ما نحن بصدد الحديث عنه في هذه الدراسة، والتي يرى الباحث أن إتاحة مصادر التراث بشكل إلكتروني سيحل هذه الإشكالية إلى حد ما، على الرغم من بعض المآخذ على هذه الطريقة.

٣-٣ رقمنة مصادر التراث العربي وأهميته :

يعد مصطلح «رقمنة مصادر التراث» مصطلحاً جديداً بدأ ينتشر استخدامه بين أوساط المختصين في

مجال المعلوماتية، وكذلك المختصين في مجال النشر الإلكتروني، وهو مترجم من المصطلح الإنجليزي di-gitalzation ويعني الرقمنة. وفي أدبيات الموضوع ظهر عدد من المصطلحات ذات علاقة بالرقمنة، مثل: المكتبة الرقمية، والمجلة الرقمية (بدلاً عن الورقية)، وكذلك المصادر أو الكتب الرقمية (بدلاً عن المطبوعة التقليدية). ولنشرع الآن بالتعريف بمصطلح الرقمنة، ودلالته في سياق هذه الدراسة، إنها تعني "إمكان تحويل جميع أنواع المعلومات إلى مقابل رقمي [الصفر والواحد]، فحروف الألفباء التي تصاغ بها الكلمات والنصوص، يعبر عنها بأكواد رقمية تناظر هذه الحروف رقماً بحرف ، والأشكال والصور يتم مسحها إلكترونياً لتتحول إلى مجموعة هائلة من النقاط المتراصة والمتلاحقة. يمكن تمثيل كل نقطة من هذه النقاط رقمياً سواء بالنسبة إلى موضعها أو لونها أو درجة هذا اللون" (علي، ٢٠٠١م، ص ٧٧). هذا فيما يتعلق بمفهوم الرقمنة بشكل عام . أما رقمنة مصادر التراث فنعني بها عملية تحويل هذه المصادر من شكلها المطبوع إلى الشكل الآلي (الرقمي أو الإلكتروني) وخزنها على وسائط متنوعة، ومن ثم إتاحتها إما بشكل أقراص ليزر أو على شبكة الإنترنت.

إن المتابع لما ينشر في سوق البرامج العربية، أو ما يتم إضافته من مواقع عربية على شبكة الإنترنت يلحظ توجهاً واضحاً في تحويل مصادر التراث المطبوعة إلى مصادر إلكترونية (رقمية). وما من شك في أن المصادر الإلكترونية تفوق المصادر المطبوعة بشكل أو بآخر فعلى سبيل المثال يمكننا أن نذكر النقاط التي جعلت المصدر الإلكتروني يفوق المطبوع (التقليدي) خصوصاً في مجال البحث واسترجاع المعلومات، فمن هذه النقاط ما يلي:

١ – تعدد نقاط الوصول بالنسبة للمصدر الإلكتروني إذا ما قورن بالمطبوع.

٢ – مرونة البحث في المصدر الإلكتروني عن أي كلمة ترد في هذا النص.

٣ – استخدام تقنيات بحث متقدمة (روابط منطقية، تحليل صرفي، بتر كلمات) لا يمكن بحال أن تتوافر في المصادر المطبوعة.

٤ – عندما نستخدم المصادر الإلكترونية فبإمكاننا الربط بين مصطلحين أو أكثر في عملية البحث، من أجل تحديد ما نريده بشكل دقيق.

٥ – السرعة والدقة في عملية البحث واسترجاع النصوص.

٦ – يتيح المصدر الإلكتروني مقارنة النصوص، سواء على مستوى المصدر الواحد أو عدة مصادر.

٧ – البحث العشوائي داخل نصوص المصدر الإلكتروني، بعكس المطبوع الذي يضطرنا للقراءة المستمرة والمتتابعة من أجل الحصول على المعلومة المطلوبة (هذا في حال عدم وجود الكشافات كما هو حال أغلب كتب التراث المطبوعة).

وتزداد أهمية المصدر الإلكتروني كلما كان المصدر ضخماً، ويحوي معارف كثيرة، وتكون طريقة الترتيب صعبة في عملية استرجاع المعلومات كما هو حال مسند الإمام أحمد ونهاية الأرب وغيرها من كتب التراث. ويرى علي (٢٠٠١م) أن الرقمنة "أحد المطالب الفنية الأساسية للمحافظة على تراثنا، الثابت والمنقول، المكتوب والشفاهي. وستزداد أساليب الرقمنة تعقيداً وكلفة، وربما نضطر – بسب ذلك – إلى مقايضة بعض كنوز تراثنا مقابل حصولنا على خدمات الرقمنة تلك، وعلينا أن ندرك أن كل تراث لم تتم رقمنته، سيظل بمنأى عن المعالجة المعلوماتية الآلية، ليفقد بالتالي قيمته تدريجياً إلى أن يندثر تماماً". إن الثنائية في مسألة اندثار التراث أو رقمنته ليست بهذه السهولة، وليس من ضرورة في أن يرقمن التراث العربي،

وإلا فالاندثار مآله !!. على أية حال فرقمنة مصادر التراث جدُّ مهمة، وحاجتنا لذلك في وقتنا الراهن أكثر من أي وقت مضى. ولعل أهم فوائد رقمنة مصادر التراث العربي ما يلي:

١ - الاشتراك في مصادر المعلومات بين الأفراد والمؤسسات.

٢ - التوفير المادي.

٣ - توفير الحيز المكاني.

٤ - سهولة تداول المعلومات ونقلها عبر المصادر الإلكترونية.

٥ - التواصل بين أبناء الأمة في هذا العالم عبر المصادر الإلكترونية المتاحة على شبكة الإنترنت، وهذا بدوره يوسع دائرة نطاق الاستفادة من هذه المصادر لأكبر عدد من أبناء الأمة (تقريب التراث للأجيال).

٦ - المساهمة الفاعلة في تحقيق المخطوطات، والرفع من الأداء في هذا الشأن.

٧ - تسهيل عمليات الدراسات المقارنة، سواء الشريعة، أو الأدبية، أو التاريخية، أو غيرها.

٨ - تساهم المصادر الإلكترونية في خدمة التراث وتقريب كثير من مسائله لعامة الناس.

٣-٤ معايير رقمنة مصادر التراث الإلكترونية :

حتى كتابة هذه الدراسة لم يطّلع الباحث على معايير موحدة تتبناها مؤسسات علمية، أو أكاديمية ذات علاقة بنشر التراث العربي بشكل إلكتروني. ونحتاج مثل هذه المعايير من أجل أن تستخدم من قبل مطوري برامج كتب التراث. وأغلب مصممي كتب التراث الإلكترونية يجتهدون في تصميم البرامج، لذا نرى الاختلاف بين برامج كتب التراث بين شركة وأخرى. ومن المعلوم أن كتب التراث متنوعة موضوعاتها، مختلفة طرائق ترتيبها، فالبرنامج الذي يصمم لكتب الحديث قد لا يناسب كتب الأدب، والبرنامج الذي يصمم لدواوين الشعر قد لا يناسب كتب التفسير. فعلى سبيل المثال نحتاج في دواوين الشعر البحث عن القافية أو مطلع القصيدة أو غير ذلك، بينما في البرامج الخاصة بكتب التفسير فإننا نحتاج البحث عن أية لفظة من ألفاظ القرآن الكريم وكذلك مشتقاتها، ونحتاج البحث باسم السورة ورقم الآية، وقد نحتاج البحث عن سبب النزول أو غير ذلك. أقول : ليس هناك معايير موحدة لمثل هذه المسائل المهمة، وإنما يقع الأمر على عاتق مصمم برامج كتب التراث في تحديد ما يريده، وهذا - ولا شك - سيؤثر على صناعة الكتاب الإلكتروني العربي (خصوصاً كتب التراث) على المدى البعيد.

٤ - نتائج الدراسة - واقع مصادر التراث الإلكترونية:

سنناقش هنا واقع النشر الإلكتروني لمصادر التراث، وكما سبق أن أشرنا بأن عينة الدراسة التي تم تحليلها بلغت ثمانية وخمسين (٥٨) برنامجاً محملة على أقراص ليزر، علاوة على ثلاثة مواقع عربية متاحة على الإنترنت. وسنناقش ناتج تحليل البيانات فيما يلي من الصفحات. وسيتم مناقشة الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب التراث الإلكترونية دون الدخول في نقاش بنية هذه البرامج وتقييمها من ناحية قدراتها البحثية. ونبدأ أولاً بالاتجاهات النوعية والعددية (التقسيم العام).

٤-١ الاتجاهات النوعية والعددية (التقسيم العام) :

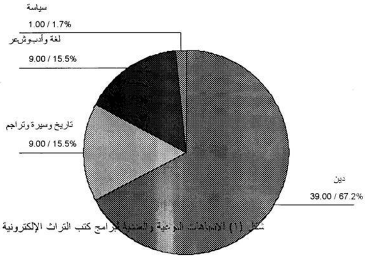
بعد تفريغ البيانات التي تم جمعها بخصوص برامج كتب التراث الإلكترونية تم تقسيمها إلى فئات أربع كما هو موضح بالشكل [١]، وهذه الفئات الأربع هي كالتالي:

١ - برامج كتب علوم الدين الإسلامي.

٢ - برامج كتب اللغة والأدب والشعر العربي.

٣ - برامج كتب التاريخ والسير والتراجم.

٤ - برامج كتب السياسة (الشرعية).



الشكل (١) الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب التراث الإلكترونية

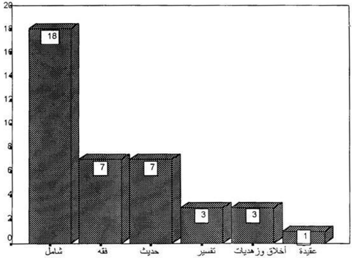
يوضح لنا الشكل [١] أن مجال علوم الدين الإسلامي حظي بالنصيب الأكبر في صناعة الكتاب الإلكتروني العربي، حيث بلغ عدد البرامج تسعة وثلاثين (٣٩) برنامجاً من أصل ثمانية وخمسين (٥٨) برنامجاً تمثل عينة الدراسة، وبنسبة تصل إلى ٦٧,٢٪ (هناك تقسيم فرعي لبرامج علوم الدين الإسلامي سيأتي لاحقاً). بينما بلغ عدد البرامج التي غطت موضوعات التاريخ والسير والتراجم تسعة (٩) برامج وبنسبة تصل إلى ١٥,٥٪. وكذلك نجد أن موضوعات اللغة والأدب والشعر العربي حصلت على النسبة نفسها، حيث بلغ عدد البرامج تسعة (٩) وبنسبة تصل إلى ١٥,٥٪. وأخيراً كان هناك برنامج وحيد غطى عدداً من كتب التراث السياسية (خصوصاً السياسة الشرعية ككتب الماوردي وغيره)، وتمثل هذه الفئة نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١,٧٪.

٤-٢ الاتجاهات النوعية والعددية (التقسيم الفرعي):

تحدثنا قبل قليل عن الاتجاهات النوعية والعددية لكتب التراث الإلكترونية بشكل عام، بينما سيكون حديثنا هنا مفصلاً، ففئات كتب التراث الأربع التي سبق الحديث عنها سيتم تقسيم كل فئة إلى عدد من الأنواع بحسب ما توصلت له نتائج الدراسة، وسنبدأ بكتب التراث الخاصة بعلوم الدين الإسلامي.

٤-٢-١ علوم الدين الإسلامي

أشرنا سابقاً إلى أن عدد البرامج الخاصة بعلوم الدين الإسلامي بلغ تسعة وثلاثين (٣٩) برنامجاً من أصل ثمانية وخمسين (٥٨). وكما هو معروف فالعلوم الشرعية أو علوم الدين الإسلامي متنوعة كالتفسير والعقيدة والحديث وغيرها. ومن أجل التعرف إلى نصيب كل علم من علوم الشريعة تم فحص البرامج الخاصة بعلوم الشريعة، والشكل [٢] يوضح لنا الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج علوم الدين الإسلامي. وفيما يلي نناقش كل نوع من هذه الأنواع على حدة ذاكرين بعض الأمثلة على ذلك.



الشكل (٢) الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب علوم الدين الإسلامي

٤-٢-١-١ البرامج الشاملة :

ونقصد بالشمول هنا: أن البرامج المدرجة تحت هذا النوع لا يمكن أن تدرج تحت غيره من الأنواع الأخرى، مثل التفسير أو الفقه وغير ذلك. بل تشتمل هذه البرامج على معظم فروع علوم الشريعة، وكما هو واضح من الشكل [٢] فعدد البرامج الخاصة بهذا النوع بلغ ثمانية عشر (١٨) برنامجاً وبنسبة وصلت إلى ٤٦٪ من العدد الكلي لبرامج علوم الشريعة (٣٩ برنامجاً). وهذه البرامج تتراوح فيما بينها من حيث عدد الكتب، ومن حيث التغطية الموضوعية أو التغطية الخاصة بالمؤلفين. فبعض البرامج تكون خاصة بمؤلفات عالم من علماء المسلمين خصوصاً (ابن تيمية، وابن القيم) حيث تكررت مؤلفات هؤلاء العلماء في أكثر من منتج وشركة. ويلاحظ على هذا النوع من البرامج أن غالبيتها يطلق عليها مسمى مكتبة أو موسوعة طالب العلم، وكما سبق فعدد الكتب المخزنة في كل برنامج تتراوح فيما بينها، فعلى سبيل المثال نجد أن برنامج «مكتبة طالب العلم الكبير» يبلغ عدد المجلدات أكثر من ٨٠٠ مجلد متاحة في هذا البرنامج مشتملاً على معظم علوم الشريعة من فقه، وعقيدة، وتفسير، وحديث .. بينما نجد برنامج مجموع فتاوى ابن تيمية لا يحتوي إلا على كتاب ابن تيمية الشهير مجموع الفتاوى (٣٥ مجلداً) علاوة على ٦٢ رسالة من رسائله.

٤-٢-١-٢ برامج كتب التفسير وعلومه :

جرت العادة عند الحديث عن علوم الشريعة أن يبدأ أولا بالتفسير وعلومه، وهذا ما جعلنا نبدأ به دون غيره. على أية حال بلغ عدد البرامج الخاصة بالتفسير وعلومه ثلاثة (٣) برامج من أصل تسعة وثلاثين (٣٩) برنامجاً خاصاً بعلوم الدين الإسلامي، وبنسبة تصل إلى ٨٪ تقريباً. والبرامج الخاصة بكتب التفسير تضم عادة كتب التفسير القديمة كالطبري وابن كثير والزمخشري وغيرهم، علاوة على كتب خاصة بعلوم القرآن، وغريبه، وكذلك طبقات المفسرين والقراء وغير ذلك من العلوم ذات العلاقة بالقرآن الكريم.

٤-٢-١-٣ برامج كتب الحديث وعلومه :

عند مراجعتي واستخدامي لبرامج كتب التراث الإلكترونية اتضح لي أن كتب الحديث حظيت بمزيد عناية مقارنة بكتب التراث الأخرى، وأكاد أزعم أن أغلب أحاديث الرسول - ﷺ - تمت إتاحتها على وسائط إلكترونية (أقراص ليزر، أو عبر شبكة الإنترنت). تمت - أيضاً - ملاحظة أن برامج كتب الحديث تتيح من الخدمات البحثية ما لا يتاح في برامج تغطي موضوعات أخرى كالتفسير، أو الفقه، أو التاريخ. على أية حال ما نحن بصدد الحديث عنه، هو عدد البرامج الخاصة بكتب الحديث، حيث يوضح الشكل [٢] أن عددها بلغ سبعة (٧) برامج وبنسبة تصل إلى ١٨ ٪ من أصل (٣٩) برنامجاً خاصاً بكتب علوم الشريعة. وهذه البرامج قدّمت خدمات جليلة لسنة المصطفى - ﷺ - لا تقدر بثمن (سيصدر - إن شاء الله- كتاب خاص عن برامج الحديث وأهميتها في عملية تخريج الأحاديث لكاتب هذه السطور). وأما فيما يتعلق بعدد الكتب التي تحويها تلك البرامج فهي تتراوح ما بين عدد محدود كما هو حال برنامج «موسوعة الكتب التسعة وشروحها»، وما بين الآلاف من الكتب الحديثية، كما هو الحال بالنسبة لبرنامج «المكتبة الحديث الشريف» (٣ أقراص ليزر) الذي يحوي أكثر من ٢٥٠٠ مجلد من مجلدات كتب الحديث أو برنامج «المكتبة الألفية للسنة النبوية» الذي يضم حوالي ١٣٠٠ مجلد. وتشتمل هذه البرامج علاوة على نصوص الأحاديث التي قالها محمد - ﷺ - على كثير من كتب الحديث ذات العلاقة، مثل: تراجم المحدثين، ومصطلح الحديث، وكتب شروح الحديث بأنواعها، وغريب الحديث .. وهذا هو المقصود من كلمة «وعلومه» المدرجة في أكثر عناوين برامج الحديث النبوي الشريف.

٤-٢-١-٤ برامج كتب الفقه وعلومه :

يعد الفقه الإسلامي من أهم علوم المسلمين وأجلها، فهو الذي من خلاله يعرف المسلم أمور دينه التعبدية والعملية (بطبيعة الحال بعد مصدري التشريع القرآن والسنة). وبرامج كتب الفقه ذات أهمية بالغة - خصوصاً - لمن يدرسون الفقه المقارن، ويقارنون بين مدارسه الفقهية، فعن طريق هذه البرامج يمكن الوقوف على أقوال علماء المذاهب بكل مدارسهم في مسألة ما. وكما هو معلوم فالمكتبة العربية تزخر بآلاف من مجلدات كتب الفقه منذ تدوين الفقه وحتى عصرنا الحاضر. إن إتاحة هذه الكتب على وسائط إلكترونية سيفتح باباً مهماً في دراسة الفقه الإسلامي المقارن . وسنذكر هنا عدد البرامج الخاصة بكتب الفقه وأصوله. فكما هو واضح من شكل [٢] فقد بلغ عدد برامج كتب الفقه سبعة (٧) برامج من أصل (٣٩) برنامجاً، وبنسبة تصل إلى ١٨٪ تقريباً. وبرامج الفقه الإسلامي تشتمل على كتب المذاهب الفقهية الموسوعية والمختصرة سواء كتب المذاهب الأربعة المشهورة أو غيرها، علاوة على الكتب الخاصة بطبقات الفقهاء وتراجمهم، وكتب أصول الفقه، وكتب مصطلحات لغة الفقهاء وغير ذلك. وبعض برامج كتب الفقه تضم حوالي ٢٣٠٠ مجلد، بينما بعض البرامج يكاد لا يتجاوز إلا عدداً قليلاً من الكتب كما هي الحال بالنسبة لبرنامج «فقه المعاملات» الصادر عن شركة حرف للتقنية. نجد - أيضاً - الكثير من كتب الفقه متاحة في البرامج التي تمت مناقشتها تحت "البرامج شاملة" في فقرة (٤-١-٢-١).

٤-٢-١-٥ برامج كتب الرقائق والزهد ومكارم الأخلاق:

هذه الفئة من البرامج خاصة بكتب الرقائق، والوعظ، والأخلاق، وكتب الزهد، وغير ذلك. وتضم هذه البرامج كثيراً من الرسائل المختصرة، أو ما يعرف بالأجزاء في موضوعات خاصة بالزهد، أو الكرم، أو

التواضع، أو الشجاعة ... وهناك من الكتب ما هو شامل لكثير من الأخلاق الإسلامية والزهد والتصوف ككتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت، ٥٠٥هـ). وأوضحت الدراسة أن هناك ثلاثة برامج خاصة بهذه النوعية من الكتب، والنسبة المئوية تصل إلى ٨٪ من أصل (٣٩) برنامجاً شرعياً، كما هو موضح في الشكل [٢].

٤-٢-١-٦ برامج كتب العقيدة والفرق والمذاهب :

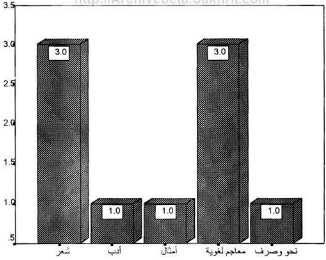
وهذه الفئة من الكتب خاصة بالموضوعات ذات العلاقة بأمور العقيدة مثل صفات الله، والأمور الغيبية، والآخرة، وغير ذلك. يضاف إلى ذلك آراء أهل الفرق والمذاهب الإسلامية وغيرها، والرد على شبه أصحاب تلك الفرق والمذاهب. وتبين من عينة الدراسة أن هناك برنامجاً واحداً خاصاً بأمور العقيدة ومقالات أهل الفرق من أصل (٣٩) برنامجاً خاصاً بالعلوم الشرعية، وبنسبة تصل إلى ٢٪ تقريباً (انظر الشكل [٢]). هذا البرنامج يحوي عدداً لا بأس به من كتب العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة، علاوة على بعض الردود المتعلقة بمسائل العقيدة.

٤-٢-٢ اللغة والأدب والشعر العربي :

هذه هي الفئة الثانية من الفئات الأربع التي كشفت عنها الدراسة، وتحوي هذه الفئة من البرامج، كتباً خاصة باللغة العربية (خصوصاً النحو الصرف) والأدب والشعر العربي. وبعد فحص هذه البرامج تبين أن التوزيع النوعي والعددي لهذه الفئة من البرامج متنوع كما هو موضح في الشكل [٣]. وفيما يلي من الصفحات نناقش كل نوع من أنواع هذه الفئة على حدة.

٤-٢-٢-١ برامج كتب النحو والصرف :

لم نعثر في عينة الدراسة إلا على برنامج واحد فقط خاص بكتب النحو والصرف، ونسبة هذه النوعية من الكتب مقارنة بالعدد العام (٩ برامج) لكتب اللغة الأدب والشعر تصل إلى ١١٪ . ومسمى هذا البرنامج «مكتبة النحو والصرف»، ويشمل عدداً من كتب النحو والصرف التقليدية وغير ذلك من الكتب ذات العلاقة بالنحو والصرف العربي.



الشكل (٣) الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب اللغة والشعر والأدب

٤-٢-٢-٢ برامج قواميس ومعاجم اللغة والمصطلحات

قد تكون هذه البرامج من أوائل البرامج ظهوراً؛ نظراً لكثرة تطبيقات واستخدامات المعاجم والقواميس اللغوية. على أية حال هناك ثلاثة (٣) برامج من أصل (٩) برامج ذات علاقة بالمعاجم والقواميس، وتمثل نسبة مئوية تصل إلى ٣٣٪. ومن ضمن هذه البرامج برنامج واحد خاص بالمعجم الشهير «لسان العرب» ، وأما البرنامجان الآخران فيضمان عدداً من المعاجم اللغوية، مثل لسان العرب علاوة على معاجم خاصة بالمصطلحات.

٤-٢-٢-٣ برامج كتب الأدب العربي :

تزخر المكتبة العربية بكثير من كتب الأدب العربي، والتي قد يعبر عنها بالموسوعات الأدبية، مثل «نهاية الأرب» و«صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» . ويوجد في هذه الكتب الموسوعية الكثير من المعلومات التي قد يصعب البحث عنها بدون كشافات تحليلية دقيقة (وهذا في واقع الأمر ينسحب على أغلب كتب التراث خصوصاً الكتب الضخمة)، ولعل إتاحة هذه الكتب وغيرها من كتب التراث يحل هذه الإشكالية التي عانى منها الباحثون كثيراً. واتضح من عينة الدراسة أن هناك برنامجاً واحداً فقط (بنسبة تصل إلى ١١٪) يحوي عدداً من كتب التراث الأدبية كـ «صبح الأعشى» و«نفح الطيب» و «البيان والتبيين» و«المستطرف في كل فن مستظرف» وغيرها من كتب الأدب الشهيرة. وهناك كتب تمت إتاحتها في هذا البرنامج (مكتبة الأدب العربي) ليس من المفترض أن تكون ضمن هذا البرنامج، مثل النهاية في غريب القرآن، ومسائل خلافية في النحو.

٤-٢-٢-٤ برامج دواوين الشعر العربي :

عند فحص البرامج الخاصة بفئة برامج كتب اللغة الأدب والشعر العربي، اتضح أن هناك ثلاثة (٣) برامج خاصة بالشعر العربي ودواوينه، وبنسبة مئوية تصل ٣٣٪. وهناك برنامج يضم مئات الدواوين الشعرية، ويحوي قرابة مليون (١٠٠٠٠٠٠) بيت من الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى سنة ١٩٥٠م، وبرنامج خاص بالمعلقات العشر وشروحها.

٤-٢-٢-٥ برامج كتب الأمثال :

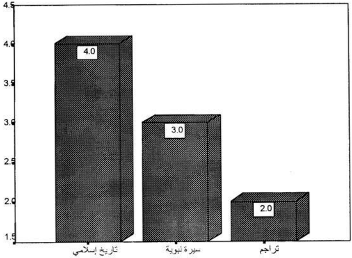
كتب الأمثال تعد نوعاً من أنواع كتب الأدب، حيث ينهج مؤلفو هذه الكتب تتبع الأمثال العربية وشرحها وتوضيح سبب الاستخدام إلى غير ذلك. وكشفت الدراسة أن هناك برنامجاً واحداً مخصصاً لهذه النوعية من الكتب. يضاف إلى ذلك أن بعض البرامج أوردت كتباً خاصة بالأمثال كما هو حال برنامج «مكتبة الأدب العربي» .

٤-٢-٣ التاريخ والسير والتراجم :

تمثل كتب التاريخ والسير والتراجم الفئة الثالثة من الفئات الأربع التي كشفت عنها الدراسة . وكما سبق ، فقد بلغ عدد هذه الفئة تسعة (٩) برامج من أصل (٥٨) برنامجاً تمثل عينة الدراسة . وفيما يلي من الصفحات سنعطي مزيداً من المناقشة لهذه الفئة من البرامج . وتتوزع برامج هذه الفئة إلى ثلاثة أنواع كما هو موضح في الشكل [٤] . ولعله من المفيد أن ننوه أن هذا التقسيم فقط للتقريب ، وإلا فهناك تداخل بين هذه الأنواع فقد نجد في البرامج الخاصة بالسيرة النبوية كتباً ذات علاقة بالتاريخ الإسلامي العام، وعكس ذلك صحيح أيضاً.

٤-٢-٣-١ برامج كتب التاريخ الإسلامي (العام) :

وهي تلك البرامج التي شملت عدداً من كتب التراث التاريخية كتاريخ الطبري وابن كثير وغيرهما. وبلغ عدد البرامج الخاصة بالتاريخ الإسلامي أربعة (٤) برامج من أصل (٩) برامج، وبنسبة تصل إلى ٤٤٪ ومن بين هذه البرامج برنامج خاص بتاريخ دمشق لابن عساكر، بينما بقية البرامج هي شاملة لبعض كتب التاريخ الشهيرة.



الشكل (٤) الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب التاريخ والسير والتراجم

٤-٢-٣-٢ برامج كتب السيرة النبوية :

نقصد هنا بالسيرة النبوية معناها الواسع ، وليس ترجمة لسيرة الرسول ﷺ فحسب . فيدخل في ذلك تراجم الصحابة، وجميع الفترة التاريخية المعاصرة لزمن الرسول ﷺ . فمكتبة السيرة النبوية على سبيل المثال تضم تاريخ الطبري ، وتضم كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) الذي يضم مئات التراجم للصحابة والتابعين إلى عصر المؤلف . علاوة على مغازي الرسول - ﷺ - فقد بلغ عدد البرامج الخاصة بكتب السيرة ثلاثة (٣) برامج من أصل (٩) برامج، وبنسبة تصل إلى ٣٣٪.

٤-٢-٣-٣ برامج كتب التراجم :

إن إفرادنا هذه النوعية من البرامج لا يعني أن برامج كتب التاريخ، وكذلك السيرة النبوية سالفة الذكر لا يوجد فيها تراجم سواء للصحابة أو لغيرهم، بل تعد كتب التاريخ العام كتاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير وغيرهما من أهم الكتب التي تورد كثيراً من تراجم العلماء والخلفاء والأمراء وغيرهم قد لا يوجد في غير هذه المصادر. على أية حال فهناك برنامجان خاصان بالتراجم وتصل نسبة ذلك إلى ٢٢٪. فالبرنامج الأول خاص بتراجم الصحابة، ويضم ١٨ عنواناً. بينما البرنامج الآخر شامل وتحت مسمى «مكتبة التراجم والرجال» حيث ذكر على غلاف هذا البرنامج، عبارة مفادها أنه يضم أكثر من مئة وخمسين ألف (١٥٠,٠٠٠) ترجمة.

٤-٢-٤ برامج كتب السياسة (الشرعية) :

هذه هي الفئة الرابعة والأخيرة من فئات البرامج التي تمثلها عينة الدراسة ، ويمثل هذه الفئة برنامج واحد فقط تحت مسمى «مكتبة التراث السياسي» ، ويضم هذا البرنامج ٣٩ عنواناً من كتب التراث السياسي (السياسة الشرعية).

ولعله من المفيد - قبل أن ننتقل إلى الحديث عن المواقع العربية المتاحة على شبكة الإنترنت والخاصة بكتب التراث - أن نذكر بعضاً من الملحوظات حول برامج كتب

التراث (مصادر التراث الإلكترونية) المحملة على أقراص الليزر (CD-ROM) ، فمن ذلك ما يلي:

١ – الاعتماد الكبير على القارئ الآلي العربي في إدخال النصوص وتخزينها دون مراجعة أو تحرير، مما نتج عنه كثير من الأخطاء الإملائية في تلك النصوص.

٢ – يغلب على معظم البرامج ضعف عام في آليات البحث.

٣ – بعض برامج مصادر التراث الإلكترونية تتجاهل وتحذف تحقيقات وتعليقات محققي تلك المصادر التي تم إثباتها في المصدر المطبوع.

٤ – بعض برامج مصادر التراث الإلكترونية لا تذكر قائمة المحتويات، والتي عادة ما تكون مثبتة في المصدر الورقي (المطبوع).

٥ – هناك ضعف عام في عرض النصوص، والتنقل بين نصوص المصدر، أو الانتقال إلى مصدر آخر ذي علاقة.

٦ – يغلب على هذه البرامج قلة المعلومات الإرشادية التي تساعد الباحث في الإفادة من هذه المصادر.

٧ – انعدام الروابط بين كثير من المعلومات ذات العلاقة التي تعالجها كتب التراث.

٨ – انعدام تعدد نقاط الوصول لنصوص كتب التراث، والاعتماد على البحث الحر فقط دون تدعيم هذه البرامج بكشافات مساعدة تخدم المصدر المطبوع الذي تم تحويله إلى شكل إلكتروني.

٩ – معاملة جميع مصادر التراث بمستوى واحد في عملية تقديم وعرض المعلومات، وهذا غير سليم؛ لأن مادة الحديث تختلف عن مادة النحو أو الشعر أو التاريخ. ونحتاج من المعالجة ما يتناسب مع كل نوعية من هذه المعلومات.

١٠– عدم وجود نسخ تجريبية لبرامج مصادر التراث الإلكترونية من أجل الاطلاع عليها قبل شرائها.

١١– قلة الدعم الفني من مقدمي هذه البرامج.

١٢– عدم مراعاة الملكية الفكرية للذين قاموا بتحقيق هذه المصادر، فيتم تخزين الكتب المحققة وبثها بشكل إلكتروني دون الرجوع إلى أصحاب الحق في ذلك (المحقق أو ناشر الكتاب).

١٣– في صناعة النشر الإلكتروني لمصادر التراث يُغلب جانب الكم على الكيف.

١٤– تقوم بعض شركات الحاسب والمنتجة لهذه البرامج بإعادة إصدار برامج بمسميات مختلفة تحوي الكتب نفسها أو جزءاً منها في إصدارات أخر.

١٥– تسلك بعض الشركات المنتجة لهذه البرامج طريقاً غير علمي حيث يتم إدراج بعض كتب التراث تحت مسميات برامج ليست ذات علاقة.

١٦– لوحظ أن بعض كتب التراث – خصوصاً المعاجم اللغوية ومعاجم الأماكن والتعريفات والكتب التي تعرف بالكتب ككشف الظنون – يتم إدراجها (تكرارها) في كثير من برامج الفقه، والحديث، والتفسير .

١٧– لوحظ أن بعض برامج كتب التراث قد تتجاوز الألف كتابٍ أو مجلدٍ ، بينما هناك برامج تقتصر على كتاب واحد فقط.

٤ – ٣ مصادر التراث الإلكترونية على الإنترنت :

يلحظ المتابع للمواقع العربية المتاحة على الإنترنت نمواً مطرداً لهذه المواقع على الشبكة يوماً بعد يوم . ونحن في هذه الورقة لسنا بصدد الحديث عن هذه المواقع، وإنما سيكون حديثنا محصوراً في تلك المواقع، أو قل – على وجه التحديد – بعض المواقع الخاصة بكتب التراث ، أي تلك المواقع التي تتيح للمستخدم البحث في كتب التراث . ولقد تم اختيار ثلاثة مواقع فقط لتكون مثالاً على المواقع

العربية الخاصة بكتب التراث . حيث سيتم التعريف بهذه المواقع والتغطية الموضوعية لها . ولعل الوقت يسمح فيما بعد بدراسة أكثر عمقاً لجميع المواقع العربية الخاصة بكتب التراث المتاحة على شبكة الإنترنت.

٤-٣-١ موقع الوراق www.alwaraq.com :

موقع الوراق "نشأ في المجمع الثقافي في أبوظبي بوصفه مشروعاً ثقافياً فريداً ليوفر أمهات الكتب في مجالات المعرفة المختلفة على الإنترنت، وسرعان ما تحول إلى فضاء ثقافي عربي طموح يسعى إلى توفير التراث العربي على الإنترنت" (جرجيس وبومعرافي، ٢٠٠١م، ص ٤٥). ويعد موقع الوراق من أهم وأشمل المواقع العربية التي تتيح الوصول إلى عدد كبير من كتب التراث في شتى المجالات. ويبلغ عدد المجالات الموضوعية العامة التي يغطيها هذا الموقع ستة عشر (١٦) مجالاً من مجالات المعرفة، مثل الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والفقه وغير ذلك. ويبلغ عدد كتب التراث المتاحة في موقع الوراق ست مئة (٦٠٠) كتاب شملت أمهات كتب التراث في شتى حقول المعرفة، وتربو عدد صفحات موقع الوراق على المليون صفحة (جرجيس وبومعرافي، ٢٠٠١م، ص ٤٥). ويتوقع أن يصل عدد الكتب في هذا الموقع بنهاية عام ٢٠٠١م إلى خمسة آلاف (٥٠٠٠) كتاب تراثي ، قد يصل عدد صفحاتها قرابة عشرة ملايين صفحة (القرشي، ١٤٢٢هـ، ص ٥٣). يتيح موقع الوراق البحث الحر في نصوص الكتب أو كل كتاب على حدة، ويستخدم طريقة البحث بالكلمة أو الجملة.

على أية حال لا يزال محرك البحث في هذا الموقع بحاجة لمزيد من التطوير والتحسين ليتلاءم مع هذه العدد الضخم من المعلومات المتاحة في هذا الموقع. ولقد قدّم القرشي (١٤٢٢هـ) بعضاً من الملحوظات والمقترحات التي من شأنها أن تحسن من موقع الوراق، مثل إضافة الروابط المنطقية، ومستويات البحث (مطابق، البحث باللواصق ..) كذلك إتاحة عملية النسخ والقص واللصق. أيضاً لاحظ القرشي كثرة الأخطاء اللغوية والإملائية في نصوص الكتب المتاحة في هذا الموقع (القرشي، ١٤٢٢هـ، ص٥٥).

٤-٣-٢ موقع حرف www.harf.com :

تعد شركة حرف لتقنية المعلومات (انبثقت عن شركة العالمية) من الشركات الرائدة في صناعة البرمجيات العربية خصوصاً ذات العلاقة بالعلوم الشرعية . ولقد أنتجت هذه الشركة عدداً من البرامج المميزة في مجال علوم الدين الإسلامي كموسوعة الكتب التسعة، وجامع الفقه الإسلامي وغير ذلك. وسيكون حديثنا هنا عن موقع حرف المتاح على الإنترنت، والذي يضم كثيراً من كتب التراث خصوصاً تلك الكتب الخاصة بالتفسير والحديث والفقه. ويعد موقعاً عربياً متميزاً لما يوفره من إمكانات بحث متقدمة تخص اللغة العربية مثل البحث عن طريق الكلمة أو ساقها (الكلمة مع لواصقها) أو عن طريق جذر الكلمة . كذلك يوفر الموقع إمكانية البحث الموضوعي في تلك الكتب . إن هذا الموقع يعد - بحق - من أفضل المواقع العربية على الإطلاق - خصوصاً - فيما يتعلق بإمكانات البحث التي لا تتوافر في كثير من كتب التراث الإلكترونية، ويا حبذا لو استفاد مطورو وناشرو الكتب الإلكترونية العربية من خبرة شركة العالمية وحرف في هذا المجال.

٤-٣-٣ موقع المحدث www.muhaddith.com :

يضم موقع المحدث عدداً من أمهات كتب التراث في مجالات عدة، ويمكن البحث في النصوص الكاملة لتلك الكتب. قسمت الكتب المتاحة في هذا الموقع إلى ثمانية (٨)

موضوعات كالتالي: قرآن، حديث، أقوال، فقه، عقدية/مصطلح، تزكية، معجم، أصول (فقه). وعندما تم استعراض الكتب الخاصة بكل موضوع وجد أن تصنيف الموضوع غير دقيق، حيث نجد تحت تصنيف المعاجم كتب التاريخ، وكتب التراجم، وكتب اللغة والمعاجم اللغوية، علاوة على الببليوجرافيا ككشف الظنون والرسالة المستطرفة للكتاني. لوحظ – أيضاً – أن هناك كتب غير تراثية ضمن هذا الموقع، وهناك – أيضاً – عدداً من الكتب ليست باللغة العربية. يمكن البحث في الموقع وفق عدد من المستويات: كل الكتب أو حسب الموضوع، وضمن الموضع يمكن البحث من خلال جميع الكتب التي تغطي الموضوع أو إمكانية البحث في كتاب واحد فقط. يدعم الموقع طريقة البحث المطابق، وكذاك استخدام الروابط المنطقية خصوصاً (و، أو). ومن أمثلة الكتب المتاحة في هذا الموقع شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (ت ١٠٣١هـ) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت ٩١١هـ)، سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ) وغيرها من كتب التراث.

٥- الخاتمة والتوصيات :

سنحاول أن نلخص هنا أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة الحالية، وقبل ذلك يحسن بنا أن نُذّكر بأن الهدف العام لهذه الدراسة هو التعرف إلى الاتجاهات النوعية والعددية لبرامج كتب التراث الإلكترونية؛ ومن أجل ذلك فقد تم مسح سوق البرامج العربية بمدينة الرياض، وكان ناتج المسح الميداني ثمانية وخمسين (٥٨) برنامجاً، علاوة على ثلاثة مواقع عربية على الإنترنت خاصة بكتب التراث. ويمكن تلخيص نتائج الدراسة بما يلي:

١ – أن برامج كتب التراث الإلكترونية التي تمت دراستها يمكن تقسيمها إلى فئات أربع: (برامج كتب علوم الدين الإسلامي، برامج كتب اللغة والأدب والشعر العربي، برامج كتب التاريخ والسيرة والتراجم، وبرامج كتب السياسة الشرعية).

٢ – أن هذه الفئات الأربع تم تقسيمها إلى عدد من الأنواع، مثال ذلك تم تقسيم فئة برامج كتب علوم الدين الإسلامي إلى برامج كتب التفسير، برامج كتب الحديث، برامج كتب الفقه .

٣ – حصلت برامج كتب علوم الدين الإسلامي على أعلى نسبة، حيث بلغ عدد البرامج ٣٩ برنامجاً وبنسبة تصل إلى ٦٧,٢٪. بينما كان نصيب برامج كتب اللغة والشعر والأدب العربي، وكذلك برامج كتب التاريخ والسير والتراجم ٩ برامج وبنسبة تصل إلى ١٥,٥٪، وكان نصيب برامج كتب التراث الخاصة بالسياسة الشرعية برنامجاً واحداً ، وبنسبة تصل إلى ١,٧٪.

٤ – أن كثيراً من كتب التراث تتكرر في أكثر من منتج.

٥ – لوحظ أن هناك تركيزاً على بعض المؤلفين ، مثل : ابن تيمية وابن القيم ، ونشر كتبهم من قبل شركات مختلفة.

٦ – لوحظ أن بعض الشركات المنتجة لكتب التراث الإلكترونية تصدر نسخاً شاملة لكثير من كتب التراث، وتصدر في الوقت نفسه نسخاً أخرى خاصة بكتب محددة مستلة من تلك البرامج الشاملة.

٧ – أن بعض الموضوعات تطغى وبشكل واضح على بعضها الآخر، خصوصاً الموضوعات ذات العلاقة بعلوم الشريعة. ولعل مرد ذلك هو الإقبال الكثير من طلبة العلم والباحثين وكذلك عامة المسلمين على الكتب ذات العلاقة بدينهم.

٨ – كثرة الأخطاء المطبعية في نصوص كتب التراث سواء المحملة على أقراص الليزر أو المتاحة على شبكة الإنترنت لبعض الشركات المنتجة، بينما نجد بعض الشركات (مثل شركة حرف للتقنية) تولي اهتماماً واضحاً في عملية تصحيح النصوص قبل إتاحتها بالشكل الإلكتروني.

٩ – عدم الاهتمام بدعم عمليات البحث في معظم برامج كتب التراث (يستثنى من ذلك بعض البرامج الجيدة).

وأما ما يتعلق بالتوصيات التي يمكن أن تقترحها هذه الدراسة ما يلي:

١ – ضرورة إيجاد معايير موحدة تصدر من جهات مؤسسية في كيفية تصميم كتب التراث الإلكترونية.

٢ – نحتاج لسن قوانين خاصة بالنشر الإلكتروني خصوصاً فيما يتعلق بكتب التراث، والتي يعدها بعض مصممي كتب التراث الإلكترونية حقاً مشاعاً لكل واحد من أفراد الأمة العربية والإسلامية، وأن ليس ثمة حرج في نشر أي كتاب تراثي بشكل إلكتروني دون الرجوع لناشره أو محققه. علاوة على ذلك، ينبغي أن يخضع نشر كتب التراث بشكل إلكتروني للرقابة، فلا ينشر إلا ما يوافق حقوق الملكية الفكرية، وأن تكون النصوص المخزنة خالية من الأخطاء المطبعية وغيرها.

٣ – بما أن كتب التراث تعد من أهم مصادر المعرفة للأمة العربية والإسلامية، فإنه والحال كذلك، ينبغي أن تتولى الجامعات والمؤسسات العلمية زمام المبادرة في نشر كتب التراث بشكل إلكتروني ، بدلاً من إتاحة المجال للناشرين التجاريين الذين يُغلِّبون – في كثير من أعمالهم – الجانب المادي على الجانب العلمي المتقن.

٤ – لعله من المفيد أن يكون هناك دعم مادي تقدمه المؤسسات ذات النفع العام غير التجاري؛ من أجل بحث القضايا الخاصة بالنشر الإلكتروني العربي على وجه العموم ، ونشر كتب التراث إلكترونياً على وجه الخصوص ، كما هي حال بعض المشاريع الغربية الرائدة.

٥ – ينبغي لشركات الحاسب التي تنتج كتب التراث بشكل إلكتروني أن تصدر نسخاً تجريبية لبرامجها، تكون مجانية أو بسعر زهيد، أو تتيح هذه النسخ على موقعها في الإنترنت؛ وذلك من أجل أن يتعرف من يرغب شراء هذه البرامج إلى مقومات كل برنامج قبل أن يقدم على دفع مبالغ مالية، ويفاجأ بتدني مستوى تلك البرامج، وهذا ما حدث لكاتب هذه السطور عند شرائه وتعامله مع بعض برامج كتب التراث.

وعلى الرغم من الهنات في كتب التراث الإلكترونية إلا أنها تعد نقلة نوعية مهمة في عملية نشرها إلكترونياً. هذا النشر المتميز الذي سيتيح آفاقا جديدة في التعامل مع كتب التراث خصوصاً فيما يتعلق بعملية البحث، ومقارنة النصوص في شتى ضروب المعرفة التي غطتها تلك الكتب. ونحن إذ نذكر بعض نقاط الضعف في بعض البرامج، فهذا لا يقلل من أهميتها ومساهمتها في حل كثير من إشكالات البحث في كتب التراث. والمستقبل يبشر بخير في أن تتحسن جودة هذه الفئة من المصادر (الإلكترونية) من أجل خدمة الباحث العربي، وتقريب هذا التراث لأبناء الأمة العربية والإسلامية أياً كان مكانهم عبر النشر الإلكتروني لهذه المصادر وإتاحتها على شبكة الإنترنت. والمجال لا يزال بحاجة لمزيد من الدراسات المستقبلية؛ من أجل تحسين عملية رقمنة مصادر التراث، والرفع من أدائها.

المراجع

* ورقة قدمت للمؤتمر والمعرض السنوي التاسع لجمعية المكتبات المتخصصة (فرع الخليج العربي) المنعقد في الدوحة في الفترة ما بين ١٩-٢١ محرم ١٤٢٣هـ الموافق ٢-٤ أبريل ٢٠٠٢م تحت عنوان المكتبات الإلكترونية الخليجية وتحديات التغيير.

- جرجيس، جاسم محمد وبهجة مكي بومعرافي. "التراث العلمي العربي والإنترنت". **المجلة العربية للمعلومات**. مج ٢٢، ع١ (٢٠٠١م): ٢٥-٥١.

- الجندي، فداء ياسر. "**موسوعة ذهبية للحديث الشريف**". PC Magazine (الطبعة العربية)، س ٤، ع١ (١٩٩٨م): ٣٨-٤١.

- الديب، عبد العظيم. **نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي الشريف: الكمبيوتر حافظ عصرنا**. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ).

- شركة حرف لتقنية المعلومات. **دليل البرامج**. (القاهرة: الشركة، ٢٠٠٠م).

- الطيار، مساعد بن صالح. "أكثر من مليون صفحة من كتب التراث على الإنترنت". **جريدة الجزيرة**، ع١٠٤٨٩ (١٤٢٢أ): ١٨.

- الطيار، مساعد بن صالح. "وقفة مع كتب التراث الإلكترونية". **جريدة الجزيرة**، ع ١٠٥٦٦ (١٤٢٢ب): ١٨.

- الطيار، مساعد بن صالح. "الكتب الإلكترونية العربية: دراسة استطلاعية". **دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات**. مج٤، ع١ (١٩٩٩م): ٣٤-٤٨.

- عارف، محمد . **في مصادر التراث السياسي الإسلامي**. (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ).

- العاني، سامي مكي وعبد الوهاب محمد علي العدواني . المكتبة : تعريف بالمصادر الرئيسة والمساعدة في دراسة اللغة والأدب. (بغداد: وزارة التعليم والبحث العلمي، ١٣٩٩هـ).

- عطية، محي الدين وصلاح الدين حنفي ومحمد خير رمضان يوسف . **دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة** . (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ).

- علي، نبيل. الثقافة العربية وعصر المعلومات: **رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١م).

- العودة، سلمان بن فهد. **ضوابط للدراسات الفقهية**. (الرياض: دار الوطن، ١٤١٢هـ).

- القرشي، خلف بن سرحان. "كتب التراث على الإنترنت مجاناً : عرض لموقع الوراق". **أحوال المعرفة**. ع٢٠ (محرم ١٤٢٢هـ): ٥٣ - ٥٥.

- المعهد العالمي للفكر الإسلامي. **علم النفس في التراث الإسلامي**/ إعداد إبراهيم شوقي عبد الحميد وآخرون؛ إشراف وتقديم محمد عثمان نجاتي وعبد الحليم محمود السيد. (فرجينيا: المعهد، ١٤١٧هـ).

- الورقي ، السعيد . **في مصادر التراث العربي** . (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ).

- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. **خبايا الزوايا**/ اعتنى به أيمن صالح شعبان. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

تأهيل أخصائيي المعلومات والمكتبات في دولة الإمارات بين الحاجة والطموح

بهجة مكي بومعرافي

عميدة شؤون المكتبات - جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مستخلص :

تشهد الدراسات الأكاديمية لعلوم المكتبات والمعلومات انتشاراً واسعاً شمل أغلب الجامعات العربية وتستثنى من ذلك دولة الإمارات .

ولا يبدو أن هناك أي مبادرة فعلية في استحداث برنامج أكاديمي للتأهيل في هذا المجال لتغطية سوق عمل تشكو من نقص شديد في الكوادر الوطنية في هذا المجال الحيوي .

وتشتمل جامعة الشارقة على عوامل عديدة تؤهلها لاستحداث برنامج لهذا الغرض وسد الحاجة لكوادر مؤهلة علمياً وعملياً للنهوض بمهنة المكتبات والمعلومات .

وقد تم استعراض المساقات الإلزامية والاختيارية لكل من الدراسات على مستوى البكالوريوس والدراسات العليا وفيها التركيز على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتخريج كوادر قادرة على التفاعل مع البيئة الإلكترونية وتسهم في تحقيق مجتمع صناعة المعرفة .

مقدمة :

تعدّ المعلومات المحرك الأساسي لتطور البشرية منذ القدم لما تقدمه من دعم للدراسة والبحث العلمي واتخاذ القرار وغيرها من نشاطات حيوية .

ومع تقدم العلوم التي صاحبها تزايد إنتاج المعلومات وظهورها في أشكال وأوعية مختلفة ولكي لا يضيع هذا الإنتاج الفكري البشري أخذ الإنسان يبحث عن وسائل تمكنه من جمعه ومعالجته وإتاحته للرواد. وكان لابد من توافر الكوادر المؤهلة للقيام بهذه الأعمال وهكذا بدأت الجامعات تولي اهتماماً كبيراً و تفتح أقساماً لتأهيل الكوادر المكتبية والمعلوماتية تأهيلاً علمياً وعملياً لتلقى على عاتقها مسؤوليات القيام بهذه المهام ، لأن الحاجات التي تفرزها الثورة الصناعية التقنية ، والتقدم المتواصل في ميادين الحياة العلمية، يتطلب من هذه الكوادر تحصيل معرفة تواكب هذا التقدم والتطور ، وحتى تكون أكثر ارتباطاً بالوسائل التكنولوجية الحديثة التي تستخدمها المكتبات وتضعها في خدمة الرواد" [1] . ومع تقدم العلوم والمعارف وتشعبها وتفرعها وازدياد اختصاصاتها ظهرت مشكلة الحجم الهائل والكم المتزايد من المعلومات وتنوع مصادرها ومراجعها وأوعيتها، ونشأت بعد ذلك مشكلة السيطرة على هذا الكم الهائل من المعلومات وضرورة تنظيمها وتصنيفها بحيث يمكن الوصول إليها عند الحاجة بالسرعة اللازمة وبطريقة مناسبة [2] ، في حين شهدت مهنة المكتبات والمعلومات تحولات كبيرة نتيجة إدخال التكنولوجيا المطورة في الممارسات اليومية للقائمين على تنظيم وتسيير المكتبات ومراكز المعلومات ، وإذا كان للمعلومات في هذا العصر دورها الحيوي والأساسي في المجتمع فلا شك في أن الحاجة ماسة وضرورية للعناصر

البشرية المدربة والمؤهلة تأهيلاً علمياً وفق خطة مدروسة لأداء واجبها في بيئة المعلومات المتغيرة[٣] .

وفي دولة الإمارات تبدو الحاجة متزايدة إلى عناصر بشرية مؤهلة وملمة نظرياً وعملياً لمواجهة التحديات التي تفرزها بيئة تكنولوجيا المعلومات المطورة التي تعمل فيها المكتبات ومراكز المعلومات في الدولة لتكون القادرة على التفاعل مع متطلباتها وعلى المساهمة في تنمية البلاد بمد صناع القرار والدارسين والباحثين بالمعلومات الصحيحة والحديثة لتشغيلها حسب الحاجة، كل في مجال اختصاصه، وهنالك عدة تخصصات تدعم اقتصاد البلاد وتنميته بصورة أو بأخرى ولكن تخصص المكتبات والمعلومات هو التخصص الذي يعنى بحفظ المعلومات في كل تخصصات العلم والمعرفة والخبرة والمهارات التي تمكن دارسيه من حصر هذا الرصيد الضخم في أوعية المعلومات فنياً وإتاحته واسترجاع معلوماته خدمة للباحثين والدارسين[٤] .

إن النقلة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تشهدها دولة الإمارات جلبت مستثمرين من كل أنحاء العالم وأضحى التعامل مع المؤسسات المتعددة الجنسيات ضرورياً وهنا تبرز الحاجة إلى معلومات دقيقة ومتجددة حتى يتمكن المتعاملون من اتخاذ القرارات الصحيحة، ومع التحولات النوعية التي تشهدها كل المؤسسات في دولة الإمارات بصورة تؤكد عزم صناع القرار على مواكبة التحولات التكنولوجية التي يشهدها العالم ، وكذلك المساهمة في صنعها .

تشير الإحصائيات إلى أن دولة الإمارات هي أول دولة عربية في استخدام الإنترنت بـ ٦٦٠،٠٠٠ مستخدم يمثل ٤٠٪ من إجمالي سكان الإمارات ، كما تشغل الرتبة العاشرة في العالم[٥] .

ومدينة الإنترنت بدبي والحكومة الإلكترونية ما هما إلا نتيجة للتطور التكنولوجي في البلاد التي تسير بخطى حثيثة لتحقيق بيئة إلكترونية متكاملة تتفاعل فيها كل القطاعات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وسوف يكون لذلك تأثيره الواضح على المكتبات ومراكز المعلومات من حيث طبيعة العمل والإجراءات وبالتالي على مصادر المعلومات وأماكن وجودها وطبيعتها وطرق تنظيمها واسترجاعها ، وعلى نوع العاملين في هذه المؤسسات وطبيعة مهارتهم . لذلك أصبحت مسالة تأهيل الكوادر الوطنية للعمل في المكتبات ومراكز المعلومات من المسائل الهامة التي يجب أن يوليها أصحاب القرار اهتمامهم لتصبح قادرة على جعل المكتبات ومراكز المعلومات في البلاد مسايرة لعصر تكنولوجيا المعلومات ومجتمع المعرفة الذي يتخلى تدريجياً عن النظم التقليدية .

ومن ثم تبرز أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى اقتراح برنامج تأهيل أخصائيي المكتبات والمعلومات في جامعة الشارقة. إن المكتبات في الدولة تعتمد بشكل أساسي على العمالة الوافدة وذلك لعدم توافر مختصين إماراتيين في هذا المجال وهكذا أصبحت أغلب المكتبات ومراكز المعلومات تعاني من قصور من نواح مختلفة في ضوء التكنولوجيا المتاحة والمتطلبات الجديدة للمهنة التي أصبح فيها الإلمام نظرياً وعملياً ضرورة أساسية بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات .

مشكلة البحث :

بالرغم من أن كل أنواع المكتبات متوافرة في دولة الإمارات إلا أننا لم نعثر على أي دراسة قد أجريت لتحديد احتياجات هذه المؤسسات من القوى العاملة الوطنية ، كما أنه لا توجد أي استراتيجية واقعية لتدريب من هم على رأس عملهم في تلك المؤسسات مما يضطرها لجلب العمالة في مجال المكتبات والمعلومات من دول عربية وأجنبية .

ويعمل هذا البحث على اقتراح برنامج أكاديمي لتأهيل أخصائيي المكتبات والمعلومات لسد حاجة المؤسسات المختلفة في هذا المجال .

فرضيات البحث :

يفترض هذا البحث أن هناك حاجة كبيرة لمؤهلين للعمل في المكتبات ومراكز المعلومات ، وأن هذه الحاجة ستبقى قائمة بل تزيد مع التطور التكنولوجي الذي تشهده البلاد والذي سوف يكون له أثره الواضح على العمل في تلك المؤسسات ، حيث إن المعلومات تعد المحرك الأساسي في تطور الشعوب .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في البيانات التي يوفرها ، ويمكن أن تسهم في وضع استراتيجية واضحة لاستحداث برنامج أكاديمي في علوم المكتبات والمعلومات في جامعة الشارقة ، مما سيكون له أثر إيجابي في ملء سوق العمل في هذا المجال بمتخصصين مواطنين مؤهلين تأهيلاً أكاديمياً للعمل في المكتبات ومراكز المعلومات في الدولة بكفاءة عالية .

حدود البحث :

يهتم البحث بالجوانب التي عرضتها مشكلة البحث وفرضياته فقط ، ولا اهتمام له بأي جوانب أخرى تخص برامج المكتبات والمعلومات القائمة في الجامعات العربية والخليجية.

الدراسات السابقة :

على الرغم من وجود عدد كبير من الدراسات التي تناولت تعليم علوم المكتبات والمعلومات في الوطن العربي باللغة العربية والأجنبية (إنجليزية وفرنسية) إلا أن الباحثة لم تعثر على أي دراسة تخص دولة الإمارات سواء كانت تتناول طرق تدريب العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات أو محاولات لاستحداث برنامج أكاديمي لتأهيل القوى العاملة الوطنية في هذا المجال ، ما عدا دراستين إحداهما أعدها عماد الصباغ في بحثه الموسوم "واقع ومستقبل التعليم الأكاديمي في علم المعلومات والمكتبات في دول الخليج العربية "[٦] وقد عرض فيه الباحث البرامج التي تطرحها الجامعات في الدول الخليجية حيث أشار إلى أنه لا يتوافر في دولة الإمارات أي نوع من التأهيل الأكاديمي في علم المعلومات أو المكتبات وأن برامج نظم المعلومات المتوفرة لا تدخل ضمن برامج علم المعلومات .

وفي بحث آخر قدمته بومعرافي بعنوان Library and Information Services in UAE : a Review[٧]، وقد احتوى هذا البحث عرضاً واقعياً لبعض المكتبات في البلاد التي اطلعت عليها الباحثة أثناء زيارة قصيرة للإمارات عام ١٩٩٦م .

وقد بينت أنه لا يوجد أي برنامج تعليم نظامي في المكتبات والمعلومات ويتم الاكتفاء بجلب المؤهلين في هذا المجال من الدول الأجنبية والعربية ، وقد أكدت الباحثة ضرورة استحداث برنامج لتأهيل القوى العاملة الوطنية لتأخذ على عاتقها تطوير المؤسسات القائمة واستحداث أخرى حسب ما تطلبه الحاجة .

علم المكتبات والمعلومات: خلفية تاريخية:

يُعدُّ علم المكتبات والمعلومات من العلوم التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ويرجح أن أول من نادى بضرورة التأهيل للعمل في المكتبات هو عالم ألماني ، غير أن الأدبيات تؤكد أن ملفيل ديوي هو أول من اقترح أول برنامج نظامي لتعليم المكتبات ١٨٨٧م وأسماه اقتصاد المكتبات LIBRARY ECONOMY وألحقه بجامعة كولومبيا بنيويورك[٨] وأخذ هذا العلم ينتشر بسرعة في مختلف الجامعات والمعاهد عبر العالم وانتقل إلى الجامعات العربية حيث أسس أول قسم لتدريس علوم المكتبات في عام ١٩٥١م في جامعة فؤاد الأول سابقاً / جامعة القاهرة حالياً ، وقد شهد النصف الأخير من القرن الماضي استحداث العديد من البرامج الأكاديمية في علوم المكتبات والمعلومات في الجامعات العربية تراوحت بين الدبلوم

المتوسط إلى الدكتوراه ، وفي الوقت الحالي لا تكاد تجد بلداً عربياً تخلو إحدى جامعاته من برنامج نظامي لتدريس علوم المكتبات والمعلومات بما فيها دول مجلس التعاون الخليجي ، فهناك ثمانية برامج في الجامعات المصرية وستة في الجامعات السعودية وخمسة برامج في السودان وثلاثة برامج في ليبيا ومثلها في الجزائر وبرنامجان في الجامعات العراقية ومثلها في الكويت وبرنامج في تونس وآخر في المغرب ومثله في كل من سلطنة عمان واليمن والأردن والبحرين وقطر ويستثنى من ذلك دولة الإمارات التي لا تطرح أيٌ من مؤسساتها الأكاديمية هذا التخصص رغم سوق العمل التي تشكو من نقص شديد من الكوادر المؤهلة .

وتحاول الباحثة وضع تصور لقسم المكتبات والمعلومات نسبة لازدياد عدد المكتبات ومراكز المعلومات وحاجتها المتواصلة لكوادر مؤهلة تعمل بكفاءة عالية ، ولاسيما أن المؤسسات التعليمية لم تعط الاهتمام الكافي لموضوع تأهيل الكوادر المناسبة لهذا السوق المتنامي مما يتيح لجامعة الشارقة أن تتولى هذا الموضوع بالاهتمام والرعاية تأكيداً لأهدافها السامية في خدمة المجتمع المحلي وتغذية سوق العمل بالخبرات المطلوبة وخاصة الملحة منها في ظل سياسة التوطين التي انتهجتها الدولة في السنوات الأخيرة لتحقيق التنمية الشاملة .

في واقع الحال يبدو أن جامعة الشارقة هي الجامعة الوحيدة في الدولة التي أقرت ضمن متطلباتها بعض المساقات التي تقع ضمن تخصص المكتبات والمعلومات مثل المدخل إلى المكتبات ونظم المعلومات وهو متطلب جامعة ، وأدب الأطفال والمكتبة والبحث وغيرها مما قد يؤهل الطلبة للتعامل مع مصادر المعلومات وفقاً لأفضل السبل ، إلا إن السيطرة على قطاع المعلومات في المجتمعات المعاصرة تحتاج إلى خبرات بشرية مؤهلة تأهيلاً علمياً متكاملاً لأداء عملهم على أكمل وجه في المؤسسات التي تعنى بالمعلومات ، إن المكتبات في دولة الإمارات تستقطب متخصصين من الدول الأجنبية والعربية مما قد يسهم في التخفيف من حدة النقص في الخبرات الوطنية المتخصصة لكن ذلك لن يوفر حلولاً ملائمة للحاجات الحالية أو للمرحلة المقبلة التي يزداد فيها التعامل بدقة وكفاءة مع البيانات والمعلومات المتوافرة داخل البلد وخارجه نظراً للتطورات السريعة التي يعيشها العالم عامة والإمارات خاصة. وهكذا أصبح من الضروري بناء منهج تعليمي يتجاوب مع المتطلبات الحالية والمستقبلية والتفكير جدياً بإعداد أخصائيي مكتبات ومعلومات بما يتواءم مع احتياجات المكتبات وقطاعات المعلومات المختلفة في الدولة. ويراعى في تصميم برنامج التأهيل الوضوح في الأهداف والتجاوب مع الحاجات التنموية للمجتمع المحلي والتناسق مع تقنيات العصر متبصرين بآفاق تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

إن جامعة الشارقة لها ميزة قد لا نجدها في الجامعات الأخرى وهي ميزة البدء من الصفر وليس هذا هو الحال في العديد من مؤسسات التعليم العالي الأخرى في البلاد لذلك فإن فرصة التخطيط لمنهج حديث يتواءم مع التوجهات المحلية والعالمية الحالية والمستقبلية ما زالت قائمة ومتاحة وهي فرصة نادرة وليس من المنطقي إهمالها في ظل الحاجة الملحة كما أن تنفيذ مثل هذا المشروع سيعطي لجامعة الشارقة خصوصية واضحة تميزها عن نظيراتها في الدول وتؤهلها لأن تكون لها مساهمة فعالة في تطوير سوق المعلومات بمده بالخبرات المطلوبة في عصر اقترن بالمعلومات نسبة للاعتماد عليها في كل مجالات الحياة .

فدولة الإمارات تواجه سلسلة غير متناهية من الأحداث والتغيرات على الصعد الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية وغيرها التي تتطلب صناعة قرارات متتالية بعضها قرارات بسيطة وروتينية في حين أن بعضها الآخر قرارات مهمة للغاية ولكي تكون هذه القرارات صحيحة فلا بد من توافر قدر معين من المعلومات ، "حيث تؤكد بعض الدراسات أن القرارات الناجحة تعتمد في ٩٠٪ على المعلومات الصحيحة التي تتوافر، في حين أن ١٠ ٪ فقط من عوامل اتخاذ القرار تعتمد الخبرة الشخصية والحدس والتوقع وغير ذلك من إمكانيات شخصية وذاتية "(٩) .

الحاجة إلى تأهيل أكاديمي في علوم المكتبات والمعلومات:

لقد أظهرت التطورات المتسارعة في دولة الإمارات على مختلف الصعد ضرورة الاعتماد على المعلومات الدقيقة والمتجددة الأمر الذي استلزم وجود الشخص الذي تناط به مهمة تنظيم المعلومات وإتاحتها للباحث والدارس وصانع القرار في الوقت والمكان الذي يناسب كلّاً منهم ولذا أصبح من الضروري أن يتلقى هذا الشخص تعليماً أكاديمياً على مستوى عالٍ لأداء عمله بكفاءة . كما أن المكتبة هي التي تمد القطاعات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية بالمعلومات التي تمكنهم من تحقيق هدفهم الرئيس في البحث والتنمية R&D . إن معظم المكتبات في الدولة بحاجة الى مدها بمتخصصين في علم المكتبات والمعلومات لكي تنهض بمستوى الخدمات التي تقدمها لروادها المعنيين بصفة أو بأخرى بالبحث والتنمية ، وفي ظل عدم وجود برامج لتدريس المكتبات والمعلومات في الإمارات فإنه يصبح دور المكتبات والمعلومات في تنمية البلاد مفقوداً تماماً.

وهنا تظهر ضرورة استحداث مثل هذه الدراسات آخذين بعين الاعتبار التطورات العلمية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في البلاد والعالم ومواكبة متطلبات العصر في إعداد كوادر مهنية للعمل في المكتبات ومراكز المعلومات بأنواعها المختلفة لتتولى فيها أعمال التنظيم وإدارة الإنتاج الفكري وتقديمه للمستفيدين بالشكل والنوع والكم اللازم لتحقيق الإفادة القصوى من خدمات دقيقة وسريعة للمعلومات (١٠) .

وهنالك عوامل كثيرة تستدعي الاهتمام بالقوى العاملة في المكتبات وإعدادها الإعداد الأكاديمي الذي يزودهم بالمهارات والمعرفة للقيام بعملهم بطرق علمية مقننة ونورد بعض هذه العوامل فيما يلي :

* الاهتمام بالتعليم عامة والتعليم العالي خاصة والبحث العلمي بما يسهل تحويل المجتمع الإماراتي إلى مجتمع متحضر ومواكب للتطور الذي يحدث في العالم وهذا يشكل تحدياً للمكتبات .
* الاهتمام بنشر الثقافة التقنية والإلكترونية بما يحقق محو الأمية التكنولوجية والمعلوماتية بين أفراد المجتمع .
* انتشار المكتبات في الدولة وخاصة الجامعية منها وتركيزها على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مهامها.
* مدينة دبي للإنترنت توفر أرضية جيدة لبناء أجود نظم معلومات إلكترونية .
* انتشار نظم التعليم عن بعد وبواسطة الإنترنت مما يتطلب نظم مكتبات ومعلومات آلية متطورة لتوصيل خدماتها إلى الرواد دون التقيد بالمكان والزمان مما يستوجب توفر الكوادر المؤهلة لتعميم مثل هذه النظم .

ويمكن تلخيص هذه العوامل في ثلاثة محاور رئيسة:

١ - العوامل التكنولوجية : إن الاهتمام الكبير بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي وضعت الإمارات في مقدمة الدول العربية وفي مستوى بعض الدول الغربية نفسه أحدث انتشاراً واسعاً لتطبيقات التكنولوجيا في جميع القطاعات بما فيها المكتبات .

٢ - العوامل الاجتماعية : حيث يزداد الوعي بأهمية

المعلومات في رفع مستوى الحياة عند الأفراد وتحقيق الجودة في ممارساتهم اليومية في كل مجالات الحياة وممارسة حرياتهم بمسؤولية.

٣ – العوامل الثقافية : انتشار الثقافة التكنولوجية وحرص الدولة على إدخال تطبيقاتها في كل مجالات الحياة .

إن مثل هذه العوامل توفر البنى التحتية اللازمة لبناء مناهج تعليم علم المكتبات والمعلومات لتستجيب لمتطلبات العصر.

وفي هذا الشأن يجب أن يكون المنهج التعليمي المقترح منسجماً مع واقع البلاد واحتياجاتها ومع تقدم المكتبات والمعلومات في العالم وما تتطلبه ممارسة المهنة بعد التخرج ، "وأن يأخذ في الاعتبار التغيرات الهامة والسريعة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية في البلاد والتي تحدث أثراً على تنظيم خدمات المعلومات والاتجاهات الحديثة في تعليم المكتبات والمعلومات [١١] .

حاجات المكتبات في الدولة للكوادر المؤهلة:

توجد في الدولة كل أنواع المكتبات المتعارف عليها ولكن لم تتوفر لدينا إحصائيات دقيقة لذكر عددها وفي غياب ذلك سوف تبنى الاحتياجات على نسبة عدد المستفيدين وحاجاتهم إلى أخصائيي المكتبات والمعلومات في الأنواع الرئيسة للمكتبات طبقاً للمعايير الدولية :

١ – المكتبات المدرسية: يطلق اليوم على هذا النوع من المكتبات تسمية مراكز مصادر التعليم Resource Learning Center لكونها إحدى المرافق الحيوية في العملية التعليمية وغرس ثقافة البحث عن المعلومات لدى التلميذ وتهيئته ليصبح باحث المستقبل ، وتشير إحصائيات إلى أنه يوجد في دولة الإمارات ٥١٥٠٠٠ تلميذ [١٢]، وتشير المعايير الدولية الى ضرورة إيجاد مكتبي متخصص لكل ٥٠٠ تلميذ، وبعملية حسابية بسيطة تصبح حاجة الدولة لمتخصصين في المكتبات المدرسية لا تقل عن ١٠٣٠ متخصصاً .

٢ – المكتبات الجامعية: يوجد بالدولة عدد كبير من مؤسسات التعليم الجامعي منها الخاص والحكومي وعدد الطلبة في جامعة الإمارات وكليات التقنية وجامعة زايد بفرعيها وجامعة الشارقة والجامعة الأمريكية في الشارقة يقدر بـ ٣١٠٠٠ طالب وهنا كذلك تقتضي المعايير الدولية ضرورة توظيف متخصص لخدمة ٥٠٠ طالب وهكذا تصبح هذه الجامعات المذكورة في حاجة إلى ٦٢٠ كادراً مكتبياً مؤهلاً للعمل في تقديم خدمات المعلومات فقط ، زيادة على الحاجة للمتخصصين للقيام بالأعمال الفنية الأخرى التي لا تقل أهمية عن خدمات المعلومات.

٣ – المكتبات العامة: توجد المكتبات العامة لخدمة جميع فئات المجتمع ولها دور حيوي في رفع المستوى الثقافي للمجتمع . تشير إحصائيات ١٩٩٨م[١٣] إلى وجود ٢٧٥٩٠٠٠ نسمة من مواطنين ووافدين في حين تنص المعايير الدولية على ضرورة متخصص لخدمة كل ٢٥٠٠ شخص ، وبما أن المكتبات العامة تخدم كل فئات المجتمع وشرائحه أصبحت الحاجة إلى ١١٠٣٠ متخصصاً في المكتبات العامة .

ومما سبق تصبح حاجة هذه الأنواع الثلاثة من المكتبات للمتخصصين على النحو التالي :

١٠٣٠	مؤهلاً للمكتبات المدرسية
٦٢٠	مؤهلاً للمكتبات الجامعية
١١٠٣٠	مؤهلاً للمكتبات العامة

وهنا تبرز الحاجة إلى قسم لتأهيل المكتبيين وأخصائيي المعلومات ومن ثم تبرز أهمية هذا المقترح.

أسس التأهيل :

يؤسس قسم أكاديمي مستقل يسمى "قسم تكنولوجيا المكتبات والمعلومات" ، ويهدف إلى تحقيق الغاية

الأكاديمية وفق الاتجاهات الحديثة من الحاجات التي تتطلبها برامج التنمية الوطنية ومنها بتقدير حاجات المكتبات ومراكز المعلومات . وإن أي تطوير في هذا الاتجاه لا بد أن يعكس الواقع وآفاق المستقبل مع السعي لإحداث تغيرات وإضافة معلومات جديدة حسب الحاجة التي تفرزها التطورات في مناهج التعليم عامة وعلوم المكتبات والمعلومات خاصة محلياً ودولياً وفي خلق فرص عمل جديدة أيضاً "(١٤) . لذلك لا بد لصناع القرار في الدولة من أن يقدروا حجم الحاجات ويرصدوا الإمكانيات اللازمة التي تلبي هذه الحاجات .

ويعمل القسم على سد الاحتياجات الوطنية للمكتبيين وذلك بتحقيق الأهداف التالية :

١ - التكوين المهني في مجال المكتبات والمعلومات وتخريج كوادر قادرين على تنظيم المكتبات ومراكز المعلومات وإدارتها بكفاءة عالية في ظل التطورات التي يشهدها عالم المكتبات والمعلومات ومجتمع صناعة المعرفة .

٢ - تنمية مهارات العاملين بالمكتبات ومراكز المعلومات وتزويدهم بمهارات جديدة والمعارف التي يتطلبها التطور الذي حصل في عالم المعلومات.

٣ - المساهمة بالنهوض بالمهنة عن طريق الدورات والاستشارات الفنية للتحسين المباشر لخدمات المعلومات المتاحة حالياً .

٤ - المساهمة في تعزيز البحث العلمي في مؤسسات المدينة الجامعية بالشارقة بإمدادها بالمعرفة والمهارات المطلوبة لإدارة مصادر المعلومات .

٥ - فتح المجال للحاصلين على مؤهلات أخرى لدخول مهنة المكتبات والمعلومات وإفادتها بتخصصاتهم في مواقع Subject specialists .

محتوى المنهج والمواد التدريسية :

هناك عدة مستويات من التأهيل في علوم المكتبات والمعلومات منها الدبلوم المتوسط والبكالوريوس والدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه . ونظراً لوضع المكتبات التي تشكو من نقص شديد للمتخصصين الإماراتيين على كل المستويات الفنية والخدمية والقيادية فإن استحداث أحد هذه البرامج ضروري ويمكن أن يقتصر التكوين على مستوى الدبلوم العالي أو الماجستير ويراعى في المنهج الدراسي أن يغطي المحاور الرئيسية والتي تمثل الأعمدة الأساسية في مناهج علوم المكتبات والمعلومات حالياً والاتجاهات الحديثة ونظراً لأهمية الدور الذي تقوم به المكتبات ومراكز المعلومات في خدمة التنمية والتعليم والبحث في أي مجتمع وحاجة هذه المؤسسات إلى الأشخاص المؤهلين تأهيلاً فنياً يمكنهم من اختيار واقتناء مصادر المعلومات الملائمة وإعدادها الإعداد الفني المناسب وإنجاز أنشطة الخدمة والاسترجاع فضلاً عن التنظيم وإدارة تلك المؤسسات في ضوء مستحدثات العصر من تكنولوجيا وأنظمة "(١٥) .

ويمكن تلخيص هذه المحاور في أربع نقاط وهي :

١ - إدارة وتسيير المكتبات ومراكز المعلومات المختلفة .

٢ - إجراءات معالجة المعلومات وتنظيمها وإعدادها .

٣ - أنشطة استرجاع المعلومات وإتاحتها للرواد .

٤ - تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المكتبات المعاصرة .

في ضوء ما تقدم تم اختيار متطلبات نيل هذه الدرجة من المساقات الأساسية لما تتضمنه المناهج المماثلة في الجامعات العريقة ، أضيف اليها مساقات تعكس اهتمامات وحاجات المجتمع المحلي ، كما تمت مراعاة التناسق والتكامل بين مختلف المساقات النظرية والعملية ، بما يؤهل الخريج للعمل في أي نوع من المكتبات أو مراكز المعلومات دون عوائق أو حاجة لمرحلة تأهيلية ، سواء من حيث اللغة أو المضامين النظرية .

وفيما يلي قائمة بهذه المساقات تشتمل على متطلبات التخصص الإلزامية والاختيارية :

أولاً : قائمة المساقات الإلزامية المقترحة:

- المدخل لعلم المعلومات والمكتبات .
- مجتمع المعلومات .
- مصادر المعلومات .
- لغة عربية متخصصة .
- لغة إنجليزية متخصصة .
- تجهيز المعلومات وتقديمها .
- تحليل المعلومات وتنظيمها .
- سلوكيات البحث عن المعلومات .
- مدخل إلى علوم الحاسوب .
- إدارة مصادر المعلومات وبناء المجموعات .
- المدخل إلى علم الاتصال .
- تكنولوجيا المعلومات والاتصالات .
- نظم المعلومات الإلكترونية .
- اتجاهات حديثة في المكتبات والمعلومات .
- إدارة مؤسسات المعلومات .
- أتمتة إجراءات مكتبية .
- تكشيف واستخلاص .
- شبكات المعلومات .
- نظم خزن المعلومات واسترجاعها .
- الوسائط المتعددة .
- قواعد البيانات .
- تطبيقات الإنترنت .
- تدريب عملي .
- تحليل وتصميم نظم المعلومات .
- مبادئ في الببليومتركس .
- مناهج البحث .
- مشروع التخرج .

ثانياً : قائمة المساقات الاختيارية المقترحة:

- تاريخ المكتبات والمعلومات عند العرب .
- تصميم مواقع المكتبات على الإنترنت وإدارتها .
- المخطوطات العربية والإسلامية .
- مصادر التراث العربي الإسلامي .
- المطبوعات الرسمية الحكومية .
- أدب الأطفال .
- تصميم المكتبات الإلكترونية وإتاحة الخدمات عن بعد.
- مصادر المعلومات في العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- مصادر المعلومات في العلوم التطبيقية .
- نظم المعلومات الجغرافية .
- سيكيولوجيا المطالعة .
- تسويق المعلومات .

مقترح الدراسات العليا دبلوم أو ماجستير

المساقات الإلزامية :

- علم المعلومات والمكتبات
- مجتمع المعلومات .
- سلوكيات البحث عن المعلومات .
- لغة إنجليزية متخصصة .
- تنظيم المعلومات وتحليلها .
- إدارة مؤسسات المعلومات .
- مساقات اختيارية .
- مناهج البحث .
- قواعد المعلومات ونظمها .
- إدارة وبناء المصادر والمجموعات .
- شبكات المعلومات.
- التكشيف والاستخلاص.
- تطبيقات الإنترنت .
- مساقات اختيارية .
- كتابة الأطروحة .
- تدريب ميداني .

الخاتمة :

أخذت دراسات علوم المكتبات والمعلومات تنال اهتماماً واسعاً في الجامعات العربية منذ منتصف القرن العشرين، ولا توجد في دولة الإمارات أي مؤسسة أكاديمية توفر هذه الدراسات ومع التحولات التي تعرفها المكتبات ومراكز المعلومات في عالمنا المعاصر والحاجة المتنامية لخدمات المعلومات في كل قطاعات المجتمع الإماراتي تضع الساهرين على تقديم هذه الخدمات المعلومات أمام مهام جديدة تستدعي تأهيلاً نظرياً وعملياً لمواجهة التحديات ورفع مستوى المهنة في البلاد .

إن الفرصة مناسبة جداً أن تأخذ جامعة الشارقة المبادرة في تغذية سوق العمل التي لا تزال تفتقر إلى كوادر مؤهلة تأهيلاً أكاديمياً لمواجهة التطورات التي تشهدها المكتبات ومراكز المعلومات وذلك من خلال استحداث قسم لتقديم برامج دراسية في تكنولوجيا المكتبات والمعلومات ، إضافة إلى توفير الدورات التدريبية إلى من هم على رأس عملهم في مختلف أنواع المكتبات ومراكز المعلومات في الدولة بهدف تحسين الأداء في تلك المؤسسات والارتقاء بالمهنة .

الهوامش والمراجع

١ - صوفي ، عبد اللطيف : التكوين الجامعي في علوم المكتبات والمعلومات على مشارف القرن الواحد والعشرين، **المجلة العربية للمعلومات** ، مج ١٨، ع٢، ١٩٩٧م ص ٣١ - ٨٤ .

٢ - عيون السود ، نزار : واقع وآفاق استخدام تكنولوجيا المعلومات في جامعة دمشق ومكتبتها ، في: **وقائع المؤتمر الثاني للاتحاد العربي للمعلومات والمكتبات (إعلم) حول : تكنولوجيا المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات العربية بين الواقع والمستقبل** . القاهرة : ٤ نوفمبر ١٩٩٧م .

٣ - أبو بكر ، يوسف ، يوسف جلال: مهنة المكتبات والمعلومات : الواقع والطموح بين النظرية والتطبيق ، في : **وقائع المؤتمر الثامن للاتحاد العربي** .. المصدر نفسه .

٤ - عبد الهادي، محمد فتحي : **المكتبات والمعلومات .. دراسات في الإعداد المهني** .- القاهرة: الدار العربية للمكتبات، ١٩٩٣م.

٥ - **http:// news. Ajeeb.com** (accessed 22nd march 2001)

٦ - الصباغ ، عماد عبد الوهاب : واقع ومستقبل التعليم الأكاديمي في علم المعلومات والمكتبات في داخل دول الخليج العربية . **رسالة المكتبة** ، مج ٣٢ ، ع٣ ، ١٩٩٧م.

٧- Boumarafi, Behdja , Library and Information Services in the United Arab Emirates : As preview (**International Information and Library Review** , 1996).

٨ - Boumarafi, Behdja , **Library and Information Education from work,** PhD. Thesis

٩ - الصباغ ، عماد عبد الوهاب: مستقبل دراسات علوم المعلومات، **المجلة المغاربية للتوثيق** ، ع٩٠ ، ١٩٩٨م.

١٠- الصباغ ، عماد عبد الوهاب : مقترح لإعداد أخصائي المعلومات العرب ، التوثيق الإعلامي ، ع ١، ١٩٩٨م .

١١- بومعرافي، بهجة: **تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المكتبات الحديثة**.- عمان : دار الفرقان ، ١٩٩٧م .

١٢- **مؤثرات التنمية في دولة الإمارات : الإنجازات والتوقعات** - أبوظبي : ديوان ولي العهد ، إدارة البحوث والدراسات ، ١٩٩٩م .

١٣- **Factbook** .

١٤- صوفي ، عبداللطيف : مصدر سابق .

١٥- عبدالهادي ، محمد فتحي، وأسامة السيد محمود : **دراسات في تعليم المكتبات والمعلومات** ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٥م .

استخدام الإنترنت في المكتبات الجامعية في السعودية وبعض الدول العربية والغربية

فالح بن عبدالله الضرمان

قسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

تمهيد :

تواجه المكتبات الجامعية في هذا العصر تحديات كبيرة وضغوطاً متزايدة يأتي في مقدمتها تزايد الطلب على الخدمات وتنوع مصادر المعلومات . وتحتل المكتبات الجامعية التي تبحث دائماً عن سبل جديدة لتطوير خدماتها مرتبة عالية في كثير من الدول خاصة الدول المتقدمة لدورها الريادي البارز في دعم الدراسات الأكاديمية ومساندة الجهود البحثية والعلمية . ولذا نجد المسئولين عنها يبحثون بصفة مستمرة عن الأساليب والطرق التي تساعدهم على تحقيق أهداف مكتباتهم وتطوير خدماتها وبرامجها. ومما لا شك فيه أن البرامج التعاونية المبنية على النظم الشبكية هي من أبرز وأحدث هذه الأساليب وقد أصبحت مجالاً مهماً لكثير من الدراسات والأبحاث وتستحق المزيد من البحث والتقصي لتفعيل خدماتها والاستفادة من الخدمات المتنوعة والمنافذ الجديدة التي تقدمها النظم الشبكية في الوقت الحاضر .

وشبكة الإنترنت العالمية تعد من أحدث وأعقد الشبكات المعاصرة وأكثرها استقطاباً للناس على مختلف مستوياتهم ومؤهلاتهم . ولما تحظى به من اهتمام بالغ في المكتبات الجامعية فإنه من الضروري إجراء دراسات فاحصة ومنظمة لتحديد مآثرها ومعوقات استخدامها والاستفادة منها . كما أن الاطلاع على خبرات الآخرين في البلاد العربية والغربية سوف يساعد على تقييم الوضع، وتحديد المسار المناسب الذي يجب على المكتبات السعودية أن تنهجه عند الارتباط بشبكة الإنترنت والاستفادة مما توفره من خدمات .

أهداف البحث وتساؤلاته :

يهدف هذا البحث إلى التعريف بشبكة الإنترنت وتحديد كيفية استخدامها ومجالاته في المكتبات الجامعية السعودية وبعض المكتبات في بعض الدول العربية والأجنبية كما يهدف إلى الإجابة عن التساؤلات البحثية التالية :

١ - ما الخدمات التي تقدمها شبكة الإنترنت للمكتبات الجامعية ؟

٢ - ما الأساليب والطرق المستخدمة للحصول على خدمات الإنترنت ؟

٣ - ما التجهيزات والمستلزمات المطلوبة للارتباط بالإنترنت؟

٤ - ما مدى استعداد مكتبات الجامعات السعودية لإدخال شبكة الإنترنت والاستفادة منها .

٥ - ما خبرات المكتبات الجامعية في الدول الأخرى (العربية والغربية) مع الإنترنت ؟

٦ - ما المعوقات والمشكلات التي تواجه استخدام الإنترنت في مكتبات الجامعات السعودية ؟

٧ - ما المقترحات والتوصيات المناسبة للاستفادة من شبكة الإنترنت في المكتبات الجامعية في المملكة ؟

أهمية البحث :

توقع الباحث أن تكشف هذه الدراسة عن الطرق

السليمة للاستفادة من شبكة الإنترنت وتقديم حقائق حول مدى ونوعية استخدامها والأساليب التي يمكن بواسطتها خدمة المستفيدين وتطوير خدمات المكتبات . وطالما أن الجهات المسئولة في المملكة العربية السعودية قد قامت بتوفير خدمات الإنترنت في الوقت الراهن فقد بدا للباحث ضرورة إجراء دراسة علمية لشبكة الإنترنت وتحديد سلبياتها وإيجابياتها بناءً على الخبرات التي مرت بها الدول الأخرى ، على أمل أن تساعد النتائج في الكشف عن أي ثغرات أو نواقص في المكتبات السعودية، ومن ثم إعداد خطة منظمة للاستفادة من خدمات الإنترنت كسباً للوقت واستثماراً أمثل للجهد والمال . ومما يزيد من أهمية إجراء هذه الدراسة وجود نسبة عالية لاستخدام شبكة الإنترنت للأغراض الأكاديمية والتعليمية والبحثية بلغت ٥٠٪ حسب إحصاءات استخدام شبكة الإنترنت لعام ١٩٩٥م ومن المتوقع ارتفاع هذه النسبة مع بداية القرن الحادي والعشرين .

المنهج :

استخدام الباحث المنهج الوصفي لجمع المعلومات عن طريق إعداد استبانة قام بتوزيعها في الفصل الدراسي الأول من عام ١٤٢٠هـ على المسئولين والمتعاملين مع شبكة الإنترنت في بعض الجامعات العربية والغربية بالإضافة إلى إجراء مقابلات شخصية مع بعض المسئولين أثناء الزيارة الميدانية التي قام بها الباحث لهذه الدول لجمع مزيد من المعلومات والتعرف إلى الاستخدامات الحالية لشبكة الإنترنت وما يواجه ذلك من معوقات ومشكلات . كما استخدم الأسلوب النقدي والتحليلي لعرض أهم الدراسات والأعمال البحثية المتوافرة حول هذا الموضوع .

الدراسات السابقة :

يتضمن أدب المكتبات والمعلومات العربي بعض الدراسات والكتابات حول شبكات المعلومات بشكل عام وشبكة الإنترنت بشكل أخص فيما يتعلق بطرق بنائها ، وتصاميمها ، وخدماتها ، واستخداماتها ... إلخ ، ولكنها كثيراً ما تفتقر إلى المنهج العلمي الصحيح ولا تناقش الموضوع إلا في أطار عام . كما يوجد بعض الجهود المتواضعة حول التعريف بشبكة الإنترنت وخدماتها ظهرت في شكل مقالات وترجمات .

ومما لا شك فيه أن شبكة الإنترنت العالمية تحظى باهتمام كثير من الباحثين والدارسين لما لها من أثر كبير في نقل وتبادل المعلومات بأشكال وأساليب متعددة لم يعهدها قطاع المعلومات منذ وقت طويل . والتطورات التي حدثت في عالم الإنترنت لم تكن مفصولة عن التطبيقات والتجارب السابقة لكثير من المؤسسات التعليمية والمنظمات المهنية في تطوير الحاسوبات الآلية وبرامجها المتعددة المناطة بضبط وخزن واسترجاع وبث المعلومات. ويشير أدب المكتبات إلى وجود كثير من المحاولات الفردية والمشروعات التعاونية لتقاسم المصادر وتبادل الخبرات متزامنةً إلى حد كبير مع ما كانت تمر به شبكة الإنترنت من تطور واتساع . إلا أن أبرز ما تميزت به مهنة المكتبات والمعلومات في هذا الخصوص هو ظهور الشبكات الببليوجرافية والشبكات التعاونية بهدف خفض التكاليف، وتبادل الخبرات ، وتقاسم المصادر . وحظي هذا الاتجاه الجديد بكثير من الأبحاث والدراسات والمناقشات على مستوى الأطروحات العلمية ، والبرامج الدراسية ، وطاولات النقاش في الندوات والمؤتمرات العلمية .

وعالمنا العربي لم يكن بعيداً عن تلك التطورات السريعة في مجال المعلومات وتقنية الشبكات فيمكن لنا أن نلحظ ذلك في العديد من الدراسات والرسائل العلمية ولو أنها أقل كثافة وتغطية من مثيلاتها في العالم الغربي .

والجهود البحثية السابقة على مستوى الأطروحات العلمية في البلاد العربية يرتكز بعضها حول وظائف محددة للشبكات مثل الإعارة والتزويد بينما يتناول البعض الآخر إمكانية إنشاء شبكات متكاملة إما لمكتبات من نوع متجانس مثل المكتبات الجامعية أو المكتبات العامة وإما لمكتبات متنوعة ، ومن هذه الدراسات دراسة قام بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه حيث كان الهدف الرئيس منها هو تحديد مدى إمكانية إنشاء شبكة آلية تعاونية للمكتبات الجامعية بالسعودية حيث كشفت النتائج عن توافر المتطلبات التقنية اللازمة لإنشاء الشبكة المقترحة بالرغم من وجود معوقات منها ضعف التنسيق والتعاون ، ومحدودية في أدوات الضبط البيليوجرافي(١) .

وفي دراسة أخرى قام عبد الرشيد حافظ بدراسة نظم المكتبات في المملكة العربية السعودية وتحديد مدى توافر فرصة لإنشاء شبكة معلومات وطنية حيث تبين للباحث وجود هذه الفرصة وبناءً على ذلك قدم نظاماً وصفياً لهذه الشبكة(٢). كما قام الخليفي بإجراء دراسة لنيل شهادة الدكتوراه لبحث إمكانية تأسيس شبكة تعاونية لأداء الخدمات المكتبية بين المكتبات ومراكز المعلومات في مدينة الرياض وقدم تصوراً لكيفية بناء هذه الشبكة(٣) .

يضاف إلى هذه الدراسات دراسة أجراها حمادي التونسي لبحث إمكانية إنشاء نظام شبكة معلومات وطنية في المملكة العربية السعودية مع التركيز على المكتبات الجامعية والمتخصصة حيث كشفت النتائج عن وجود حاجة إلى إنشاء مثل هذا النظام(٤) .

وفي مجال الإنترنت قام الخليفي بدراسة "واقع الربط الشبكي المحلي والواسع في المكتبات السعودية ، ومدى ملائمة الربط بشبكة الإنترنت ، والتعرف إلى وجهة نظر مديري المكتبات ومراكز المعلومات حول القضايا المختلفة المتعلقة بالربط الشبكي وشبكة الإنترنت(٥) ، وقام بأخذ عينة من المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة ووجد أن النسبة الغالبة منها لديها شبكات محلية ، وأن أهم الفوائد المتوقعة من الإنترنت تتعلق بالفهارس الآلية العالمية، والبريد الإلكتروني ، والمصادر الإلكترونية، كما وجد أن الجميع لديهم الرغبة في استخدام الإنترنت(٦) .

وفي دراسة أخرى حول استخدام أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل لشبكة الخليج اتضح أن استخدامهم للشبكة قد تأثر بأربعة عوامل هي :

١ - الهدف من استخدام الشبكة .

٢ - معرفة طرق إجراء البحث الآلي .

٣ - نوع الخدمات التي تقدمها الشبكة .

٤ - الفائدة من نتائج البحث المتحصل عليها(٧) .

وبناءً على ذلك وجد الباحث أن النسبة الغالبة من أعضاء هيئة التدريس كانوا يستخدمون الشبكة لأغراض بحثية ومتابعة ما يجد في تخصصاتهم العلمية ، أما العوامل الثلاثة الأخرى فلم يسجل لها البحث أي نتائج موجبة(٨) .

وفي اليمن قام كل من جاسم جرجيس ومحمد السناني بإجراء دراسة ميدانية لتقييم خدمات الإنترنت في اليمن حيث أوضحت الدراسة أن الشركة اليمنية للاتصالات أدخلت الإنترنت إلى اليمن عام ١٩٩٦م عن طريق شركة بريطانية وأخرى أمريكية وكان الهدف من الدراسة هو تقييم الخدمات التي تقدمها الإنترنت وتشخيص المشكلات والصعوبات التي تواجه المشتركين . وكشفت النتائج عن وجود صعوبات في الاتصال بالإنترنت، وارتفاع في كلفة الاشتراك وتبين أن أكثر برامج التصفح استخداماً هو متصفح الإنترنت (Internet Explorer)، وبرنامج آوت لوك (Out Look) للبريد

الإلكتروني، وأغلب الاستخدام كان للتصفح والبريد الإلكتروني[٩] .

ومن المتعارف عليه بين المهنيين في اختصاص المكتبات والمعلومات أن الإنترنت وجه جديد متطور للمكتبة التقليدية إلا أن هذا الاعتقاد لا يعكس نتائج دراسة أجريت للتعرف إلى وجهة نظر الطلاب وبعض أعضاء هيئة التدريس حول دور الإنترنت مقارنة بالمكتبة حيث تبين أن النسبة الغالبة رأت أن المكتبة والإنترنت شيئان مختلفان ومنفصلان وأن الاستخدام الغالب للإنترنت بالنسبة للطلاب كان لأغراض الاتصال بالأصدقاء ، واستنساخ بعض البرامج ، وتحديد مواقع المعلومات ، وأداء الواجبات المنزلية[] .

كما قام ربحي عليان ومنال القيسي بإجراء دراسة مسحية عن استخدام الإنترنت في جامعة البحرين خلال الفصل الدراسي الثاني من عام ١٩٩٧م ووجدا أن النسبة الغالبة (٩٥,٠٣ ٪) من مجتمع الدراسة كانوا يستخدمون الإنترنت للبحث عن المعلومات لأغراض إعداد الدراسات والبحوث والتقارير وأن أكثر أدوات البحث استخداماً كانت ياهو (Yahoo) وليكس (Lycos) وإكسايت (Excite)[١١].

وفي دراسة أخرى قام هشام عزمي بحصر مواقع المكتبات والمعلومات على شبكة الإنترنت بغرض التعرف إلى المواقع المتصلة بتخصص المكتبات والمعلومات المتاحة على الإنترنت حيث وجد أن تصنيف المواقع كان يتم إما بسرد المواقع دون نظام مقنن ، وإما وفقاً لخطة تصنيف معينة . وبعد إجراء الدراسة قام بحصر مواقع المكتبات والمعلومات ووزعها تحت تسع مجموعات[١٢] .

ولتحديد مدى فائدة مواقع شبكة النسيج (WWW) كأدوات لبث المعلومات وتقديم الخدمات أجريت دراسة في بعض جامعات وكليات السود في الولايات المتحدة باستخدام محركي البحث ياهو (Yahoo)، وإنفوسيك (Infoseek) وبعد إعداد قائمة بهذه المواقع تم فحصها وتبين للباحثة أن عدداً كبيراً منها يُستخدم فقط لتقديم معلومات عن المكتبة مثل المجموعات ، وساعات العمل ، والخدمات ، ودليل موظفي المكتبة . كما تبين أن أغلب المكتبات المشاركة في الدراسة لم يكن لديها مصادر متنوعة مثل قواعد الإنترنت ، والدوريات الإلكترونية ، والفهارس الآلية التفاعلية، ولذلك اقترحت الباحثة تفعيل صفحاتها ومواقعها عن طريق الربط بشبكة تلي نت (Tele Net)، والربط بقواعد البيانات مثل (ERIC)، ووضع قوائم بدوريات وكتب المكتبة ، واستخدام الموقع كنشرة إعلامية ووسيلة لتعليم المستفيد كيفية استخدام المكتبة[١٣] .

وفي جامعة ولاية أوكلاهوما(Oklahoma State University) استخدمت الإنترنت لتعليم المستفيد كيفية الاستفادة من مصادر المعلومات اعتماداً على مشروع مفصل يتضمن تحليلاً للمستفيد ، وبيئة الاستخدام وتحليلاً لخطة التنفيذ . كما تضمن المشروع فقرات أساسية تتمثل في مقدمة ، وقائمة أساسية ، وأدوات بحث ، وشاشة عرض للنتائج ، ومراجعة وتدقيق للبحث ، وعرض للأشكال والنماذج ، والتخزين ، والطباعة، وأخيراً مساعد بحث[١٤].

وفي جامعة سيتون هول(Seton Hall University)

تم إجراء دراسة مسحية للتعرف إلى مدى رضى الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة عن الإنترنت والمشكلات التي واجهوها عند استخدام الإنترنت والتحديات التي تقف أمام المكتبة . وكان من أبرز النتائج أن الإنترنت أصبحت جزءاً مهماً ضمن خدمات المكتبة ، وسجلت استخداماً عالياً وساعدت على إعادة تخصيص الميزانية ، وتقوية الصلة مع خدمات الحاسوب في الجامعة والتخصصات الأكاديمية ، ودمج استخدام محركات البحث

في البرامج الدراسية وقسم الخدمة المرجعية ، واستخدام الإنترنت كوسيلة إعلامية ببرامج المكتبة وخدماتها ومصادرها[١٥] .

كما قامت كوهن ، وستل(Cohen and Still) بدراسة صفحات الويب (WWW) لخمسين جامعة تمنح شهادة الدكتوراه وخمسين كلية بغرض تحديد أهداف هذه الصفحات حيث تبين أن النسبة الغالبة من المكتبات حققت الأهداف التي من أجلها أنشئت هذه الصفحات مع تفوق ملحوظ للمكتبات البحثية . وحددت نتائج الدراسة المحتويات الرئيسية للصفحات بروابط البريد الإلكتروني ، وتحديث المعلومات ، ودليل بالموظفين ، ووصف للخدمات ، وروابط لكل من المحركات ، وقسم المراجع ، والفهرس الآلي للمكتبة والمكتبات الأخرى ، ومصادر الإنترنت ، وقاعدة الاشتراك في الدوريات والخدمات[١٦] .

كما قام مجموعة من الباحثين بإعداد نموذج لإنشاء صفحة النسيج (WWW) للوصول إلى الدوريات الإلكترونية اعتماداً على تسجيلات مارك حيث وجدوا أن إعداد الصفحات يأخذ وقتاً طويلاً وتغيير محددات المصادر العامة (URL Universal Resource Locator)، والأرقام السرية كانت تشكل صعوبة من ناحية إدارية ، وكانت المسئولية عن صيانة الصفحات مقسمة بين عدد من الأفراد مما كان سبباً في هدر كثير من وقت الموظفين[١٧] .

وفي مجال التصنيف والضبط الببليوجرافي تشرح ماري مكيو (Mary Micco) في مقال لها من جزئين طبيعة الضبط الاستنادي على شبكة الإنترنت والمشاكل التي تتخلل ذلك، وتقدم في الجزء الثاني شرحاً لاستخدام التصنيف في الاستناد الموضوعي من خلال الإنترنت لتحسين مستوى الدقة والوضوح على أساس أن الضبط الاستنادي ما هو إلا نظام يساعد عملية البحث في الإنترنت ويدعمها، وحددت له عدداً من المصفيات مثل تحديد موضوع الوثيقة، وتحديد الأفكار والمفاهيم التي تتضمنها الوثيقة ، وتحديد المستفيدين ، ووضع مستخلص للأفكار ، وتخصيص أرقام التصنيف ، وتقييم المصطلحات بطرق آلية[١٨] .

وفي دراسة مسحية لمائتين وخمسين مكتبة ثبت أن النسبة الغالبة لهذه المكتبات تقدم خدمة المصادر والدوريات الإلكترونية وبدأت المكتبات بإلغاء الاشتراكات في المصادر المطبوعة لتحتل محلها المصادر الإلكترونية[١٩] .

وبخصوص علاقة الإنترنت بأعمال التزويد والفهرسة، استعرضت ماري وبر(Mary Weber) العوامل المؤثرة في اختيار وفهرسة مصادر الإنترنت ، وناقشت عدداً من العوامل المتعلقة بعملية الاختيار منها السعر ، وإلغاء المصادر المتشابهة ، ومدى ملائمة المصادر الإلكترونية ، ومدى استقرار مصادر الإنترنت ، والنسخ المتعددة ، والتراخيص من وكلاء المصادر ، ومزودي الخدمات . وفيما يتعلق بالفهرسة ناقشت نوعية المصادر التي تتطلب فهرسة ، ونوعية المعالجة المطلوبة في الفهرسة، وأوضحت أن الخبرة أظهرت أن تسجيلات مارك لا تتناسب مع مصادر الإنترنت ، ولا يوجد مقاييس موحدة ومقبولة لمعالجة هذه المصادر في المكتبات ، إضافة إلى عدم قدرة تسجيلات مارك في مجاراة التطورات التكنولوجية الحديثة مما يتطلب البحث عن أنظمة جديدة لمسايرة هذه التطورات وهذا ما أدى إلى ظهور ما يسمى بأنظمة بيانات البيانات (Metadata Schemes) [٢٠] .

وفيما يتعلق بالفهرس الآلي وتطور دور المفهرس يذكر مديروس (Medeiros) أنه بالرغم من أن صفحات المكتبات تقدم الوسيلة للوصول إلى مصادر الإنترنت إلا أنها عادة تفتقر إلى التحليل الموضوعي والإحالات

المتداخلة، وأثبتت عدم جدواها بالنسبة للذين لا يعلمون عنها . ويضيف أن التسجيلات الببليوجرافية المرتبطة بالفهرس الآلي يمكن لها أن تشرح وتصف مصادر الإنترنت والارتباط مباشرة بها . وبهذا يمكن للفهرس أن يكون أطلساً عالمياً ووسيلة للحصول على مصادر معلومات الإنترنت [٢١]. وتوقع أن يكون دور الفهرس في عالم الإنترنت مقصوراً على المساعدة في إعداد الخطط العملية اعتماداً على تسجيلات مارك الببليوجرافية للاتصال الإلكتروني بالمصادر عن بعد ، وفي عملية دمج مصادر الإنترنت في الفهرس[٢٢] .

وفي مكتبة جامعة العلوم والتكنولوجيا في هونغ كونغ خبرة أخرى مع الإنترنت تمثلت في إعداد مشروع لإدخال الإنترنت إلى المكتبة حيث بدأ هذا المشروع بتقص للحقائق قام به أربعة من الموظفين من قسم الأنظمة وقسم المراجع ، وبعد اعتماد المشروع شارك جميع الموظفين في تنفيذ البرنامج من خلال أربع مجموعات أسند إلى المجموعة الأولى هيكل الشبكة وتصاميمها ، وأسند إلى المجموعة الثانية تعليم المستفيدين، وأسند إلى المجموعة الثالثة خدمات المكتبة والمعلومات ، وأسند إلى المجموعة الرابعة اختيار مصادر الإنترنت[٢٣] .

ومن أبرز المشاكل التي واجهت فريق العمل التعامل مع كمية كبيرة من المعلومات غير المفيدة ، وسرعة زيادة المصادر ، واختفاء أو تحول مواقع المصادر ، والحاجة إلى وقت طويل لتقييم خدمات الإنترنت[٢٤] . وبالرغم من كل ذلك فقد جنت المكتبة فوائد عديدة منها زيادة ونماء مجموعات المكتبة ، ومعرفة ووعي بالشبكة وخدماتها ، ومصادرها ، وأدواتها ، والاتصال والارتباط بمكتبات أخرى عديدة[٢٥] .

كما كتبت لوريل كلايد (Laurel Clayde) بإسهاب عن كيفية التخطيط لموقع شبكي باستخدام الطريقة الاستراتيجية في التخطيط ابتداءً بإنشاء الموقع وانتهاء بتطويره وصيانته ومراجعته ، وأكدت على أهمية التخطيط الاستراتيجي لمثل هذه المشروعات ، وحددت عدداً من القضايا والمشكلات التي يجب معالجتها من أهمها :

١ - التعريف الدقيق باحتياجات المستفيدين .

٢ - اختيار المعلومات وتقييمها وتحديثها وتنظيمها .

٣ - الحقوق الفكرية وحقوق الملكية .

٤ - الخصوصية الشخصية ، ومراقبة التطورات المستقبلية[٢٦] .

وفي جامعة حيفا أُجريت دراسة لإنشاء موقع على شبكة الإنترنت من أجل الوصول إلى مصادر المعلومات ، وتضمنت هذه الدراسة الخطوات المتبعة لإنشاء الصفحات على الشبكة حيث تمثلت فيما يلي :

١ - تحديد اهتمامات واحتياجات أعضاء هيئة التدريس في قسمي اللغة والآداب .

٢ - مسح للإنتاج الفكري المتعلق بالموضوع قيد الدراسة .

٣ - البحث في الإنترنت عن المصادر المناسبة .

٤ - تصميم الصفحة بحيث تحوي أقساماً عن المصادر العامة ، والمصادر الخاصة بالمؤلفين ، ومحتوى الصفحة ، والدوريات الإلكترونية ، وقوائم النقاش ، ومواد المراجع ، والمؤتمرات القادمة .

٥ - جمع العناوين المناسبة ، وتحرير ملف المحفوظات (Book mark Files) باستخدام لغة النص المهمل .

٦ - تقييم المشروع عن طريق إطلاع أعضاء هيئة التدريس على ما تم لتقديم أي نقد أو اقتراح[٢٧] .

وفي دراسة أخرى تبين أن هناك العديد من المشكلات التي تواجه استخدام الإنترنت من بينها أمن الملفات ، واستخدام الإنترنت لغير ما خصص لها ، وعدم

وجود مقاييس موحدة ، ووجود عوائق فنية وسياسية تحد من إرسال المعلومات واستقبالها ، والخوف من فقدان الوظيفة ، وعدم المشاركة في صنع القرار(٢٨) .

وبالرغم من وجود عوائق وسلبيات لاستخدام الإنترنت إلا أن هناك فوائد وإيجابيات لا يمكن إنكارها . وتجربة مكتبة ومركز المعرفة الفنية في الدنمارك أثبت أن استخدام الإنترنت ساعد على خفض ملحوظ في الإنفاق وتقليص في الاشتراك في الدوريات ، وأصبح بإمكان المستفيدين الدخول عبر أجهزتهم إلى حوالي ثلاثة آلاف دورية مما وفر على المكتبة الوقت الذي كان مخصصاً لترتيب وإعادة ترتيب الدوريات المطبوعة ، كما ساعد على خفض في كمية العمل الورقي في المكتبة ، وفي عدد الموظفين(٢٩) .

مما سبق يتضح لنا أن شبكة الإنترنت قد أصبحت وسيلة هامة من وسائل العمل والخدمة في المكتبات ، ولم يقتصر دورها على التعريف بالمكتبات وخدماتها بل تعداه إلى تفعيل هذا الدور في عمليات الفهرسة ، وتطوير المجموعات ، وبناء الفهارس ، وقواعد المعلومات . وبالرغم من الإسهامات الكبيرة لشبكة الإنترنت في المكتبات إلا أن هناك قصوراً واضحاً في الدراسات التطبيقية لهذه الإسهامات خاصة في البلاد العربية التي تميزت عن غيرها بالاندفاع نحو كل جديد ولكن بدون تخطيط مدروس واستعداد سليم .

نشأة وتطور شبكة الإنترنت العالمية :

شبكة الإنترنت هي عبارة عن شبكة اتصالات تربط بين الحواسيب الآلية عن طريق الكيبلات أو الأقمار الصناعية معتمدة في ذلك على بروتوكولات الاتصال التي تنظم عملية نقل واستقبال المعلومات والبيانات بين الحواسيب الآلية سواء كانت فردية أو شبكات محلية أو إقليمية. وعندما نتتبع تاريخ إنشائها نجد أنها لم تنشأ من فراغ بل كان لها جذور تعود إلى الربع الأخير من العقد الخامس من القرن العشرين عندما أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية وكالة مشروعات الأبحاث المتقدمة في عام ١٩٥٧م (ARPA - Advanced Research Project Agency) رداً على الصواريخ التي أطلقها الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت إلا أن البداية الحقيقية لشبكة الإنترنت تعود إلى عام ١٩٦٩م عندما قامت وكالة مشروعات الأبحاث المتقدمة التابعة لادارة الدفاع الأمريكية (ARPA) بتأسيس شبكة خاصة بها لتبادل البحوث مع بعض مراكز البحوث الأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية ، فكانت النتيجة لهذه الجهود المشتركة ظهور شبكة خاصة بهذه الوكالة سميت بشكبة وكالة مشروعات البحوث المتقدمة (ARPANET) أربانت . وتشير مصادر المعلومات المتوافرة عبر الإنترنت بأن أربع جامعات أمريكية ساهمت في تكوين هذه الشبكة عن طريق مراكز الحاسوبات الآلية التابعة لها وهي جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس ، وجامعة كاليفورنيا في ساوث بند ، وجامعة استانفورد ، وجامعة يوتا .

وكان الهدف الأساس من إنشاء هذه الشبكة هدفاً عسكرياً بالدرجة الأولى يقصد منه إنشاء شبكة تستطيع العمل في ظروف الحرب إذا ما شنتها دول معادية للولايات المتحدة الأمريكية على مراكز الاتصالات العسكرية . وكانت الفكرة وراء هذه الشبكة هي عدم الاعتماد على مركز رئيس واحد للتحكم في اتصالات الشبكة بل الاعتماد على وسيلة تخول الحاسوبات العمل باستقلالية وضمان استمرار الاتصال في حالة توقف إحداها عن العمل . وهذا ما جعل شبكة أربا تبحث عن برنامج يحقق لها هذا الهدف .

ومن أهم الجهات التي ساهمت في تطوير شبكة الإنترنت الهيئة الوطنية للعلوم (National Science Foundation -NSF) حيث قامت في ١٩٨٤م بإنشاء شبكة خاصة بها سميت بشبكة هيئة العلوم الوطنية (NSF-Net) مكونة من خمسة مراكز حاسوبية كبيرة معتمدة في ذلك على بروتوكول شبكة أربا (ARPA) حيث أتاحت هذه الشبكة فرصة الاتصال بين هذه المراكز إضافة إلى إمكانية ارتباط حواسيب أخرى عديدة بكل مركز من أجل التخاطب البيني والاشتراك في الموارد . كما أصبح بالإمكان ربط حواسيب أخرى عبر الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن استبدلت شبكة الهيئة الوطنية للعلوم(NSF) خطوط الاتصال الخاصة بها بالخطوط الهاتفية . وتشير مصادر الإنترنت إلى أن شبكة أربا توقفت في عام ١٩٩٢م وبقيت الشبكة العسكرية (Mill-net) التابعة لوزارة الدفاع ثم اندمجت هذه الشبكة مع شبكة NSF وبذلك تكونت النواة الأساسية لشبكة الإنترنت ، وفي هذا الدليل على أن الهوية الحقيقة لشبكة الإنترنت هوية عسكرية منذ إنشائها ولا تزال تحمل هذه الهوية في كثير من مجالاتها إلى هذا اليوم . وفي عام ١٩٩٠م دخلت الشركات التجارية مجال الإنترنت وأصبحت شركة America On-line-AOL وشركة (Compue-Serve) من أهم الشركات المقدمة لخدمات الإنترنت .

شبكة النسيج (الووب) (World Wide Web):

تعتبر شبكة النسيج (الويب) بالنسبة لكثير من الناس هي شبكة الإنترنت الحقيقية الذائعة الصيت لما توفره لمستخدميها من معلومات مثيرة وشيقة وطرق بحث جذابة تسهل عليهم الوصول إلى ما يحتاجون إليه من معلومات في أشكالها المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية . وقدرة شبكة النسيج (الويب) على عرض الصور والرسومات والأصوات جعلها أكثر جاذبية واستخداماً على مستوى العالم .

ويعود الفضل في ابتكار هذه الشبكة إلى العالم تيم برنرز - لي (Tim Berners - Lee) في جنيف عندما كان يعمل في المركز الأوروبي للأبحاث النووية في عام ١٩٩٢م (European Center for Necular Research) بهدف إتاحة الفرصة للناس في مختلف أنحاء العالم للاتصال ببعضهم وتبادل المعلومات باستخدام ما يسمى بالنص الفائق (Hypertext) الذي تتلخص فكرته في ربط الكلمات والعبارات في نص ما بوثائق أو ملفات أو برامج أو صور أو رسومات في مكان آخر عبر الشبكة بمجرد النقر بالفأرة على العبارة أو الكلمة أو الصورة .. أو الرسومات Highlighted Words ويمكن أيضاً النقر على كلمات ورسومات وصور أخرى والإبحار في الشبكة عن طريق روابط النص الفائق . والذي يميز هذه الشبكة أن الوصول إلى المعلومات يتم بطريقة عشوائية وليست منطقية ومنظمة بمعنى أن الباحث يستطيع أن ينتقل من ملف إلى آخر ومن موقع إلى آخر بكل سهولة وحرية متى ما وجد روابط النص الفائق . ولكن يعاب عليها أنها في أحيان كثيرة تنقل المستخدم إلى مواقع ليس لها علاقة بموضوعه الأساس ، أو مواقع مقفلة أو متوقفة، أو بمواقع تحوي صوراً ورسومات تحتاج إلى وقت طويل لتحميلها أو نقلها، وفي أحيان أخرى يجد المستخدم نفسه تائهاً بين المواقع والصفحات مما يصعب عليه الرجوع إلى صفحة بعينها أو ملف مهم صادفه أثناء بحثه .

ولأن الإنترنت تختلف اختلافاً كبيراً عن المكتبة فقد أصبح من الضروري إيجاد وسائل وأدوات مناسبة تساعد

على استخدامها ، ولذلك ظهر العديد من أدوات البحث (search Tools) والأدلة (Directory Guides) بعضها يستخدم الكلمات الدالة ، والبعض الآخر يستخدم التصنيف الموضوعي أو طريقة إعداد الأدلة للوصول إلى مصادر الإنترنت . ومن أشهر أدوات البحث ما يلي :

إكسايت / Excile

هوت بوت / Hot Bot

ألتافستا / Alta Vista

إنفوسيك / Infoseek

ليكوس / lycos

ومن أشهر الأدلة خاصة المستخدم منها في مجال المكتبات والمعلومات :

١ - Digital Library

٢ - Galaxy

٣ - Info Mine

٤ - Web Crawler

٥ - Virtual Library

وهناك أدوات بحث أخرى تقوم بإجراء البحث اعتماداً على عدد من أدلة البحث في وقت واحد مثل (Meta Grawlers) ويمكن استخدام بعض أدلة البحث باللغة العربية مثل عرب فيستا (Arab Vista) وميتا فايند (Meta Find) .

ويعتبر بروتوكول ضبط النقل / بروتوكول الإنترنت (TCP/IP) Transmission Control Protocol/ Internet Protocol من أبرز الإنجازات التي ساعدت على انتشار واتساع شبكة الإنترنت فقد تم تطويره في عام ١٩٧٤م وأصبح لغة الاتصال القياسية لشبكة الأربانت وما ارتبط بها من جامعات ، ومؤسسات وشبكات محلية ، وأقليمية، وعالمية . بل إنه العامل الأساس الذي ساعد على انتشار الانترنت في كل انحاء العالم.

عرض النتائج وتفسيرها :

بالنظر إلى الجدول رقم (١) يمكن أن نرى أن جميع مكتبات الجامعات المشاركة في الدراسة تستخدم الإنترنت ما عدا مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود، ومكتبة جامعة الملك خالد ، ومكتبة الجامعة الإسلامية . حيث تعود أسباب عدم توافر الإنترنت في هذه الجامعات الثلاث إما «لانتظار إدخال الإنترنت إلى الجامعة» وإما «لكون الجامعة في طور الإنشاء» ، وإما «لانتظار إنهاء البنية التحتية للشبكة في الجامعة» .

وبالنظر إلى تاريخ بداية استخدام الإنترنت في مكتبات الجامعات المشاركة في الدراسة يتضح أن هذا التاريخ يبدأ بعام ١٩٩٠م وينتهي بعام ١٤٢١هـ بمعنى أن أقدم مكتبة جامعية تستخدم الإنترنت في إطار هذا البحث هما مكتبة كلية الجامعة / لندن ، ومكتبة جامعة البحرين وأحدث مكتبة هي مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة . ومن الملاحظ أن النسبة الغالبة من المكتبات في الجدول رقم (١) لم تستخدم الإنترنت إلا في السنوات العشر الماضية مع أن تاريخ الإنترنت يعود إلى عام ١٩٦٩م . وإذا افترضنا أن هذه المكتبات حالة خاصة بالرغم من وجود مكتبات عريقة بينها مثل مكتبة جامعة إنديانا ، ومكتبة جامعة ولاية فلوريدا ، ومكتبة جامعة واشنطن ، فإن ذلك يدل على أن هذه المكتبات تباطأت كثيراً في الاستفادة من الإنترنت وربما يعود ذلك لعوائق تقنية أو مالية أو عوائق أخرى لم تكشفها لنا نتائج هذه الدراسة .

ومن المتوقع حدوث تطورات في أوضاع هذه المكتبات ومكتبات الجامعات الأخرى أثناء جمع المعلومات الخاصة بهذا البحث وبعده .

الجدول رقم (١)

تاريخ بداية استخدام الإنترنت

م	المكتبـــة	نعم	لا	البداية
١	مكتبة جامعة الملك عبد العزيز	×		محرم ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م
٢	مكتبة جامعة أم القرى	×		١٩٩٨م
٣	مكتبة جامعة الملك سعود	×		١٤١٨هـ
٤	مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود		×	بانتظار إدخال الإنترنت إلى الجامعة
٥	مكتبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	×		١٩٩٨م
٦	مكتبة جامعة الملك فيصل	×		١٩٩٩م
٧	مكتبة جامعة الملك خالد		×	"كون الجامعة في طور الإنشاء"
٨	مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة		×	"بانتظار إنهاء البنية التحتية للشبكة في الجامعة"
٩	مكتبة جامعة الكويت	×		١٩٩٥م
١٠	مكتبة جامعة البحرين	×		١٩٩٠م
١١	مكتبة جامعة الإمارات العربية المتحدة	×		١٩٩٦م
١٢	مكتبة جامعة قطر	×		١٩٩٨م
١٣	مكتبة الجامعة الأردنية	×		١٩٩٨م
١٤	مكتبة جامعة لندن	×		١٩٩٤م
١٥	مكتبة جامعة القاهرة	×		؟
١٦	كلية الجامعة / لندن	×		١٩٩٠م
١٧	مكتبة جامعة ولاية فلوريدا	×		١٩٩٢م
١٨	مكتبة الجامعة الأمريكية / واشنطن	×		١٩٩١م
١٩	مكتبة جامعة إنديانا بلومنقتون	×		؟

وفي الجدول رقم (٢) الخاص بالجهة المزودة بخدمة الإنترنت يتضح أن جميع المكتبات ما عدا مكتبة الجامعة الأردنية تعتمد على الجامعات ذاتها من خلال مراكز الحاسب الآلي الخاص بكل جامعة للتزويد بخدمة الإنترنت. أما الجامعة الأردنية فمزودها بخدمة الإنترنت هو "مركز المعلومات الوطني / الجمعية العلمية الملكية".

الجدول رقم (٢)

الجهة المزودة بخدمة الإنترنت

م	المكتبة	الجهة
١	مكتبة جامعة الملك عبد العزيز	جامعة الملك عبد العزيز
٢	مكتبة جامعة أم القرى	جامعة أم القرى
٣	مكتبة جامعة الملك سعود	مركز الحاسب الآلي / جامعة الملك سعود
٤	مكتبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
٥	مكتبة جامعة الملك فيصل	جامعة الملك فيصل
٦	مكتبة جامعة الكويت	جامعة الكويت
٧	مكتبة جامعة البحرين	جامعة البحرين
٨	مكتبة جامعة الإمارات العربية المتحدة	جامعة الإمارات العربية المتحدة
٩	مكتبة جامعة قطر	جامعة قطر
١٠	مكتبة الجامعة الأردنية	مركز المعلومات الوطني / الجمعية العلمية الملكية
١١	مكتبة جامعة لندن	جامعة لندن بالتنسيق مع المكتبة
١٢	مكتبة جامعة القاهرة	جامعة القاهرة
١٣	مكتبة كلية الجامعة / لندن	كلية الجامعة / لندن
١٤	مكتبة جامعة ولاية فلوريدا	جامعة ولاية فلوريدا
١٥	مكتبة الجامعة الأمريكية / واشنطن	الجامعة الأمريكية / واشنطن
١٦	مكتبة جامعة إنديانا / بلومنغتون	جامعة إنديانا

وفي الجدول رقم (٣) يتضح لنا أن النسبة الغالبة من المكتبات (٨١,٢٥٪) وفرت الإنترنت بناءً على رغبة المسئولين عن هذه المكتبات في حين أن الأسباب الأخرى المدرجة في الجدول نفسه وهي :

مطالبة المسئولين في الجامعة، ومطالبة المستفيدين، وخطة مدروسة لم تحظ إلا بنسب متدنية من الإجابات . ومن اللافت للانتباه أن مكتبتين فقط بنسبة (١٢,٥٪) استخدمتا خطة مدروسة لتوفير الإنترنت مما يدل على غياب التخطيط الجيد والمنظم لخدمات المكتبات .

الجدول رقم (٣)

أسباب توافر خدمة الإنترنت في المكتبات

الرقم	الأسباب	عدد المكتبات (التكرار)(١٦)	النسبة
١	خطة مدروسة	٢	١٢,٥ ٪
٢	رغبة المسئول عن المكتبة	١٣	٨١,٢٥ ٪
٣	مطالبة من المسئولين في الجامعة	٦	٣٧,٥ ٪
٤	مطالبة من المستفيدين	٥	٣١,٢٥ ٪

(بعض المكتبات اختارت أكثر من سبب من الأسباب المدرجة في الجدول (٣))

وفي الجدول رقم (٤) يتبين لنا أن استخدام الإنترنت كان للنسبة الغالبة من المكتبات المشاركة في الدراسة مفيداً جداً لكل الوظائف المدرجة في الجدول ما عدا وظيفة (الإعارة). ولم يسجل البحث أي نتيجة لإجابة (غير مفيد).

الجدول رقم (٤)

الفائدة من استخدام الإنترنت لوظائف المكتبة

الوظائف	مدى الفائدة			
	مفيد جداً	مفيد	مفيد إلى حد ما	غير مفيد
التزويد	٩ (٥٦,٢٥٪)	٥ (٣١,٢٥٪)	٢(١٢,٥٪)	
الفهرسة	٩ (٥٦,٢٥٪)	٥ (٣١,٢٥٪)	٢(١٢,٥٪)	
بناء المجموعات	٩(٥٠٪)	٦(٣٧,٥٪)	٢(١٢,٥٪)	
تبادل المعلومات مع جهات أخرى	١١(٦٨,٧٥٪)	٣(١٨,٧٥٪)	٢(١٢,٥٪)	
البريد الإلكتروني	١٣(٨١,٢٥٪)	٢(١٢,٥٪)	١(٦,٢٥٪)	
خدمات المراجع	١٢(٧٥٪)	٣(١٨,٧٥٪)	١(٦,٢٥٪)	
الإعارة	١(٦,٢٥٪)	٣(١٨,٧٥٪)	١٢(٧٥٪)	
فهرس المكتبة	٧(٤٣,٧٥٪)	٤(٢٥٪)	٥ (٣١,٢٥٪)	
نقل الملفات الإلكترونية	١١(٦٨,٧٥٪)	٤(٢٥٪)	١(٦,٢٥٪)	

(الأرقام المدرجة في الجدول قبل النسبة تدل على عدد المكتبات التي أجابت عن السؤال)

(عدد المكتبات = ١٦)

وبالنسبة للآثار الناتجة عن استخدام الإنترنت يكشف لنا الجدول رقم (٥) أن النسبة الغالبة من المكتبات لاحظت إقبالاً أكثر من المستفيدين على المكتبة ، واستخداماً أكثر للمجموعات ، واهتماماً أكبر من المسئولين عن الجامعة بالمكتبة نتيجة لاستخدام الإنترنت ، بينما يكشف لنا الشكل نفسه بأن استخدام الإنترنت لم يكن له أثر في زيادة ميزانية المكتبة إلا في مكتبتين . ولم يكن له أثر في الحصول على زيادة في عدد الموظفين ، وانخفاض في مستوى إنتاجية الموظفين، وانخفاض في مخصصات شراء الكتب إلا في ثلاث مكتبات فقط .

ويمكن أن نلاحظ أيضا أن الإقبال الأكثر على المكتبة ، والاستخدام الأكثر للمجموعات ، والاهتمام الأكثر من المسؤولين لم يواكبه زيادة في ميزانية المكتبات أو في عدد الموظفين مما يدل على أن المكتبات لا تزال تعاني من عوائق مالية وتوظيفية ، وإن الإنترنت لم تكن حلاً شافياً لهذه المعوقات بل قد تكون سبباً في زيادة العبء والمسؤولية على المكتبة . وهذا ما تؤكده بعض المعلومات المتحصل عليها عن طريق المقابلات التي أجراها الباحث مع بعض المسؤولين عن المكتبات التي شاركت في الدراسة فقد تبين أن المكتبات ضاعفت من جهودها لتقديم خدمات الإحاطة الجارية ، وتعليم المستفيدين بواسطة الإنترنت كيفية الاستفادة من المكتبة، وتقديم خدمات جديدة حول الاستفادة من الدوريات النصية والمصادر الرقمية ، وإعداد نشرات وإعلانات إلكترونية حول المكتبة وخدماتها .

الجدول رقم (٥)

الآثار الناتجة عن استخدام الإنترنت

م	الآثـــار	التكرار	النسبة
١	إقبال أكثر من المستفيد على المكتبة	١٣	٪ ٨١,٢٥
٢	استخدام أكثر للمجموعات	١٢	٪ ٧٥
٣	اهتمام أكثر من المسئولين عن الجامعة بالمكتبة	١٠	٪ ٦٢,٥
٤	زيادة في عدد ساعات العمل بالمكتبة	٥	٪ ٣١,٢٥
٥	الحصول على زيادة في ميزانية المكتبة	٢	٪ ١٢,٢٥
٦	الحصول على زيادة في عدد الموظفين	١	٪ ٦,٢٥
٧	ارتفاع في مستوى إنتاجية الموظفين	٨	٪ ٥٠
٨	انخفاض في مستوى إنتاجية الموظفين	١	٪ ٦,٢٥
٩	انخفاض في مخصصات شراء الكتب	١	٪ ٦,٢٥
١٠	انخفاض في مخصصات الاشتراك في الدوريات	٣	٪ ٢٥
١١	آثار أخرى	—	—

وفي الجدول رقم (٦) والجدول رقم (٧) والجدول رقم (٨) والجدول رقم (٩) والجدول رقم (١٠) عرض لأهم برامج التشغيل، وخادمات الإنترنت ، وبرامج التصفح، وأدوات البحث، وبرامج البريد الإلكتروني، التي اقترحتها المكتبات المشاركة في الدراسة. علماً بأن اختيار أي من هذه الوسائل والأدوات السابقة الذكر يعتمد على نوعية التجهيزات الآلية، والحاسوبية المتوافرة لكل مكتبة ، وأهداف البحث ، والموضوعات المطلوب البحث عنها من خلال الإنترنت .

الجدول رقم (٦)

برامج التشغيل

Windows NT
Windows 2000
Either Switched Network
Windows-NT+Unix Sun
Novell

الجدول رقم (٧)

الخادمات (Servers)

IBM HP
Novell
IBM Net finity 7000
Net Server
Unix
Proxy Server And Fire Wall
HP 3000 ALFA
CISCO+Server

الجدول (٨)

برامج التصفح (Search Engines)

Internet Explorer
Netscape Navigator
Netscape Communicator
Web gateway (OPAC)
Dialog, Swetnet

الجدول (٩)

أدوات البحث (Search Tools)

Loycocs
AltaVista
Yahoo
Exite
Infoseek
Ask-me.com.
Meta search-Engines
UGU
MSN
Net mail
Ayna
First Search (OCLC)

الجدول (١٠)

برامج البريد الإلكتروني (E - Mail)

Out Look Express
Email/Out Look
Edura
Out Look 2000
Nets cape Mail
Hot mail
Netscape Massenger
Mail Server
PINE SOFTWARE

كما يوضح لنا الجدول رقم (١١) أن النسبة الغالبة من المكتبات المشاركة في الدراسة كانت تستخدم الإنترنت للوظائف المدرجة في الجدول بنسب متقاربة إلى حد كبير ما عدا وظيفة (الإعارة) حيث اقتصر تواجدها في ثلاث مكتبات فقط أي بنسبة (١٨,٧٥٪) . وهنا نجد توافقاً بين هذه النتيجة والنتيجة الواردة في الجدول رقم (٤) التي أوضحت أن استخدام الإنترنت كان مفيداً إلى حد ما

بالنسبة لوظيفة الإعارة في أغلب المكتبات ، وقد يكون التفسير الممكن لهذه النتيجة هو اعتماد المكتبات على أنظمة آلية داخلية وقواعد معلومات خاصة بالمستفيدين غير مرتبطة بشبكة الإنترنت .

الجدول رقم (١١)

وظائف المكتبة والإنترنت

م	الوظائـــــف	التكرار	النسبة
١	التزويد	١٤	٪٨٧,٥٠
٢	الفهرسة	١٢	٪٧٥
٣	تطوير المجموعات	١٥	٪ ٩٣,٧٥
٤	الاشتراك في المصادر مع المكتبات الأخرى	١٥	٪ ٩٣,٧٥
٥	البريد الإلكتروني	١٦	٪ ٩٣,٧٥
٦	نقل الملفات الإلكترونية	١٤	٪ ١٠٠
٧	الخدمة المرجعية	١٤	٪٨٧,٥٠
٨	الإعارة	٣	٪ ٨,٧٥

أما بالنسبة للمعوقات والمشكلات التي واجهت المكتبات المشاركة في الدراسة عند استخدام الإنترنت فتركزت في الجدول رقم (١٢) حول محدودية الموارد المالية بنسبة (٤٣,٥٧٪) ، وعدم وجود العدد الكافي من الموظفين المؤهلين في مجال الإنترنت بنسبة (٥٦,٢٥٪) ، وعدم وجود الخبرة الفنية في المكتبة بنسبة (٣٧,٥٠٪) ، وعدم وجود أجهزة كمبيوتر كافية بنسبة (٣٧,٥٠٪) ، واستخدام الموظفين للإنترنت لأغراض لا علاقة لها بأعمال المكتبة ، بنسبة (٥٠٪) ، كما يتضح لنا من الجدول (١٢) أن أكثر المعوقات حدة لها علاقة بالموظفين ، وبالخبرة الفنية وعتاد الشبكة ، إضافة إلى بعض المشكلات التي حصل عليها الباحث من خلال المقابلات الشخصية والمتمثلة في :

١ - عدم وجود الدعم لحركات البحث العربية .

٢ - كثير من الموردين والناشرين العرب لا يرغبون في التعامل باللغة الإنجليزية .

٣ - كثير من المصادر الاستنادية للمجموعات العربية تعتمد على الأرقام الرومانية في عملية البحث والعرض عبر الشبكة .

٤ - سرقة بطاقات المعالجة والتخزين من الحاسوبات الآلية في إحدى الجامعات الأمريكية (كان الحل هو تركيب جهاز إنذار في الكومبيوتر يصدر صوتاً عند محاولة القيام بالسرقة) .

٥ - أجهزة قديمة لا تواكب تطورات سرعة الشبكة .

٦ - عدم إلمام الموظفين باللغة الإنجليزية في المكتبات العربية .

٧ – ضرورة مراقبة المستفيدين حتى لا يساء استخدام الشبكة .

٨ – تغير مستمر في مواقع الناشرين العرب مما يؤدي إلى صعوبة في التعامل معهم .

٩ – بطء الاعتمادات المالية للتزويد في المكتبات العربية حيث أدى في بعض الأحيان إلى زيادة في أسعار الكتب والدوريات أو انتهائها من الطبع قبل صدور قرار مالي باعتماد توريدها .

الجدول رقم (١٢) المعوقات والمشكلات

م	المعوقات والمشكلات	التكرار	النسبة
١	محدودية الموارد المالية	٧	٤٣,٧٥ ٪
٢	عدم وجود العدد الكافي من الموظفين المؤهلين في مجال الإنترنت	٧	٥٦,٢٥ ٪
٣	عدم وجود الخبرة الفنية في المكتبة للتعامل مع الإنترنت	٦	٣٧,٥٠ ٪
٤	عدم وجود أجهزة كمبيوتر كافية	٦	٣٧,٥٠ ٪
٥	وجود أنظمة تحد من استخدام الإنترنت	٤	٢٥ ٪
٦	عدم وجود مقاييس موحدة لتقييم الصفحات	٢	١٢,٥٠ ٪
٧	استخدام الموظفين للإنترنت لأغراض لا علاقة لها بأعمال المكتبة	٨	٥٠ ٪
٨	معوقات ومشكلات أخرى	–	–

ومن الجدول رقم (١٣) يتضح لنا مدى رضى المكتبات المشاركة في الدراسة عن خدمات الإنترنت حيث تبين أن النسبة الغالبة ست مكتبات بنسبة (٣٧,٥٪) كانت راضية إلى حد كبير عن الإنترنت وأربع مكتبات بنسبة (٢٥٪) كانت شديدة الرضى ، وثلاث مكتبات بنسبة (١٨,٧٥٪) كانت راضية ، وجامعة واحدة بنسبة (٦,٢٥٪) كانت راضية ، بينما كانت مكتبتان فقط بنسبة (١٢,٥٠٪) غير راضيتين عن خدمات الإنترنت .

ويرى الباحث أن نسبة الرضى المدرجة في الجدول (١٣) تعطي مؤشراً عاماً وليست مقياساً دقيقاً لمستوى الرضى الحقيقي عن الإنترنت في المكتبات الجامعية . وبناء عليه يمكن القول بأن مستوى الرضي قد يرتفع عندما يكون هناك دعم بشري ومالي ومعنوي للموظفين وتخطيط سليم وعلمي لكيفية الاستفادة من الإنترنت .

الجدول (١٣) مدى الرضى عن خدمات الإنترنت

	عدد المكتبات (التكرار)	النسبة
شديد الرضى	٤	٢٥٪
راضٍ إلى حد كبير	٦	٣٧,٥٪
راضٍ	٣	١٨,٧٥٪
راضٍ إلى حد ما	١	٦,٢٥٪
غير راضٍ	٢	١٢,٥٠٪

المقترحات والتوصيات

١ - تبين من نتائج الدراسة أن الخطط المدروسة لمشروعات وبرامج وخدمات المكتبات لا تحظى باهتمام كبير. فإذا نظرنا إلى الجدول رقم (٣) وجدنا أن مكتبتين فقط بنسبة (١٢,٥) اعتمدتا على خطة مدروسة لإدخال الإنترنت ، بينما اعتمدت المكتبات الأخرى إما على رغبات المستفيدين ، أو رغبات المسئولين في الجامعة ، وهذا يدل على أن جدوى وأهمية التخطيط المنظم في المكتبات لا تزال خارج حسابات كثير من المسئولين عن المكتبات . فقد يرى البعض أن الخطط بشكل عام مكلفة ، ومعقدة ، وغير مجدية في عصر يتميز بسرعة وتعدد التطورات التقنية والمعلوماتية إلا أن الباحث يؤكد على أهميتها ويوصي بالاعتماد عليها لكل وظائف وخدمات ومشروعات المكتبات بشرط أن يتوافر في هذه الخطط الدقة في الإعداد لها ، والمرونة في استيعاب أي مستجدات أو تطورات تحدث مع مرور الزمن .

٢ - يوصي الباحث بأن تركز المكتبات على فكرة اللجان الاختصاصية في إعداد وتنفيذ وتقييم وتطوير المشروعات الخدمية للمكتبات وفي مقدمتها خدمات شبكة الإنترنت العالمية وعدم تفرد المسئولين بمثل هذه القرارات ولأن الأقسام الرئيسية في المكتبات تقوم بوظائف ومهام عديدة ومتداخلة يصبح التنسيق فيما بينها أمراً لا غنى عنه ، خاصة عند استخدام الإنترنت على سبيل المثال للتزويد ، والفهرسة ، وتطوير المجموعات ، وتقديم خدمات المعلومات مثل خدمة الإحاطة الجارية وخدمة البث الانتقائي للمعلومات .

٣ - من الضروري أن يكون موظفو المكتبات على اطلاع تام ومستمر بأحدث التطبيقات الحاسوبية في مجال المعلومات ويأتي في مقدمة ذلك إجادة التعامل مع الإنترنت بما يخدم أهداف مكتباتهم . ولتحقيق ذلك يمكن للمسئولين عن المكتبات القيام بما يلي :

(أ) إقامة ورش عمل داخل المكتبة يعرض من خلالها تطبيقات الإنترنت ، وسبل استخدامها وكيفية التعامل معها .

(ب) حث وتشجيع الموظفين على التسجيل في ورش عمل خارجية وحضور المؤتمرات ، والندوات ، واللقاءات العلمية .ومن الأجدى تخصيص بند من بنود ميزانية المكتبة لهذه الأنشطة والفعاليات.

(ج) إتاحة الفرصة أمام الموظفين لمواصلة تعليمهم وتدريباتهم عن طريق برامج الدبلوم المخصصة لذلك أو الالتحاق ببرامج الدراسات العليا .

(د) إقامة برامج تعاونية مع المكتبات الخبيرة في مجال الإنترنت ، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم إما عن طريق الزيارات الميدانية المتبادلة ، أو عن طريق تبادل الموظفين .

(هـ) مطالبة الموظفين في المكتبات الجامعية العربية بتعلم اللغة الإنجليزية ، وتقديم الدعم اللازم لهم من أجل تحقيق هذا الهدف لما للغة الإنجليزية من أهمية قصوى أثناء التعامل مع الإنترنت، إضافة إلى وجود خدمات وإجراءات متعددة في المكتبات لها ارتباط وثيق بهذه اللغة .

٤ - يغلب على كثير من المكتبات الجامعية التي شاركت في الدراسة وجود صفحات لها على شبكة الإنترنت ولكن هذه الصفحات لا تتعدى الإطار التعريفي والإرشادي بأهداف وخدمات ومحتويات كل مكتبة . ولهذا تبرز الحاجة إلى إعداد صفحات تفاعلية ونشطة تجمع بين التعريف بالمكتبة والارتباط بمواقع

وصفحات أخرى والبحث من خلالها عبر الإنترنت عما يحتاج إليه المستفيد من معلومات . فقد أثبت الواقع أن الإنترنت يمكن لها أن تحل محل أحد الموظفين لإرشاد المستفيدين وتوجيههم ، والإجابة عن استفساراتهم ، كما ثبت أنها وسيلة شيقة ومشجعة للبحث عن المعلومة بكل حرية وخصوصية مقارنة بالأسلوب التقليدي الذي يضطر معه المستفيد أن يتعامل مع الموظف مباشرة بالرغم مما قد يحدث بينهما من نفور أو سوء فهم، أو سوء تصرف .

٥ - من الضروري أن يكون لكل قسم من الأقسام الرئيسة في المكتبة صفحة خاصة على أن ترتبط صفحات الأقسام بعضها ببعض في موقع واحد ، ويراعى في تصميمها عدة اعتبارات منها :

(أ) سهولة الوصول إلى كل صفحة ، وسرعة تحميلها خاصة إذا كانت ضمن موقع أكبر ، ومن الأفضل الحد من استخدام الرسوم والصور ما أمكن ليسهل تحميلها على الجهاز، ولا تغني عن الوصف الحرفي .

(ب) يراعى في تنظيم محتويات الصفحة أن يكون حسب الأولويات وفيه لمسة من الابتكار والجاذبية، ويمكن ترتيب المحتويات إما بالموضوع أو الخدمات أو أنواع المستفيدين .

(ج) توفير خيارات دخول متعددة (Access Points) بهدف الوصول إلى المعلومة المطلوبة .

(د) اختيار عنوان واضح وثابت ، وتحديد أهداف الموقع والجمهور المعني بهذا الموقع .

(هـ) إعداد قائمة مفصلة بمحتويات الصفحة مع تقديم شروحات للمصطلحات المستخدمة .

(و) توفير الإحالات والروابط المناسبة (Links) بمواقع وصفحات أخرى لها علاقة أو ارتباط بمحتويات الصفحة .

(ز) الاهتمام بحداثة المعلومات وتأمين حلقة وصل مع المسئولين لتبادل وجهات النظر وتقديم المقترحات عبر الصفحة .

(ح) إعداد نشرات إعلامية مختصرة عن المكتبة وخدماتها ولوائحها وأنظمتها وما يستجد فيها من مصادر معلومات وأنشطة وفعاليات .

٦ - إعداد دراسات لتقييم أدوات ووسائل البحث في شبكة الإنترنت والتعرف إلى المشكلات التي تواجه استخدامها خاصة في المكتبات .

٧ - الاهتمام بالمستفيدين وتثقيفهم تقنياً ومعلوماتياً إما عن طريق اعتماد مقرر دراسي بساعة واحدة معتمدة كمتطلب إجباري بالنسبة للطلاب ، أو عن طريق إقامة دورات وورش عمل لشرح كيفية التعامل مع الإنترنت والطرق المناسبة لاستخدامها . هذا الاقتراح يساعد على خلق مستفيد مدرب وواع وهو بهذه الصفة سوف يساعد المكتبة على أداء مهمتها وتحقيق أهدافها بسهولة وأقل تكلفة .

٨ - التركيز في البرامج الدراسية للمكتبات والمعلومات على الاختصاصات المعلوماتية خاصة برامج الدراسات العليا وما يتعلق منها باستخدامات وتطبيقات الإنترنت ومحاولة رأب الصدع بين النظرية والتطبيق الملاحظ حالياً في كثير من هذه البرامج .

٩ - إجراء دراسة حول كيفية الاستفادة العملية من الإنترنت لوظائف الفهرسة والتصنيف وبناء وتطوير المجموعات وتفصيل دورها في خدمات المعلومات .

١٠ - إجراء دراسة أخرى حول استخدام الإنترنت في المكتبات الجامعية العربية من منظور المستفيدين خاصة الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية .

الهوامش
Resources

١ - Faleh A. Al Dirman Al-ghamdi, "**Planning for An Automated Cooperative Library Network for Saudi Academic Libraries**", Ph.D Dissertation, School of Library and Information Studies, The Florida State University ,Tallahassee, Fl. U.S.A, 1988.

٢- Abdullah Nashed Hafez, "**A Perspective Model for planning and Implementing a Resource Sharing and Information Networking System among Saudi University Libraries**". Ph.D Dissertation, Indiana University, 1989.

٣ - Mohammed Al Khulaifi, "**An Automated Bibliographic Network for the Libraries of Riyadh.**" Ph.D Dissertation, University College / London, 1997.

٤ - Hammady Al Tunasy, "**Feasibility of Establishing National Information Network System for Saudi Arabia**" Ph. D Dissertation, University of Pittsburgh, 1988.

٥ - الخليفي، محمد صالح، **الإنترنت للمكتبات ومراكز المعلومات السعودية** ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٢٠ هـ (ص ١٥) .

٦ - المصدر السابق ، ص ٨٠ - ٨١.

٧ - فالح عبد الله الضرمان الغامدي، "شبكة الخليج من منظور أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك فيصل" **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية** ، مج٢ ، ع١ ، (محرم - جمادى الآخرة ١٤١٧هـ)، ص (٩٠ - ١٢٠) .

٨ - المصدر السابق ، ص١١٦ .

٩ - جاسم جرجيس ، ومحمد السناني. "اليمن والإنترنت : دراسة ميدانية لتقييم خدمات الإنترنت في اليمن" **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية .** مج٥ ، ع١، (محرم - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ) ص١١٨.

١٠- D'Esposito, Joann and Rachel Gardner, "University Students Perceptions of the Internet : An Exploratory Study" **The Journal of American Librarianship** V.25, No. 6, pp.458.

١١- ربحي عليان ، ومنال القيسي ، "**استخدام شبكة الإنترنت في مكتبة جامعة البحرين**" **تكنولوجيا المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات العربية** ، وقائع المؤتمر العربي الرابع للمعلومات من ١-٤ نوفمبر ١٩٩٧م . إعداد وتحرير محمد فتحي عبد الهادي .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، ص(٤١٠-٤١١) .

١٢-هشام عزمي . "مواقع المكتبات والمعلومات : دراسة تحليلية لشبكة الإنترنت" ، **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** ، س ١٧ ، ع٤ ، أكتوبر ١٩٩٧م .

١٣- Agnigu, Beatrice O. "Library Web Sites of Historically Black Colleges and Universities" **College and Research Libraries** V.61, No. 1 (Jan 2000) pp. 30-37.

١٤- Prestamo, Anne M. "Development of Web Based Tutorials for Online Databases" **Issues in Science and Librarianship** (winter, 1998).

١٥- Bao, Xue-Ming, "Challenges and Opportunities: A Report of the 1998

Library Survey of Internet Users at Seton Hall University" **College and Research Libraries** V.58 (Nov. 1998) Pp.541-542.

١٦- Cohen, Laura B. and Julie M. Still, "A Comparison of Research University and Two-Years College Library Web Sites: Content Functionality, and Form", **College and Research Libraries** V.60, No. 3 (Jan 2000) pp. 288.

١٧- Knudson, Frances and other's "Creating Electronic Journal Web Pages from OPAC Records" **Issues in Science and Technology Librarianship**, no. 15 (Summer, 1997) .www.library.ucsb.edu.

١٨- Micco, Mary, "Subject Authority Control in the World of Internet: Part 2" **LIBRES: Library and Information Science Research**, V.6, No. 3, (Sep., 1996).libres.curtin.edu.au/

١٩- Shemberg, Marian, "Electronic Journals in Academic Libraries: A Comparison of ARL and Non-ARL Libraries", **Library Hi Tech.**, V.17 Issue 1, 1999.

٢٠- Weber, Mary Beth, "Factors to be Considered in the Selection and Cataloging of Internet Resources", **Library Hi Tech**, V.17, Issue 3, 1999.

٢١- Medeiros, Norm, "Delivering the Goods: Web OPACs and the Expanding Role of the Cataloger" **Issues in Sciences and Technology Librarianship**, NO. 18, (Spring, 1998). www.library.ucsb.edu.

٢٢- المرجع السابق

www.library.ucsb.e.

٢٣- Yip, Kim Fung, "Selecting Internet Resources": Experience at Hong Kong University of Science and Technology Library" **The Electronic Library** V.15, No. 2, (April, 1997), pp.91.

٢٤- المرجع السابق ص ٢٩.

٢٥- المرجع السابق ص ٣٩.

٢٦- Clayde, Laurel, "A Strategic Planning Approach to Web Site Management", **The Electronic Library**, V.18, Issue 2,(2000).

٢٧- Lynne, P. and Ora Zehavi, "Projects using the Internet at the University of Haifa Library: **LIBRES: Library and Information Science Research Electronic Journal**, V.5, Issue 3-4, (December, 31) 1995.

٢٨- Perry, Timothy, Lelie Perry and Karen Curlin, "Internet use by University Students: An Interdisciplinary study on three Campuses" **Internet Research: Electronic Networking Applications and Policy,** V.8 (No. 2), 1998. Pp. 136-141.

٢٩- Bjoernshauge, Lars, "Consortia Building and Electronic Licensing as Vehicles for Re-engineering Academic Library Services: The Case of the technical knowledge center and Library of Denmark", **Issue in Science and Technology Librarianship,** (Spring, 1999). www.library.ubcs.edu.

مُخَلَّدُ بن بكَّار الموْصليّ

لمحات من إبداعه وما تيسّر من شعره

عبدالله بن سليم الرشيد

كلية اللغة العربية بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تمهيد :

يزخر التراث الأدبي بأسماء أعلام تمر مروراً عابراً، فلا تحظى بعناية، ولا تجد دارساً يخصها بتأمل وطول نظر؛ لانصراف الدراسات إلى الأعلام المشاهير الذين يملأون الدنيا ويشغلون الناس.

لقد تراكمت دراسات كثيرة حول أدب المشاهير حتى غدا أغلبها تكراراً أو نقلاً محضاً أو تأليف أقوال متنافرة أو متلائمة، وصار من الضرورة الالتفات إلى أدب المغمورين، لارتياد آفاق جديدة ربما تسند نتائجها أحكامنا على الأعصر الأدبية، أو لعلها تتمخض عن نتائج جديدة، تغيّر بعض النظرات أو تلغي بعض الأحكام.

إن بعض الدراسات المعاصرة انصرفت إلى شعر المغمورين والمقلّين، جمعاً له ودراسة، وهي مهمة في هذا الباب، ولكنها تظل قليلة بالقياس إلى ما تزخر به المدوّنات الأدبية من أسماء لشعراء وكتّاب، ما فتئ أدبهم يعيش في الظل.

ومن هذه الدراسات ما نشره المستشرق النمساوي غوستاف فون غرنباوم (ت ١٣٩٢هـ) Gustave.Von.Grunebaum بعنوان (شعراء عباسيون) جمع فيه شعر ثلاثة شعراء ودرسه(١).

ومنها دراسات نوري حمودي القيسي (ت ١٤١٥هـ) الذي توفّر على جمع شعر كثير من المغمورين ودراسته في سلاسل سمّاها (شعراء إسلاميون)(٢) و (شعراء أمويون)(٣)، وأعانه هلال ناجي في تأليف كتاب عنوانه (أربعة شعراء عباسيون)(٤).

ولعبدالمعين الملوحي عناية بشعر اللصوص وأخبارهم - وهم من المقلين المغمورين غالباً - إذ جمع ودرس شعر ثلاثة وثلاثين شاعراً (٥).

ولست هنا في مقام تعداد من عُنوا بهذا الجانب، ولكني مؤكد ما قاله نوري القيسي من أن هؤلاء الشعراء يوفّرون للباحثين مادة جديدة، ويقدمون للدارسين فيضاً من المعرفة؛ لتكون الصورة أزهى وأدق وأكمل (٦).

على أنه ليس كل مغمور أو مقلّ جديراً بالدراسة، فثمة من غمره ضعف أدواته الفنية، أو قصور خياله الشعري، أو انصرافه إلى التقليد، فهو لا يعدو أن يكون نظاماً، يقتدر على الوزن والقافية، ويعجز عن قول الشعر، ومثل هذا لا يلتفت إليه.

وإنما المعوّل على من كان مبدعاً موهوباً، ينمّ شعره عن قدرة فنية يجدر الوقوف بها، وخاصة إن ارتبط بها مذهب فكري أو إبداعي يلفت النظر، ويستدعي إدامة التأمل.

ومن هؤلاء هذا الشاعر العباسي الذي شاء الله له أن يكون في زمن غصّ بالمبدعين المفلقين : مخلّد بن بكار الموصلي الذي عطف نظري إليه غَراؤه بهجاء أبي تمام الطائي (ت ٢٣١هـ) فهو ما ينفك ساخراً به، مولعاً بذمّه، غامزاً من نسبه، حتى كاد يستغرق شعره كله فيه.

وحتى أتمكن من الإحاطة بفنّه ونفسيته، حرصت على جمع شعره ودراسته دراسة تكشف ما أحاط

بشخصيته من عوامل ذاتية واجتماعية، وقد توافر لدي من شعره مئة وواحد وتسعون بيتاً اختُلف في نسبة بعضها.

وهذا العدد غير كاف في دراسة الشعر، ولكنه يعطي انطباعاً مبدئياً، ويدل على سائره.

اسمه ونسبه :

هو مخلّد بن بكار الموصلي الأزدي، وفي ضبط اسمه خلاف، فمنهم من يجعله (مَخْلداً) بفتح الميم وتسكين الخاء، وإلى هذا مال محمود الجومرد الذي رأى أن هذا الضبط أخف في اللفظ وأقوى في المعنى؛ لكونه مصدراً ميمياً[٧]، وجاء بهذا الضبط أيضاً - دون نص على اختياره - في الأغاني واللآلي[٨] .

ويذهب آخرون إلى ضبطه بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام المفتوحة، اسم مفعول من (خَلّد) ، ويبدو أنه هو الصواب ، فقد نقل محققو (أخبار أبي تمام) أن اسمه ورد بهذا الضبط في أكثر من عشرة مواضع من هذا الكتاب[٩] .

وأشد صراحة من هذا ما نقله محمد رضوان الداية عن كتاب التوضيح لابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ) ، إذ ورد فيه أن أبا هفّان (ت ٢٥٧هـ) قال يهجو مخلّداً :

ومن الكبائر أن يكون مخلّداً

في الشعر شعر الموصلي مخلّدِ[١٠]

ويقطع صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) الشك باليقين في قوله: «والأسماء كلها (مَخْلد) إلا (مُخَلّد بن بكار) الشاعر، على وزن محمّد» [١١] .

ويكنى مخلّد بأبي محمد، وهو منتسب إلى الأزد بالولاء، قال البكري (ت ٤٨٧هـ): «مخلّد مولى للأزد، وكان إذا غضب عليهم قال:إني مولى للحارث بن كعب، فإذا غضب عليهم قال: أنا من عنزة من أنفسهم، فإذا غضب عليهم قال: أنا امرؤ من الفرس» [١٢] فهو إذاً غير عربي الأصل، خلافاً لمن ذهب إلى أنه عربي أصيل، مستدلاً بأنه لو لم يكن كذلك لما جرؤ على هجاء أبي تمام بشيء هو فيه، وعلى تعييره بأنه نبطي[١٣] . وليس في هذا دليل على ما ذهب إليه، ولانصرافه إلى الحط من نسب أبي تمام أسباب يأتي ذكرها إن شاء الله.

بل إن مخلّداً صرح بعدم خلوص نسبه في العرب، إذ قال:

وإنما المرء ابن عم لنا

ونحن من كوثى ومن بابل[١٤]

وكوثى بلد في سواد العراق[١٥]، أراد أنهم نبط.

وهو في موضع آخر يتضايق من ضعف انتسابه للعرب فيقول:

لا درّ درّ أبي، ما كان أجهله

إذ لم يقل: إنني من سادة العرب

ماذا عليه ؟ وماذا كان ينقصه

لو قال: إني ابن ماء المزن في النسب[١٦]

وهو من الطارئين على الموصل، وأصله كما يروي أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ) من الرحبة[١٧]، وهي قرية قريبة من القادسية[١٨]، ويبدو أن مخلّداً لما قال:(نحن من كوثى ومن بابل) لم يرد حقيقة الانتساب إلى هذين البلدين، ولكنه أراد أنهم ليسوا عرباً أقحاحاً.

مولده :

ليس في المصادر التي عرضت لشعر مخلّد ما يدل على تاريخ مولده، ولكنّ محموداً الجومرد اجتهد اجتهاداً حسناً في تقريب هذا التاريخ، فبنى على قصيدته التي مدح بها سليمان بن عمران (ت ٢٥١هـ) بعد وقعة الميدان سنة ١٩٨هـ، أن مخلّداً كان عند إنشائها في أواخر العشرينات من عمره، وأن ولادته كانت سنة ١٧٠هـ[١٩]، ويظهر أن مولده كان في الرحبة لا في الموصل؛ لأن الصولي يقول عنه: «ثم أقام بالموصل»[٢٠] .

أسرته وصلاته برجال عصره:

لم تفدنا المصادر إلا بعُلالة لا تشفي غليلاً عن أسرته التي يبدو أنه لم ينبغ فيها أحد، ما خلا ابن عمه كاملاً الذي كان ذا عناية بالشعر رواية وإقراءً، والذي دلّ على هذا قطعة لمخلّد يهجو فيها كاملاً، ويتعجّب من تصدّيه لإقراء الشعر في المسجد[٢١] .

أما صلاته برجال عصره فيمكن جعلها في مستويين: الأول صلة الصداقة والعلاقة الشخصية، والثاني : صلة السياسة. فأما الأولى فقد سخت بعض المصادر بذكر صديق له يدعى الصقر بن نجدة العنزي، كان يحفظ شعر مخلّد ويرويه[٢٢] ولم أعرف عنه أكثر من هذا.

وممن جمعته به الصداقة أبو تمام، فقد وردت عدة أخبار تدلّ على ذلك[٢٣]، منها أن مخلّداً قدم على أبي تمام، فأدخله في حمام له في بيته، وأسلوب المحاورة بينهما يدلّ على زوال الكلفة[٢٤]، ولكن هذا العلاقة آلت إلى خصام جعل مخلّداً يغرق في هجاء أبي تمام هجاءً فاحشاً. ويظهر أن طول إقامة مخلّد في الموصل، وقلة مبارحته إياها حدّ من اتصاله بشعراء زمنه وأدبائه[٢٥]. أما صلاته السياسية، فإن تكسّبه وطلبه للعطاء أفضيا به إلى الاتصال بالمعتصم (ت ٢٢٧هـ) الذي كان معجباً فيما يظهر بشعره، إذ أثابه بثلاثة آلاف، وأثاب غيره بأقل من ذلك[٢٦].

وأبرز من اتصل بهم : السيّد بن أنس التليدي (ت ٢١١هـ) الذي كان والياً على الموصل للمأمون (ت ٢١٨هـ)[٢٧]، ويبدو أن مخلّدا كان مختصّا بالسيّد مقرباً منه، فله فيه وفي قومه بني تليد ثلاث مدائح، وله فيه مرثيتان، وكان السيد معجباً بشعره حتى إنه لما طُلب منه أن يُنشد شيئاً مما قيل فيه، أنشد قول مخلّد :

وإذا ترعرع من تليد ناشئ

جعل الحسام ضجيعه في المرقد[٢٨]

ومن الرجال الذين اتصل بهم مخلّد ومدحهم أو رثاهم: علي بن الحسن الهمداني (ت٢٠٢هـ) وصدقة بن علي الملقب بزُريق (ت بعد ٢٢٣هـ) ومحمد بن البعيث بن حلبس (ت ٢٣٥هـ) وسليمان بن عمران (ت بعد ٢٥١هـ)، ومالك بن طوق التغلبي (ت ٢٥٩هـ) ومحمد بن حبيب الطوسي (ت ؟) .

أخلاقه وصفاته:

تشي الروايات القليلة عن حياة مخلّد ببعض ما اتصف به من خلق، وتعطي صورة غير مكتملة عن شمائله وطباعه: فهو ظريف فكه يدلّ على ذلك مجاوباته لأبي تمام - حين كانا صديقين[٢٩] - وكذلك بعض شعره الهجائي[٣٠].

وفي قصته لما سمع أن ابن عمه كاملاً يقرئ الشعر في المسجد الجامع دلالة على استحكام الظرف في روحه، إذ لم يكتف بالقول المستطرف، بل أتى فعلاً، قد ينسب من أجله إلى السفه والطيش، ذلك أنه صعد منارة الجامع، وصاح من فوقها منشداً أبياتاً في هجاء كامل، وبسبب هذه القصة الغريبة لقّبه محمود الجومرد بشاعر المنارة[٣١].

ويمتزج بالظرف عند مخلّد رحابة الصدر، وهذا الامتزاج ملحوظ عند أغلب الظرفاء؛ لاقتضاء أولى هاتين الصفتين وجود الأخرى، وبين يديّ خبر لمخلّد يدل على رحابة صدره، قيل: إنه أنشد قصيدة له منها هذا البيت:

كل شيء أقوى عليه، ولكن

ليس لي بالصدود منك يدان

فاتهمه عبد الله بن ربيعة الرقّي (ت ؟) بأخذ المعنى من العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ) إذ يقول:

عذبيني بكل شيء سوى الصد (م)

فما ذقت كالصدود عذابا

فضحك مخلّد ولم يرد عليه[٣٢]، على أن ضحكه قد يكون إقرارًا بالتهمة ورضوخا للحجّة، وقد يكون استعلاءً عن الرد على ذلك المتكلم.

والصراحة صفة متصلة بالصفات السوابق، وقد كان مخلّد لا يأنف من التصريح بهجنة نسبه، فهو يقول:

لا در درّ أبي ما كــــان أجهلــه

إذ لم يقل: إنني من سادة العرب[٣٣]

ويزداد صراحة في قوله هاجياً ابن عمه:

وإنمـا المـرء ابـن عــم لنـــا

ونحن مـــن كوثـى ومـــن بابـــل

وكأنه يقول: لسنا أهلاً لإقراء الشعر فنحن نبط، ثم يتبع صراحته هذه بوصف لا يخلو من السخرية بالنفس:

أذنابنـــــا ترفـــع أثوابنـــــا

من خلفنا كالخشب الشـــائل[٣٤]

وأقف عند خبر عن مخلّد، فيه أنه سأل صديقه الصقر بن نجدة العنزي – وكانا في مجلس بعض الأمراء – أن ينشد سليمان بن عمران – وكان حاضراً – شعراً مدحه به مخلّد، فأنشد الصقر رائيته التي مطلعها:

أيموت الصفا ويحيا الضجـــور

ويبيد النقا وينمي الفجـور؟[٣٥]

إن السؤال يبدر هنا: لمَ لمْ ينشد مخلد قصيدته بنفسه ؟ أكان لا يحفظ شعره ؟ هذا وارد، أم كان يشكو حبسة في لسانه وثقلاً ؟ أم كان يخجل من إلقاء الشعر على الملأ؟ وهذا كله محتمل لو لم ترد أخبار أخرى تفيد أنه أنشد الشعر في بعض المجالس، كمجلس المعتصم[٣٦]، كما أن قصة إنشاده الشعر فوق منارة المسجد تنفي هذين الاحتمالين.

والذي أجدني صاغياً إليه أن هذا الخبر كان في شيخوخته، فقد ضعف صوته، وكلّت ذاكرته، فوكل أمر الإنشاد إلى صديقه الذي كان يحفظ شعره ويرويه.

ومن صفات مخلّد شدة الحسد، تبدّى ذلك حينما رأى شمس أبي تمام تخبي سراجه، فانقلبت صداقته عداوة، وبارزه بالشعر، حتى استفرغ جل شعره في هجائه، وهذا يقع كثيراً بين أهل الصفة الواحدة، ولم يكن مخلّد بدعاً في هجاء أبي تمام، فقد هجاه جمهرة من شعراء عصره، منهم عبدالصمد بن المعذّل (ت ٢٤٠هـ) ودعبل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) وخالد بن يزيد الكاتب (ت ٢٦٢هـ)، ولكن مخلّداً أربى عليهم جميعًا، إذ إن جُلّ ما وصلنا من شعره لا يعدو أن يكون ولوغًا في عرض أبي تمام وحطّاً من شأنه . لقد كان مخلّد يشعر بمركب النقص تجاه أبي تمام، ولم يكن هجاؤه إياه من قبيل التحدي، ولا لكونه أنكر على أبي تمام حبه للخمر واستهتاره بالغلمان وتكسبه بالشعر، فأراد أن يحط من هذه الصفات بهجاء صاحبها -كما قال الجومرد-[٣٧] بل هو ناقم ثائر، ساءه ألا يجد لاسمه مكانًا في ذاكرة الشعر، وأبو تمام يستحوذ على اهتمام الخاصة والعلية من الناس.

لقد ساقته الضغينة والحقد إلى اتخاذ السخرية المقذعة وسيلة لتحطيم مجد أبي تمام، فهو من أولئك الشعراء الذين يجدون في تشويه سمعة الخصم راحة لأنفسهم، وسببًا لإزاحة عقبات تعترض سبيل شهرتهم، ولذا نجدهم لا يَعفون عن النيل من الأعراض وإبراز المخازي، ورمي الخصوم بما تشمئز منه النفوس[٣٨] .

ملامح من حياته:

تفيد أغلب المصادر أن مخلّداً لم يبرح الموصل إلا قليلاً، ومن هذا القليل قدومه على المعتصم ومدحه إياه، وقد حظي من ذلك بجائزة سنية، على أن مديحه لمحمد بن البعيث الذي كان بأذربيجان، وصدقة بن علي المعروف بزريق الذي كان واليًا على أرمينية وأذربيجان أيضًا، ربما أفاد أنه رحل إليهم.

وقد اقتعد مخلّد غارب التكسب بالشعر – خلافًا لما ذهب إليه الجومرد– [٣٩]، وما ورد آنفًا يدل على هذا، بل إن ثلث شعره الذي بين يديّ هو في المدح ، وخاصة لولاة الموصل.

أما قوله:

لما رأت همي على مـــــرهويـــــة

أسمو بها وأصون وجه سؤالي[٤٠]

فلا يدل على تعففه عن السؤال، بل هذا لون من التلطف في الاستجداء؛ لأنه يمدح محمدًا الطوسي، أي أنه يصون وجه سؤاله عن طلب العطاء من غير الممدوح، إيغالاً منه في المدح . بل إنه يمدح الرجل وخصمه، ألا تراه يمدح السيد بن أنس التليدي الذي كان مختصاً به، ثم لا يضن بالمديح على قاتله زريق بن علي ؟ إن هذا من أقوى الدلائل على سلوكه مسلك التكسّب والاستعطاء بالشعر[41] .

ويظهر أن حياة مخلّد تقلّبت بين فقر وغنى، فعطايا الأمراء وسّعت عليه شطرًا من حياته، وقد ورد خبر يدلّ على أنه كان له غلام يدعى بدرًا[42]، واتخاذ الغلمان في هذا العصر مظهر من مظاهر اليسار.

ولكن قصيدة له في مدح مالك بن طوق والتظلم إليه توحي بأنه عانى الفقر، إذ وصف حال بناته وشظف عيشه في قوله:

فمالي – وبيتي في ذراك – تروعني
مظالم قد مـارت عليها الترائك ؟
درى الله أني لم أنلهنّ ما خلا
شجا في مجاري الروح والنفس ماسك[43]

على أن هذا قد يحمل على الادعاء طلباً للعطاء، وتلك شنشنة كثير من المتكسبين.

وينبغي الوقوف عند خبرين فيهما شيء من التناقض، أحدهما يدل على شهرة مخلّد، وذلك أنه لما أنشد المعتصم شعرَه سأله عن اسمه – وقد أعجبه الشعر – فقال: مخلّد، فقال المعتصم: الموصلي؟ قال: نعم، قال: قد أثْبَنا كلمتك قبل خروجك إلينا. وحسبك من شهرة الرجل أن يعرفه الخليفة، وأن يعد له العطاء قبل أن يسمع منه، والخبر الآخر يفيد أن أبا تمام لم يلتفت إلى مخلّد إلا أكثر من هجائه، وقال لمن سأله عن علّة ذلك: «إن جوابي يرفع منه» [44] قال ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) : «ولو هجاه لشرفت حاله ونبُه ذكره»[45]، فهذا صريح في أن مخلّداً كان مغموراً غير مشهور.

والذي أميل إليه أن معرفة المعتصم إياه كانت رهين زمن محدود، إذ ربما ذكره أحد ولاة الموصل في مجلس الخليفة قبل أن يمثل بين يديه مادحاً بمدة يسيرة، ويعضد الحكمَ بانغمار ذكره قلة ورود شعره وأخباره في المصادر والمدوّنات الأدبية.

وفاته:

لم ينص أحد ممن ذكروا مخلّداً على سنة وفاته، ولعل أبا زكريا الأزدي (ت ٣٣٤هـ) قد أشار إليها، ولكن ضياع ثلثي كتابه في تاريخ الموصل يجعل الأمر رهن الاحتمال والظن.

غير أنه ينبني على رواية الصولي قولَ مخلّد: «إن أبا تمام مات بالموصل سنة ٢٣٢ هـ»[46] أن مخلّداً مات بعد هذه السنة، والى هذا أشار الجومرد[47] .

شعره:

لم أجد من أشار إلى أن لمخلّد ديواناً مجموعاً ولم يرزق شعره عناية القدماء ؛ لعدم شهرته ولنزول طبقته عن شعراء زمانه، ويبدو أن الموصل ليست بلاد شعر، وقد قال أبو تمام عن مخلّد: إنه ليس شاعراً، «ولو كان شاعراً لم يكن من الموصل»[48] .

ومن العناية القليلة إفراد ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) فصلاً لم يتجاوز الصفحتين عن أخباره ، وهو لا يشفي غليلاً[49] .

يقول محمود الجومرد: والذين توسعوا في الحديث عن مخلّد اثنان ، الأول : أبو بكر الصولي في كتابه (أخبار أبي تمام)، والثاني : أبو زكريا الأزدي الموصلي في كتابه (تاريخ الموصل).

أما الصولي فقد تحدث عن علاقة مخلد بأبي تمام، ولم يورد غير شعره في الهجاء، وأما أبو زكريا الأزدي فقد كان كتابه في ثلاثة أجزاء لم يبق منها سوى الثاني، ولم

يجد محققه إلا نسخة واحدة، ولذا جاء أكثر شعر مخلّد في هذا الكتاب محرفاً أو مصحفاً(٥٠) .

وقد كان أبو زكريا الأزدي محتفياً – فيما بقي من كتابه – بشعر مخلّد وأخباره ، ولعل بينهما علاقة دعته إلى هذا، إضافة إلى اجتماعهما في الانتساب إلى الأزد وإلى الموصل.

وفي عصرنا هذا عُني محمود الجومرد بشعر مخلّد وأخباره فأفرد له كتاباً سماه (شاعر المنارة مخلد بن بكار الموصلي) جاء في مئة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط.

وهو كتاب رائد في دراسة هذا الشاعر، غير أنه يؤخذ عليه التوسع في التمهيد عن أحوال الموصل السياسية والاجتماعية والثقافية، والإطالة في النقل عن نقاد الأدب مما ليس له علاقة مباشرة بالشاعر، كما أنه يسرف في شرح الأبيات شرحاً مدرسياً(٥١) .

ويُلحظ عنده أيضاً عدم التواؤم بين المضامين والعناوين أحياناً، فقد عنون – مثلاً – أحد مباحثه بـ(مخلد الموصلي وأبو تمام الطائي) وجاء في إحدى عشرة صفحة، لم يرد فيها ذكر مخلد إلا في الصفحة الأولى، وسائرها عن أبي تمام(٥٢) .

وأكبر ما يؤخذ عليه وقوفه موقف المعجب بمخلد، المدافع عنه، المؤول كل إقذاعٍ أو فحشٍ يصدر عنه، وهذا من أكثر المزالق لدى من يتصدون لدراسة الشخصيات، ومهمة الباحث أن يجتهد في نقل صورة أمينة عن عصر الأديب وحياته، بلا إعجاب مجامل، ولا عداء متحامل.

ولم تسلم دراسة الجومرد من أخطاء علمية، فمن ذلك أنه ظن مجيء القوافي في الأرجوزة البائية ضرباً من التصريع(٥٣)، والحقيقة أنها من مشطور الرجز، والتصريع لا يكون إلا في مطلع القصيدة، ومشطور الرجز تكون قافيته ملتزمة في نهاية كل شطر، على أنه ملحق بالبيت التام.

وعلى اجتهاد الجومرد في الشرح وإطالة الحواشي، وقع في أخطاء ، وندت عنه اجتهادات غير موفقة(٥٤)، ولكن جهده يبقى محموداً، ويذكر له أنه أول من تصدى لدراسة شعر هذا الرجل والعناية به بصورة تصبو إلى الكمال، وإن كان لم يُعن باستقصاء المصادر، ولم يسعَ إلى جمع شعره.

موضوعات شعره:

لم يخرج مخلّد عن الفلك الذي يدور فيه شعراء زمانه ومن قبلهم، من حيث الأغراض، فله في الهجاء اثنتا عشرة قطعة، وفي المدح عشر قطع، وفي النسيب خمس، وفي الرثاء ثلاث، وفي الوصف اثنتان.

إن كثرة قطعه في الهجاء – بالقياس إلى سائر الأغراض – تعضد ما وصفه به ابن ناصر الدين من أنه (هجّاء فاحش القول)(٥٥)، ولكن ضياع أغلب شعره يجعل الدارس في حرج من الاتّكاء على قطع قليلة للخروج بأحكام على مذهبه الهجائي، وإن كانت سائرة على منهج الشعراء العباسيين الذين صار الهجاء عندهم (شخصياً يتعرض للأعراض، مزرياً بالمهجوين، محقراً لهم ومهوناً)(٥٦) .

إن تاريخ الهجّائين عامة يتضمن مقاساتهم مما بغّض الحياة إليهم وحقّرها في نظرهم، وجعلهم يتطيرون بكل ما فيها، ويحقدون على كل ذي نعمة(٥٧) .

ومخلّد واحد من هؤلاء، فقد طلب في حياته المال والثراء فلم يجد منه إلا القليل ، وراود الشهرة فامتنعت منه، ووجد نفسه خالياً من الحسب والنسب في مجتمع تُعلي فيه الأنساب ويعظم الفخر بها، فصب في شعره جام الغضب والاحتقار والاستهزاء ، والهجاء لا يخرج عن هذه العواطف(٥٨) .

ويبدو أن مهاجاة وقعت بينه وبين أبي هِفّان لم يصلنا منها سوى قول أبي هفان :

ومن الكبائر أن يكـون مخلـداً

في الشعر شعر الموصلي مخلّد[59]

وربما كانت بعض أهاجي مخلّد التي لم يصرح فيها باسم المهجوّ[60] منصرفة إلى أبي هفان ، ولكن لا دليل على هذا الاحتمال.

غير أن شهرة مخلّد النسبية جاءته من هجائه أبا تمام، ويبدو أنه أراد ذلك، فقد اتخذ من علوّ شأن حبيب وشهرته سلماً يصعد به، وقد عرف هذا أبو تمام فلم يجبه وسكت عنه – كما سكت عن غيره – ولكن مخلّداً لجّ في هجائه، حتى قيل لأبي تمام : «قد فضحنا هذا الموصلي بهجائك، فأجبه، فقال : إن جوابي يرفع منه، وأستدر به سُبة»[61] .

لقد أسند الصولي رواية قصائد مخلّد في أبي تمام إلى أكثر من راوية[62]، وهذا مما يدل على استفاضة أمره، وهو دالّ أيضاً على شعر كثير انطوى في مجاهل الزمن .

وسلف القول مني في الحديث عن أخلاق مخلّد وصفاته الماحة إلى سبب ما وقع منه في حق أبي تمام، وأضيف هنا أن من دوافع الهجاء عامة ذلك التنازع الاجتماعي[63] الذي لا تخلو منه بيئة في كل الأزمنة ومما يؤجج هذا التنازع تنافس الشعراء على الحظوة لدى السادة[64]، وإعجاب كل شاعر بنفسه، حتى إنه ليؤله أن يفضّل غيره عليه.

أما الحظوة فقد أيقن مخلّد ألا موطئ له – وأبو تمام يملأ الدنيا ويشغل الناس – وبقي الإعجاب بالنفس يعتمل في صدره فيشعل نار الغيرة والحقد على ذلك الرجل، ولكن موقن أنه لن يضر أبا تمام إن هو هجا شعره وفنه، أو شكك في عبقريته، ولهذا انصرف إلى بعض المغامز في سيرته ونسبه، مازجاً ذلك بتصوير ساخر هو أقرب إلى رسمٍ شائه مضحك، لم يخل من الشتائم والفحش خلافاً لما زعمه الجومرد[65] .

إنه يعمد إلى التقبيح والتنفير كما في قوله:

عينك القاصعاء أذنك دأما.......

ء، وأذنـاك نافقـاء فسيـح[66]

وقوله:

شعر فخذيك وساقيـ.........ك خزامى وثمام

وضلوع الشلو من صد.... رك نبع وبشام[67]

واعتماده هذا الضرب من الهجاء دليل على يأسه وضعف موقفه إذ لا يعمد إلى الهجاء بالصفات الجسدية إلا الضعيف، وإن كان وارداً أنه أراد هجاءه هنا على طريقته في الأرجوزة :

لو امتخطتَ وبرة وضبا[68]

أي أنه أراد الهزء به من انتسابه إلى طيء، فأراد تأكيد ذمّه إياه وتشكيكه في ذلك النسب بذكر ما اختصت به بلاد العرب من مظاهر صحراوية في سياق الوصف.

لقد كان هجاؤه أبا تمام من باب استجلاب النباهة[69]، ولذا لم يجبه أبو تمام – كما سلف – فألّه ذلك، فعمد إلى تضخيم ما يُشاع عنه من انحراف في السلوك وهجنة في النسب، والهجّاؤون يعمدون غالباً إلى اتخاذ الشائعات سلاحاً في حربهم النفسية، ولا يتورعون عن المبالغة والتحريف ليفتّوا في معنويات الخصوم[70] .

وإن من العجيب أن يتخذ مخلّد مسألة نسب أبي تمام وسيلة لهجائه، مع أنه هو أيضاً غير عربي الأصل، والذي يظهر أنه لم يشأ أن يفرّط في سلاح يظنه فاتكاً، وإن ارتدّ بعض أثره عليه.

كما أن ضراوة لسانه بالهجاء تجعله لا يبالي بما يقول في سبيل تحقيق مآربه الذاتية، ولهذا نجده يهجو أباه:

لا در درّ أبي ما كـان أجهلـه

إذ لم يقل إنني من سادة العرب[71]

مما يجعل قارئ شعره يجزم بأنه كان يحس بمركب النقص وقد وجد في أبي تمام وسيلة لإفراغ شحنات من الحقد واليأس، وعلى هذا فليس صحيحاً ما

زعمه محمود الجومرد من أن سبب ذلك الهجاء القاسي كون مخلّد لا يسكت عن خطأ أو ظلم، ولا يحب التهتك والمجون(٧٢)، ولو كان كذلك لما أقذع هذا الإقذاع الذي نجده في القطعة الثانية عشرة التي قالها بعد وفاة أبي تمام، ولم يراع حرمة الموت ولا جلال الفناء(٧٣)، ولما عمد إلى هجاء أبيه وابن عمه وجماعة من أهل الموصل.

ومهما يكن فإن في بعض أهاجيه دعابة وسخرية دقيقة كما في قوله:

ولو نكحتَ حميرا وكلبــا

....

ولم تسمّ القطن إلا عُطبـا

وقلت للعير البليد : حَوْبـا

مـا كنت إلا نبطيا قُلبا(٧٤)

ومن أدق الملامح النفسية أن يهجو المرء نفسه، ذلك أنه يثبّط من يريد هجاءه، ومن هذا الضرب قول مخلّد عن قومه:

أذنابنـــا ترفـــع قمصاننـــا

من خلفنا كالخشـب الشائل(٧٥)

وهذه صورة مضحكة صدرت عن طبع لا تكلف فيه.

أما مدائحه - وهي مرتبة ثانية - فهي تنهج نهجاً لاحباً، إذ يصف ممدوحيه بالكرم والشجاعة والحلم، يقول مثلاً:

مِحْرب مِثْـرب حلـيم جـواد

سـيّد أيّـد عفـوّ غفـور

أحلم الناس ثم إن سيم ضيماً

جهر السيفَ حقُّه المأثـور(٧٦)

ويصف الممدوح بالشرف المكتسب بالقوة:

لمحمـد بيـت بنـاه بنفسـه

أطناب حجرته النجوم الكُنّس(٧٧)

وهو لا يخرج عن أساليب المتقدمين في بيان كرم الممدوح والمبالغة فيه مثل قوله:

إذا لم يجُد نوء السمـاء ، فكفّـه

تروّي الثرى حتى تجود خمائلُه(٧٨)

ويبالغ أحياناً حتى يخرج عن الجادة، ويأتي بكلام فجّ كقوله:

أما الجبال فقـد رأيت ملوكهـــا

لا يحلفـون إذا خلـوا بسواكـا

لو طوّفـت بالبيت واعتمـرتْ بـه

لم تخش خالقها كما تخشاكا(٧٩)

وتنحو مراثيه هذا النحو من إسباغ صفات الكمال ورتب المجد على المرثيين ممزوجة بالبكاء والتفجّع، يقول في رثاء السيد التليدي:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثلـــه

من فارس لقي الكتيبة أوحـــدا

مـا كـــان سيّـد قومـه، لكنـه

قد كان فارسهم فسمّيْ السيّدا(٨٠)

أما نسيبه فلا يخلو من رقة وعذوبة، ولعله لو توفر عليه لكان له فيه شأن، وربما كان فيما ضاع من شعره نماذج أخرى تؤيد هذا الرأي يقول مثلاً:

يا مـــنزلاً ضـنّ بالســلام

سـقيـت ريّــا مـــن الغمـام

لم يـــترك القطـر منـك إلا

ما ترك الشوق من عظامي(٨١)

ويقول مازجاً معناه بتصوير بديع:

لقد غاض صبري حين فاضت مدامعي

كأن الذي يجري من الجفن من صبري(٨٢)

وربما تقمص أرواح القدماء، فجاء متلبساً بأساليبهم في ذكر الشوق والهوى، كما في قوله:

أقـول لنضو أنفد السير نيّهـا

ولم يبق منها غير عظـم مجلّـد

خذي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى

وشاقك تحنان الحمام المغرد[٨٣]

أما وصفه، فالذي بين يديّ منه بيتان في وصف النجوم وثالث في وصف بريّة، وهي لا تخرج عما قرّرته من سلوكه مسلك أغلب الشعراء في عصره.

وله في الفخر أبيات جاءت في ثنايا بعض قصائده، كقوله:

هيّجتَ مني شاعراً أريبا

يدير في فيه حساماً عضبا

مهنّداً مدّاحة مِسَبّا

يلحب أعراض اللئام لحبا[٨٤]

وهو هنا كغيره من الشعراء، نرجسي النزعة، يضخّم ذاته، يمجّد قدراته الفنية.

وتنبثّ الشكوى أيضاً في تضاعيف بعض القصائد، كقصيدته التي خاطب بها مالك بن طوق، مادحاً وشاكياً سوء حاله وحال بناته[٨٥]، وهذا التمازج في الأغراض صفة ثابتة في الشعر.

شاعريته:

لم يكن مخلّد بالشاعر المجلّي ولا المصلّي، وهذا الرأي مستقىً من النصوص القليلة الباقية من شعره حتى إن بعض النقاد يقول عنه: إنه يعتمد في كثير من شعره الباقي على من سبقه من الشعراء، يأخذ معانيهم أو يجري على سننهم كأنه يعيد صياغته[٨٦].

غير أن القارئ يجد له معاني قد ينسب ابتكارها إليه، وذلك مثل قوله:

يحسن الكرّ في الكلام وفي الإقـ

ـدام يوم الوغى وعند النزال[٨٧]

وقد قال البديعي (ت ١٠٧٣هـ) : إن المتنبي (ت ٣٥٤هـ) أخذ هذا المعنى فقال:

هم المحسنون الكر في حومة الوغى

وأحسن منه كرّهم في المكارم[٨٨]

ويذهب أيضاً إلى أن قول المتنبي:

ما زال كل هزيم الودق ينحلها

والشوق ينحلني حتى حكت جسدي[٨٩]

مأخوذ من قول مخلّد:

يا منزلاً ضنّ بالسلام

سقيتَ ريّاً من الغمام

ما ترك القطر منك إلا

ما ترك الشوق من عظامي[٩٠]

والحقيقة أن هذا المعنى متعاور بين شعراء هذا العصر، فمحمد بن وهيب (ت ٢٢٥هـ) يقول:

لبسا البلى فكأنما وجدا

بعد الأحبة مثل ما أجد[٩١]

وللبحتري (ت ٢٨٤هـ):

حملت معالمهن أعباء البلى

حتى كأن نحولهنّ نحولي[٩٢]

وقد ذهب ابن وكيع التنيسي (ت٣٩٣هـ) إلى تفضيل قول مخلّد على قول المتنبي، وذلك قوله: «خبّر أبو الطيب أن نحول الربع وتهدمه كنحول جسمه وتهدّمه ، ولم يشرح العلتين الموجبتين لذلك، ومخلد جاء بهما فهو أرجح ... ولمخلّد زيادة في الإخبار بعلتين ليستا في بيت أبي الطيب»[٩٣] .

وربما كان قول مخلّد في وصف سرعة الناقة:

فلما ونَتْ في السير ثنّيت دعوتي

فكانت لها سوطاً إلى ضحوة الغد

من مبتكراته، وذلك أنه دعا عليها بالشوق والهوى:

فمرّت سريعاً خوف دعوة عاشق

تشق بي الموماة في كل فدفد[٩٤]

ولا شك في أن المعاني متوارثة متداولة بين الشعراء، وإنما يحمد للشاعر أن يأخذ فيضيف معنى جديداً، أو يلبسه تشبيهاً مبتكراً أو استعارة لطيفة، ولنأخذ مثلاً معنى (صحبة الطير للجيش) فهو كثير في الشعر، منه قول الأفوه الأودي (ت نحو ٥٠ ق . هـ)

وترى الطير على آثارنا

رأي عين ثقةً أن ستُمار(٩٥)

وقول النابغة (ت نحو ١٨ ق . هـ) :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم

عصائب طير تهتدي بعصائب

جوانح قد أيقنّ أن قبيله

إذا ما التقى الجمعان أول غالب(٩٦)

ومخلّد يقول:

فحامت عليه شاكراتٍ لسيفه

نواهضه من فوقه وحوائله

ولكنه أضاف إضافة حسنة في البيت الذي قبله، إذ جعل الطير تتحامى أكل جسد المرثي ، وتأكل أجساد من قتل:

تحاماه طير البيد لما رأينه

فلا الطير تفريه ولا الطير تاكله(٩٧)

وللمتنبي في هذا المعنى زيادة تختلف عن زيادة مخلّد، وذلك قوله:

سحاب من العقبان يزحف تحتها

سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه(٩٨)

ومن المعاني التي أخذها مخلّد، وخالفها مخالفة يسيرة ما تجده في قول أبي نواس(ت ١٩٨هـ):

بما أهجوك ؟ لا أدري لساني فيك لا يجري

إذا فكّرت في عرضك أشفقت على شعري(٩٩)

إذ قال مخلّد:

قد كثر العيب فيك حتى

أعاذك العيب من هجائي(١٠٠)

والحديث عن الفراق وشدّته وحيرة العاشق تجاهه، من المعاني الشائعة، فقول مخلّد:

كل شيء أقوى عليه ولكن

ليس لي بالفراق منك يدان(١٠١)

تجد له أشباهاً كثيرة، كقول بعضهم :

لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً

لأذقنا الفراق طعم الفراق(١٠٢)

وقول الآخر:

ولقد نظرت إلى الفراق فلم أجد

للموت لو فُقد الفراق سبيلا(١٠٣)

كانت تلك إلماحة عابرة إلى بعض معاني مخلّد، والآن أشير إلى بعض ما يتعلق بصوره الفنية التي هي من أعظم الدلائل على إبداع الشاعر من حيث جدتها وطرافتها:

إن الملاحظ أن مخلّداً يجنح إلى استقاء الصورة مما تراكم في ذاكرته من ثقافته الشعرية، كصورة السيوف التي تسيل عليها النفوس(١٠٤)، والصورة التي في قوله:

واقشعرت لهدمك الأرض شجوا

وبكى للسماء دمع سجام(١٠٥)

ويصعب على الباحث نسبة ابتكار صورة؛ لحاجته إلى رفد من الإحاطة الشاملة بما أبدعه السابقون، وهذا مطلب عزيز، غير أنه يمكن النص على جمال التصوير في بعض إبداع مخلّد، وذلك في مثل قوله:

أراكم تنظرون إليّ شزراً

كما نظرت إلى الشيب الملاح

تُحدّون الحداق إليّ مقتاً

كأني في عيونكم السماح(١٠٦)

وقوله :

لمحمد بيت بناه بسيفه

أطناب حجرته النجوم الكُنّس(١٠٧)

وبالنظر إلى كون مخلّد شاعراً طلب الشهرة فحرمها، فإنه حاول أن يلفت النظر إلى نفسه من خلال الإلحاح على نمط من التصوير الساخر الذي نجده في أرجوزته البائية:

لو امتخطتَ وبْرة وضبّا
وامتشّتَ اليربوع نيّا صلبا
وامتصّتَ الحنظل غضا رطبا
وبِلْت بولَ جمل قد هبّا
ثم قعدت القرفصا منكبّا
....
ما كنت إلا نبطيا قُلبا[١٠٨]

وقصيدته الحائية:

أنت عندي صليبة كم تصيح
شعر فخذيك والمفارق شيح[١٠٩]

لقد كانت معاناته ومرضه الروحي الذي أورثه إياه الحسد شرراً ألهب نار الإبداع في تصويره هذا، مما يؤكد نظرية العلاقة بين المرض النفسي والإبداع[١١٠]، وينبغي التنبه إلى كون ذلك التصوير الساخر لم يرد إلا في أهاجيه لأبي تمام.

على أن الصولي يذهب إلى أن مخلّداً سُبق إلى هذا الفن، ويورد همزية لأبي نواس تنحو هذا النحو[١١١]، ولكني أذهب إلى أن مخلّداً يبقى مجلّياً وإن سُبق.

إن سائر صور مخلّد لا تخرج عن الأنماط الاستعارية والتشبيهية التي يتجاذبها الشعراء، تأمل مثلاً قوله:

وترى النجوم المشرقا.......ت كأنها دُرر العصابةْ
وترى الثريا وسطها وكأنها زرد الذؤابة[١١٢]

وهو تصوير عدّه أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) من التشبيه المصيب[١١٣]، وهو متعاور كثير الورود في الشعر قبل زمان مخلّد وبعده، كما في قول بعضهم:

والثريا كأنها عقْد درٍّ[١١٤]

وقول ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ):

كأن الثريا فيه سبع جواهر
فواصلها جَزْع به فُصِّل النظم[١١٥]

وثمة صور يُفهم من السياق الذي أوردها فيه بعض مدوني الشعر الحكم بابتكارها، كالتي في قول مخلّد يصف بريّة:

ساوية تستنزل الريح جودها
وتظلع فيها الريح في واضح السبل[١١٦]

فقد اتهم الحاتمي (ت ٣٨٨هـ) المتنبي بأخذ الاستعارة لما قال:

أليس عجيباً أن وصفك معجز
وأن ظنوني في معاليك تظلع[١١٧]

والحقيقة أن الاستعارة ليست من ابتكار مخلّد، فقد قال أبو تمام:

ترقّت مناه طود عزّ لو ارتقت
به الريح فتْراً لانثنت وهي ظالع[١١٨]

واستعارة التعب والإعياء - عامة - للريح ليس بالجديد، فرؤبة (ت ١٤٥هـ) يقول:

يكل وفد الريح من حيث انخرق[١١٩]

ومسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ) يقول:

تجري الرياح بها مرضى مولّهة
حسرى تلوذ بأطراف الجلاميد[١٢٠]

بقي أن أشير إلى صورة جريئة لمخلّد في أرجوزته البائية وهي التي جاءت في مطلعها:

لو امتخطتَ وبْرة وضبّا

وهي صورة ناتجة عن إغراب متعمّد، لا تخلو من وثبة خيالية ولّدتها حالة الإحباط والغيظ عند الشاعر، ومثل هذا التصوير ملحق بما يسميه المعاصرون (الصورة

السريالية) التي تتجاوز دور الإدراك العقلي لحقيقة الأشياء، مرتكزة على عامل المخيّلة وحده، مجرّدة من ملابسات العقلانية والشعور الطبيعي[١٢١].

أما أسلوب مخلّد فهو أسلوب يراوح بين طريقة الشعراء المحدثين والشعر الجاري على أساليب العرب، والغالب عليه اتباع أساليب العرب[١٢٢] والسير على عمود الشعر القديم، كما في قوله:

أقول لنضو أنفد السير نيّها
ولم يبق منها غير عظم مجلّد
خدي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى
وشاقك تحنان الحمام المغرد
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق
تشق بي الموماة في كل فدفد
فلما ونت في السير ثنيت دعوتي
فكانت لها سوطا إلى ضحوة الغد[١٢٣]

وقوله:

صدت وما صدت لشيب عَبالي
أخبى بحندسه سراج قذالي[١٢٤]

فهذا شعر يذكر بالشعر الجاهلي والأموي، وكأن قائله أعرابي لا حضري متعرّب.

ومن شعره الذي جرى فيه على سنن معاصريه قوله:

تأهبوا للحدث النازل
قد قرئ الشعر على كامل
وكامل الناقص في عقله
لا يعرف العام من القابل[١٢٥]

وقوله:

جاد لي بعد جماح فبدت
لي في خديه آثار القُبَلْ
يا رسولاً أوصل الصب به
عش نضير الغصن يا مولى الرسل[١٢٦]

فهذا شعر حضري سهل تجافى عن المعاني العميقة والألفاظ الغريبة، ومثله كثير عند طائفة من الشعراء في العصر العباسي.

ونظراً لميل مخلّد إلى أسلوب القدماء فقد كثر عنده الغريب، ويبدو لي أن إحساسه بالنقص في المجتمع العربي، جعله يوغل في طلب الجزل من الألفاظ والغريب منها؛ كيما يعوّض به ذلك النقص، وليدلّ على معرفته باللغة وإتقانه إياها.

ومن خلال استعراض شعره يتأكد هذا الحكم، فأرجوزته البائية مثلاً محشوّة بالغريب مثل: (امتشت، جَعْجعان، عُطب، حَوْب) وفي سائر شعره تجد: (شُكاعى، السملق الفياح، يهيهة، نيّها، حتار، شخيت، ترباء) وهلم جرا، وكل هذا يصدّق رأي الجومرد الذي قال عنه: إنه يميل إلى الغريب[١٢٧].

بل إنه – إدلالاً منه بمعرفة اللغة – يستخدم اشتقاقات غير مألوفة، وجموعاً ليست مستعملة، مثل: (يَهدر الحمامَ الحمامُ) ويهدر هنا بمعنى: يجعله يهدر، و (مترِّس) أي واقٍ، و (الريِّس) بمعنى الرئيس و (تطايا) أي انتسب إلى طي، ومن الجموع غير المستعملة (أفراع) جمع (فرْع)، وأكثر النحاة يمنع جمع (فَعْل) – بفتح فسكون – صحيح العين على (أفعال)، «وهذا منع لا يستند إلى أساس سليم، والصواب جواز جمعه قياساً»[١٢٨]، ومن الجموع الغريبة عند مخلّد جمع ضَجَر على (ضُجُور) وللنحاة كلام في جواز جمع المصدر.

أما موسيقا ما بقي من شعر مخلّد فيُلحظ أنها تميل إلى الأبحر الرصينة الهادئة فله في كل من (الطويل والكامل والخفيف) خمس قطع أي أنها تشكّل ما يقارب نصف شعره، وله في البسيط أربع قطع، وهو ملحق بتلك الأبحر من حيث امتداده وهدوءه.

وسائر القطع موزع على تسعة أبحر، مما يدلّ على أنه شاعر مِفَنّ مقتدر على تطويع الأنغام المختلفة لمعانيه .

أما قوافيه فهي إحدى عشرة، أكثرها اللام فالباء، ثم الميم والراء، وكلها قوافٍ ذُلُل تدل كثرتها القياسية عنده على ميله إلى الطبع، وتقرّبه طرائق العرب الذين تكثر هذه الأحرف في قوافيهم، وليس بين الأحرف التي ارتضاها قوافي لشعره حوشي أو مستكره، وكل هذا يعضد الحكم بكونه شاعراً مطبوعاً، ولكنه طبْع لم يعنه نبوغ أو عبقرية، والطبع وحده غير كافٍ.

أما موسيقاه الداخلية فأبرز مظاهرها المقابلة، وهي ضرب يعطي الشعر سلاسة وانطلاقاً، ويسهم في شد السامع ولفت تنبّه، كما في قوله:

فيردها في شدة متقدما
ويظل بين حماتها متردداً[١٢٩]

وقوله :

أحلم الناس، ثم إن سيم ضيماً
جهرَ السيف حقُّه المأثور[١٣٠]

وقوله :

يعشب الصلد إذا سالمه
وإذا حارب روضاً أمحلا[١٣١]

وتأتي الموسيقا الداخلية أحياناً من التقسيم، الذي نجده في قوله:

عينك القاصعاء، أنفك دأما....ء وأذناك نافقاء فسيح[١٣٢]

غير أن غرابة هذه الألفاظ تقلّل من موسيقية البيت، كما أن البحر الخفيف لا يطاوع الشاعر عندما يعمد إلى هذا الضرب.

لقد كان مخلّد شاعراً متوسط الطبقة، طامحاً إلى مجد أدبي لم يقتدر عليه، وكان من حظه العاثر أن يولد ويعيش في بيئة بعيدة عن الأضواء، وأن يكون في زمن كثر فيه الشعراء النوابغ الذين استحوذوا على عناية الخاصة من الإخباريين والأدباء والنقاد، ولعل دراستي هذه - بالإضافة إلى دراسة محمود الجومرد - تكشف جانباً من حياته وأدبه، وتفيه بعض ما يستحق.

ما تيسر من
شعر مخلّد بن بكار الموصلي

اجتهدت قدر المستطاع في جمع ما نسب إلى مخلّد ابن بكار من شعر، فاجتمع لدي مئة وواحد وتسعون بيتاً، وقد رأيت إلحاقها بهذا البحث وجعلها قسماً ثانياً، وجريت في تنسيقها على هذا النحو:

١ - رتبت القصائد والمقطوعات بحسب القوافي .

٢ - أعطيت كل واحدة رقماً، مبيناً بحرها.

٣ - ذكرت المصادر ، بادئاً بذكر المصدر الذي وردت فيه القطعة كما أُثبتت ، أو الذي ترد فيه كاملة أو شبه كاملة .

٤ - أشرت إلى اختلاف النسبة متى وجدت، مجتهداً في ترجيح القائل إذا وجدت إليه سبيلا.

٥ - شرحت الغريب.

٦ - علقت على ما يرد من تصحيف أو تحريف ، أو ما أرى في التعليق عليه ضرورة ، مجتهداً رأيي أو مفيداً من اجتهاد سابق.

٧ - لم أثبت اختلاف الروايات ؛ لعدم الحاجة إليها ، فهي تثقل البحث ، ويمكن القارئ الرجوع إلى المصادر المذكورة.

قافية الهمزة

(١)

قال مخلّد بن بكار يهجو (من مخلع البسيط) :

١ / قد كثُر العيب فيك حتى
أعاذك العيب من هجائي

٢ / لا تحمدنّي، وكن حميداً

ما فيك من كثرة البلاء

* **التخريج** : أخبار أبي تمام : ص ٩٤ .

قافية الباء

(٢)

وقال (من البسيط) :

١ / لا درّ درّ أبي ما كان أجهله

إذ لم يقل: إنني من سادة العرب

٢ / ماذا عليه ؟ وماذا كان ينقصه

لو قال: إني ابن ماء المزن في النسب

٣ / أكان أعجز من قوم ببلدتنا

تسوّروا بعدما شابوا على النسب ؟

* **التخريج** : الحماسة المغربية : ٢/ ١٣٣١ .

(٣)

وقال في الأدعياء (من المنسرح):

١ / هم قعدوا فابتغوا لهم نسباً

يجوز بعد العشاء في العرب

٢ / حتى إذا ما الصباح لاح لهم

ميّز ستّوقهم من الذهب

٣ / والناس قد أصبحوا صيارفة

أعرف شيء ببهرج النسب

* **التخريج** : جمع الجواهر: ص ٣٦٢، والشعر والشعراء: ص ٨٥١، والعقد : ١٣٧/٦ .

* **اختلاف النسبة** : نسبت الأبيات في الشعر والشعراء لدعبل الخزاعي وهي في ديوانه (قسم المختلط من شعره)، وأرجح أنها له؛ لأنه عربي صليبة، ومثل هذا الشعر أليق به، ونسبت في العقد لبشار بن برد، ولم أجدها في ديوانه.

(٤)

وقال في أبي تمام (من الرجز) :

١ / لو امتخطتَ وَبْرة وضبّا

٢ / وامتشّتَ اليربوع نيّاً صلبا

٣ / وامتصّت الحنظل غضّاً رطبا

٤ / ولم تذق ماء نُقاخا عذبا

٥ / بُلْتَ بول جمل قد هبّا

٦ / ولم ترُمْ إلا الجمال كسبا

٧ / ثم قعدت القرفصا منكبا

٨ / تحكي عَرابيّ فلاة قلبا

٩ / إن دخل الإيوان صاح الكربا

١٠/ حتى يحلّ جَعْجَعاناً رحبا

١١/ ولو نكحتَ حِمْيراً وكلبا

١٢/ وقيس عيلان الكرام الغُلبا

١٣/ بالشام حيث زجرها يلبّى

١٤/ لا حيث أضحى النسب المربّى

١٥/ يصبح عبداً، ويروح ربّا

١٦/ ثم اتخذت اللات فينا ربا

١٧/ ولم تُسَمُّ القطن إلا عُطبا

١٨/ وقلت للعير البليد: حَوْبا

١٩/ ما كنتَ إلا نبطياً قُلبا

٢٠/ لو نقر الصخر أفاض غَرْبا

٢١/ حتى يُسيح للنبات شِرْبا

٢٢/ ويُنبت الحبَّ به والقضبا

٢٣/ هيجت مني شاعراً أربّا

٢٤/ يدير في فيه حساماً عضبا

٢٥/ مهنّدا مداحة مِسَبّا

٢٦/ يلحب أعراض اللئام لحبا

* **التخريج** : أخبار أبي تمام : ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

* **الغريب** : امتخط الشيء استنثره من أنفه، وأراد

به المبالغة، يريد أنه ليس بعربي وإن امتخط الوبرة والضب، والوبرة: دويبّة صحراوية على قدر السنّور، وامتشَّتَ وامتصّتَ: أصلهما امتشَشْتَ وامتصصت، ولكنه أدغم ليقيم الوزن . (نقلاً عن محققي أخبار أبي تمام) .

والنقاخ : العذب البارد، وعَرابي أراد به أعرابي وحذف الهمزة للوزن، بدليل قوله بعدُ: إن دخل ... ، وذهب الجومرد إلى أنها (غُرابي) أي شديد السواد، وليس هذا ببعيد، والجعجعان : الأرض الصلبة، ولم أجدها بهذه الصيغة، إنما ورد الجعجع والجعجاع . وحَوْب : كلمة يزجر بها البعير، وبها يسمّى، وقُلب وقَلب: صريح محض، والغَرْب : الراوية، والشِّرب : الحظ من الماء. والقضْب: شجر سهلي ترعاه الإبل، و(أربّا) قد يكون فعلاً أو أفعل تفضيل من قولهم ربّ بالمكان وأربّ : إذا لزمه، وربما كان من قولهم ربّ السحاب المطر إذا جمعه ونمّاه، والعضْب: القاطع، وأراد باللحب شدة أثر الهجاء.

(٥)

وقال مخلّد وقد رأى جارية فقال لها: ما اسمك؟ قالت: ريّا، فقال (من البسيط):

يا حبذا أنت يوم السبت زائرة

لو صحّ إسمك مني فيك مقلوبا

* **التخريج** : التنبيه على حدوث التصحيف: ص١٨٣.

* **تعليق** : لا بد من قطع همزة الوصل في (إسمك) ليصح الوزن .

(٦)

وقال (من مجزوء الكامل):

١ / وترى النجوم المشرقا

.. ت كأنها درر العصابَهْ

٢ / وترى الثريّا وسطها

وكأنهـا زرد الذؤابـة

* **التخريج** : ديوان المعاني: ١/ ٣٣٥

قافية الحاء

(٧)

وقال (من الوافر):

١ / أراكم تنظرون إليّ شزراً

كما نظرت إلى الشيب الملاحُ

٢ / تُحدّون الحِداق إلي مقتاً

كأني في عيونكم السماح

* **التخريج** : التذكرة الحمدونية : ٥/ ١٥٦، والمنصف : ص٣٦٢، والتشبيهات : ص٣٥٠ .

(٨)

وقال (من الخفيف):

١ / أنت عندي صليبة كم تصيح

شعر فخذيك والمفارق شيح

٢ / عينك القاصعاء، أنفك دأما

ء ، وأذناك نافقاء فسيح

٣ / شعر إبطيك أيْهُقان وصدغا

ك شكاعى خلاله...ح (كذا!)

٤ / قد عددناك في الذرا بعد وهم

فاعف واصفح إن الكريم صفوح

* **التخريج** : الأشباه والنظائر: ٢/ ٣١٤ .

* **الغريب** : الصليبة : الخالص النسب، والقاصعاء والنافقاء : مدخلا جحر اليربوع، والدأماء: البحر، والأيهقان: عشب بريّ ، والشُكاعى: شجرة صغيرة ذات شوك .

* **تعليق** : أرجّح أن مخلّداً يهجو أبا تمام في هذه المقطوعة؛ لانتهاجها نهج الهُزء بالنسب إلى العرب على طريقة الأرجوزة البائية (انظر القطعة رقم ٤) والقصيدة الميمية (القطعة رقم ٢٩) .

قافية الدال

(٩)

وقال (من الطويل):

١/ أقـول لنضـو أنفـد السير نيّهـا
ولم يبق منها غـير عظـم مجلّـد

٢/ خِدِي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى
وشاقـك تحنان الحمـام المغـرد

٣ / فمرّت سريعـًا خوف دعوة عاشق
تشـق بي الموماة في كل فدفـد

٤ / فلما ونت في السـير ثنيت دعوتي
فكانت لها سوطاً إلى ضحوة الغد

* التخريج : زهر الآداب: ٢/ ٥٥٤، وأمالي القالي: ٣٠٤/١ وجمع الجواهر: ص ٣٦٤.

* الغـريب : النضـو: المهـزولة والنَّيّ : الشـحم، وخِـدي : أمـر من الوخـد، وهو ضـرب من سـيـر الإبل، الموماة: المفازة، والفدفد: الصحراء الواسعة.

(١٠)

وقال يمدح السيّد بن أنس التليدي (من الكامل):

١ / وإذا ترعرع من تليد ناشئُ
جعل الحسام ضجيعه في المرقد

* التـخـريـج : تاريخ الموصل : ص٣٥٥ ، وفـيـه (ناشئًا) والصواب الرفع ؛ لأن الكلمة فاعل.

(١١)

وقال يرثي السيد التليدي ويذكر شجاعته (من الكامل):

١ / ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
من فارس لقي الكتيبة أوحدا

٢ / فيردها فـي شـدة متقدمـًا
ويظـل بـين حماتهـا متـرددا

٣ / خانته أطراف الرماح فلم يَرِم
من [مَعْرك] الأزدي حتى قُدّدا

٤ / ما كـان سيد قـومه ، لـكنه
قد كان فارسهم فسُمّيْ السيّدا

* التخريج : تاريخ الموصل : ص٣٧٤ .

* الغريب : لم يرم : لم يبرح .

* تعليق : كلمة معرك في البيت الثالث جاءت في الأصل (معزل). وأظنها مصَحّفة عما ارتضيت .

قافية الراء

(١٢)

وقال (من الطويل) :

١/ ألا مالنفسـي لا تقـرّ كأنهـا
تبيت وتغدو مـن هواهـا على الجمـر

٢/ لقد غاض صبري حين فاضت مدامعي
كأن الذي يجري من الجفن من صبري

* التـخـريج : الإبانة عن سرقـات المتنبي: ص٩٣ (مما أثبته المحقق في الحاشية نقلاً عن إحدى النسخ) .

(١٣)

وقال يهجو أبا تمام (من البسيط):

١ / سقت حتّارك يا طائي غادية
من المنيّ وقطعـان مـن الكمـر

٢ / فنوء جُردان أشهى لا أشك به
إلى حتّارك من نوءين مـن مطر

٣ / حر الحُلاق وبرد الشعر أتلفه
فجاءه الموت من حرّ ومن خصر

* التخريج : أخبار أبي تمام : ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

* الغـريب : الحـتـار : حلقة الدبر ، والجـردان : الذكر ، الحُلاق : شدة الشهوة .

* تعليق : أثبت هذا الشعر على ما فيه من قذع وفـحش؛ ليـقـيني أولاً أن هذه البـحـوث لا يقـرؤها إلا

المختصون الذين سبروا أغوار الأدب وعلموا ما يعتوره من سوءات؛ وثانياً لكون هذا الشعر ونحوه يرسم للقارئ شخصية الشاعر بأوجهها المتعددة .

(١٤)

وقال يهجو أبا تمام (من السريع):

١ / انظر إليه وإلى خبثه
كيف تطايا وهو منشور

٢ / ثم على طاق شخيت القوى
نسبته واللؤم مضفور

٣ / ويلك ! من دلاّك في نسبة
قلبك منها الدهر مذعور

٤ / لو ذكرت طاء على فرسخ
أظلم في ناظرك النور

* **التخريج** : أخبار أبي تمام: ص٢٣٦، والعمدة : ١/ ١١١ والشعر والشعراء: ص٨٥١.

* **اختلاف النسبة** : لم يرد البيت الثاني في المصدرين الأخيرين، وهي منسوبة في الشعر والشعراء لدعبل الخزاعي، وأوردها محقق ديوانه محمد يوسف نجم في المختلط من شعره شاكاً في نسبتها إليه.

* **الغريب**: تطايا: يبدو أنه أراد بها: انتسب إلى طيء ومنشور هنا بمعنى مفضوح، والطاق: ضرب من الكساء، وشخيت:ضامر دقيق .

(١٥)

وقال يمدح سليمان بن عمران (من الخفيف):

١ / [أ] يموت الصفا وتحيا الضجور
ويبيد النقا وينمي الفجور؟

٢ / ويهدّ البغض المدبرا
ن يوما ويخرس الموفور(كذا)

٣ / ما انتجعنا أبا الفوارس إلا
أمطرتنا من راحتيه بدور

٤ / نعم قاصي العدو سيف سليما...
ن إذا ما سطا ونعم النصير

٥ / [محرب مترب] حليم جواد
سيد أيِّد عفو غفور

٦ / أحلم الناس ثم إن سيم ضيمًا
جهر السيف حقُّه المأثور

٧ / وليوم الميدان منه ثناءً
لا تعفّيه في الحياة الدهور

٨ / يوم آتت بنو زهير حُماة
ورحى الحرب بالمنايا تدور

٩ / فتلقّاهم ببأس وجأش
ويد سمحة نداها يمور

١٠/ وبرجلين لم يباشرهما إلا ....
مصلّىً ومنبر وسرير

١١/ أو نزال لدى الكماة إذا ما
ضاق للكرّ مسلك مهجور

* **التخريج** : تاريخ الموصل : ص ٨٤ – ٨٥، وص٣٣٣.

* **الغريب** : القاصي هنا قد تكون بمعنى المبعد في الطلب، ومِحْرب: شجاع مجّرب للحروب، ومُتْرب: كثير المال، وهما في الأصل (مجرّب مثرٍّب) والوزن لا يستقيم بهما، والتصحيح من محمود الجومرد. والأيِّد: الشديد القوي، وجهر: كشف، وأراد به الاستلال، وأراد بيوم الميدان الوقعة بين النزارية واليمانية بالموصل، وتعفّيه: تمحوه.

* **تعليق** : زدت في مطلع البيت الأول همزة ليستقيم الوزن، ويبدو أنه أرادها استفهامًا.أما البيت الثاني فجاء ناقصاً محرفًا، وقد اجتهد محمود الجومرد فيه اجتهادات لم أرضها، فلتراجع في كتابه: ص٥٥.

قافية السين

(١٦)

وقال يمدح محمد بن البعيث (من الكامل):

١ / لمحمد بيت بناه بنفسه
أطناب حجرته النجوم الكُنّس

٢ / جعل السبيل إلى العلاء محمد
بيضًا تسيل على ظباها الأنفس

٣ / إيماضها هندية، ونجومها
خزرية منها المنية تفرس

٤/ تلقى الأمان على حياض محمد
ثولاء مخرفة وذئب أطلس

٥ / لا ذي تخاف ولا لذلك جرأة
تهدى الرعية ما استقام الريّس

٦ / قد شذّب الأعداء عن عرصاته
سيف يمجّ دمًا وعزّ أقعس

٧ / وإذا تناضلت الملوك بفخرها
فسهام فخرك كلّهن مقرطس

٨/ وإذا صرفت الطرف عن ذي نخوة
فالموت في قسماته يتفرس

٩ / لا السملق الفيّاح يمنع هاربًا
في البعد منك ولا البناء مترّس

١٠/ طهرت أشعاري بعرضك بعدما
كانت بأعراض اللئام تدنس

* **التخريج** : جمع الجواهر : ص٣٦٣-٣٦٤ ، والحماسة المغربية: ١/٣٨٨-٣٨٩.

* **اختلاف النسبة** : نسبت القطعة للكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ) (ديوانه: ٢١/٣ نقلاً عن محمد رضوان الداية محقق الحماسة المغربية الذي رجّح نسبتها لمخلّد).

وورد البيتان (٤، ٥) في اللسان (خرف) منسوبين للكميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي (ت ١٧٣هـ).

* **الغريب**: الكنّس: النجوم تطلع جارية، وكنوسها أن تغيب في مغاربها والظُبا:جمع ظُبة وهي حد السيف، والثولاء المخرفة:الشاة التي معها ولدها، والأطلس: في لونه غبرة إلى السواد، وشذّب: أبعد، والأقعس:الثابت، ومقرطس:مصيب غرضه، والسملق: الأرض المستوية، والفيّاح : الواسع ، ومترّس : أي واقٍ كالترس.

* **تعليق**: ورد البيت التاسع محرّفًا في جمع الجواهر، وكلمة (أعراض) في عجز العاشر جاءت (أشعار) ولا معنى لها.

قافية الفاء

(١٧)

وقال في زريق بن علي (من البسيط):

١ / لله درّ زريق حين قرطقها
من قبل أن يلج البذّين منصرفا

٢ / أو يغبر الرأس فانصاعت كنانته
أو يدخل البذّ في أضعافها انشقفا

* **التخريج** : تاريخ الموصل : ص ٣٥٧-٣٥٨ .

* **الغريب** : في البيتين غموض مردّه ما لحقهما من تحريف أو تصحيف، ولذا قال محقق تاريخ الموصل: إن قرطقها قد تكون طوّقها وقال الجومرد: لعلها (فرّضها)، والبذّان: بلد، ويغبر: يمضي، وقد تكون يعبر، فتصير كلمة الرأس دالة على موضع، وانصاعت: تفرقت، أما انشقفا فرجّح الجومرد أنها محرفة عن انشغفا أي أولع بالشيء، ولا يمكن الجزم بشيء من ذلك.

قافية الكاف

(١٨)

رفع مخلّد إلى مالك بن طوق وهو والي الموصل رقعة في مظلمة له ، فيها (من الطويل) :

١ / سموت إلى الأصل الذي الحوت أسه
وأفراعه فوق السماك سمائكُ
٢ / وبيت [تبنّاه] كليب ووائل
وعمرو وكلثوم وطوق ومالك
٣ / أولاك بناة البيت لا يستطيعه
يد تمطر الجدوى وأبيض فاتك
٤ / فأصبح في علياء لا شيء فوقها
يطوك إلا الله ثم الملائك
٥ / فمالي – وبيتي في ذَراك – تروعني
مظالم قد مارت عليها الترائك
٦ / درى الله أني لم أنلهنّ ما خلا
شجا [في] مجاري الروح والنس ماسك
٧ / أتاه الدها الكفّار قبل ابتعاده
ومن قبل أن يسودّ منه الحواسك
٨ / فأسرح فيها حاشراً ووراءه
فريق يعفّي كل ما هو تارك
٩ / مسوح إذا تَضْحى تَنَشّر للقريد
وبالليل سَخْل أو فصال بوارك
١٠/ فما رام حتى اشتقه تَبراً به
فأصبح درعي وهو محل دكادك
١١/ وكر عليه في الرجوع فعاثه
كما عاث في أرض أذربيجان بابك
١٢/ وقد كان فيءَ كل وال وإن نأت
منازله عني يدٌ وترائك
١٣/ ولم يك يدعى مثل طوق و مالك
[أذاناً] ليوم وهو أسود حالك
١٤/ سيوف ابن طوق في الوغى جشمية
بلين [و] ماتحت الطعان العواتك
١٥/ إذا استلها المقدار يوم منية
تولى بمن أردت إلى النار مالك
١٦/ إلى مالك يرمي العلا كل مملق
فيثرى إذا ضاقت عليه المسالك

* **التخريج**: تاريخ الموصل: ص٣٩٦-٣٩٧ .

* **الغريب**: الحوت: برج في السماء، وسمائك: عراض ، والترائك في البيت الخامس جمع تريكة وهي المرأة العانس ، و هي في البيت الثاني عشر جمع تريكة وهي بيضة الرأس عند الحرب ، والحواسك : الأحقاد ، أما (الدها الكفّار) فيغلب على الظن أن فيها تحريفًا، وأسرح : خرج في الغداة ، ومسوح : جمع مِسْح وهو لباس من شعر، ولم أجده ملائمًا للسياق، ولعله – إن كان يتكلم عن بناته – يريد (مسوخ) جمع مسخ ، كأنه يصفهنّ بتغير الوجوه لشدة الفقر، والسخْل: أولاد الشاة ، والفصال : النوق الصغيرة ، وتَبر: هالك والبيت غير واضح المعنى، ولعل التحريف لحق شيئاً منه ، والجومرد يرى أن (درعي) قد تكون مصحّفة عن (زرعي) بالنظر إلى كون مخلّد يشكو سوء حاله ، والمحْل: الجدب ، والدكادك : جمع دكدك، وهو الأرض الغليظة التي لا تنبت، وبابَك : هو الخُرّمي الذي خرج على الدولة العباسية، وجُشمية : نسبة إلى جُشم أحد أجداد الممدوح ، والعواتك : جمع عاتكة وهي القوس القديمة.

* **تعليق**: في البيت الثاني (تبنّاه) جاءت في الأصل (بناه) وبها ينكسر الوزن والتعديل من الجومرد، وإضافة (في) في عجز السادس لا بد منها ليستقيم المبنى والمعنى، أما البيت الثاني عشر فقد جاءت كلمة (يد) منصوبة، والضبط المثبت من اقتراح الجومرد ، واقترح أيضًا إثبات كلمة (أذاناً) في الثالث عشر ، وهي في الأصل (إذا) ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى، وكذلك رأى هو وضع الواو في الرابع عشر بدلاً من (إلى) التي أخلّت بالمعنى والوزن أيضاً.

(١٩)

وقال يمدح السيد التليدي (من الكامل):

١ / **أما الجبال فقد رأيت ملوكها**

لا يحلفون إذا خلوا بسواكـا

٢ / **لو طوّفت بالبيت واعتمرت به**

لم تخش خالقها كما تخشاكا

٣ / **قل للذي يبغي عداوة سـيد**

إياك ويلك والـردى إياكـا

* **التخريج** : تاريخ الموصل: ص٣٦٣

قافية اللام

(٢٠)

وقال يهجو ابن عمه كاملاً الموصلي، وقد جلس في المسجد الجامع يُقرئ الشعر(من السريع):

١ / **تأهبوا للـحدث النـازل**

قد قرئ الشعر على كامل

٢ / **وكامل الناقص في عقلـه**

لا يعرف العام من القابـل

٣ / **يَهْيَهةٌ يخلـط ألفـاظـه**

كأنه بعـض بنـي وائـل

٤ / **وإنما المرء ابن عـم لنـا**

ونحن من كُوثى ومن بابـل

٥ / **أذنابنا ترفع قمصـاننـا**

من خلفنا كالخشب الشائل

* **التخريج**: أمالي القالي : ٢/ ١٦٠ ، وانظر : اللآلي : ص ٧٦٧ .

* **الغريب** : اليَهيْهة في الأصل صوت من يدعو الإبل ، وقد نقله فجعله وصفًا للمهجّو ، وكُوثى بلد في سواد العراق، أراد أنهم نبط، والشائل: المرتفع ، وعن البيت الأخير نقل القالي عن ابن دريد أن ذلك خلق في أهل كابل، في عجْب ذنب كل واحد منهم ارتفاع ونشوز، وكذّب الميمني محقق اللآلي وشارحها هذا الخبر ، وقال : «هذا كذب ... وذكر لي بعض العارفين بهم أن في عـجْب ذنب بعضهم فقرة زائدة، فهذا إن صحّ يهوّن بعض الخطب» .

(٢١)

وقال يصف بريّة (من الطويل):

١ / **سماوية تستنزل الريح جودها**

وتظلع فيها الريح في واضح السبْل

* **التخريج** : الرسالة الموضحة : ص ٦٩ .

* **الغريب** : تضلع: تمشي مشياً فيه عَرَج.

(٢٢)

وقال يمدح محمد بن حبيب الطوسي (من الكامل) :

١ / **صدت وما صدت لشيب [عَبالي]**

أخبى بحندسه سراج قذالـي

٢ / **لمّا رأت همـي علـى مرهوبـة**

أسمو بها وأصون وجه سؤالي

* **التخريج** : طبقات الشعراء : ص ٤٤٤ (ضمن المختار من طبقات الشعراء) .

* **الغريب** : العبَال : ورد جبلي يغلظ ويعظم حتى تقطع منه القسِيّ، جاء به على التشبيه، وأخبى: أطفأ ، والحندس: الظلمة ، والقذال: جماع مؤخر الرأس ، والمرهوبة: الناقة.

* **تعليق** : (عبالي) جاءت في الأصل (عيالي) وأظنها مصحفة عما أثبتّ إذ لا معنى لها في هذا السياق.

(٢٣)

وقال (من الخفيف):

١ / **لا عدمناه من همـام كـريم الـ....**

ـعهد غمر الندى حميد الخصال

٢ / **يحسن الكرّ في الكلام وفي الإقـ....**

ـدام يوم الوغى وعند النـوال

* **التخريج** : الإبانة عن سرقات المتنبي: ص١٥٤، والصبح المنبي: ص٢٥٧ .

* **الغريب** : الغمر : الكثير.

(٢٤)

وقال يرثي السيد التليدي (من الطويل):

١ / ذرا مربعًا [حلّتْ] لثُعْل حلائله
وقامت عليه حاسرات ثواكله

٢ / نعى السيد الحامي حمى العز [مُغْرِبٌ]
ولم [يُنْذِر] أو [يجرض] لما هو قائله

٣ / كأن الذي يأتي به ضغث حالم
أناخ به ليل بطيء أوائله

٤ / بأي يد تسطو الليالي ، وسيد
صريع ردى أوصاله ومناصله

٥ / تمرّ به ريح وقطر، كأنها
كإياه(؟) في الدنيا نداه ونائله

٦ / تهدم عرش الأزد في كل بلدة
وخرت أعاليه وهدت أسافله

٧ / رمتها الأعادي بالعيون ولم تكن
تواجهها إلا بلحظ تخايله

٨ / بمن يُصْدر الخطيّ من مهج العدا
رِواءً إذا ما الروع ثارت قساطله

٩ / فيا [ناعييْه] للخليفة إنعيا
فقد ثكلت أرماحه ومناصله

١٠/ ترحل باغي المجد يحدو مطيه
وحامي عمود الدين حطت رواحله

١١/ تغير وجه الأرض من هلك سيد
فأمسى رواق الملك [بَتْرًا]حبائله

١٢/ وما زال مذ زار الثرى شلو سيد
غنياً عن السقيا وفيه أنامله

١٣/ إذا لم يَجُدْ نوءُ السماء فكفه
تروي الثرى حتى تجود خمائله

١٤/ وإن فضاء الأرض من قبر سيد
لمخضرة تُرْباؤه وجنادله

١٥/ ولولا قضاء الله ما انبسطت يد
إلى سيد إلا لعرف تناوله

١٦/ فعيني إلا تبكيا الدم فاجمدا
فكل امرئ بالماء يبكيه ثاكله

١٧/ فما كان في الأحياء حي كسيد
كما ليس في الأموات ميت يعاله

١٨/ تحاماه طير البيد لما رأينه
فلا الطير تَفْريه ولا الطير تاكله

١٩/ فحامت عليه شاكرات لسيفه
نواهضه من فوقه وحوائله

* **التخريج** : تاريخ الموصل : ص٣٧٥-٣٧٦ .

* **الغريب** : الثُّعْل: الثعلب، ورمز به لزريق بن علي أو ابنه أبي الصعاليك وهما اللذان قاتلا السيّد، وقتله أحد رجالهما ، ويَجْرض: يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ، والضغث من الأمر : ما كان مختلطاً لا حقيقة له ، والقساطل: جمع قسطل وهو الغبار، والمناصل : السيوف ، والتُّرباء: التراب، والنواهض: جمع ناهض ، وهو الفرخ في أول طيرانه ، والحوائل: جمع حائل، وهو ما مرّ عليه حول.

* **تعليق**: البيت الأول : جاء في الأصل هكذا: (ذرى مربعًا خَلَتْ ....) وذرا فعل أمر للاثنين، والمعنى والمبنى لا يقومان بكلمة (خلت) ورأى الجومرد أن الفعل أمر للمؤنثة: (ذري) وهو وارد، وذهب إلى أن صواب الصدر : (ذري مربعًا حلّتْ لثُقْل...) ذاهبًا إلى أن حلّت من الحلول ، وأن كلمة ثُقْل يؤتى بها كناية عن الفارس الجواد الثقيل على الأرض ، وأنا أستبعد هذا ، ولعل الصواب ما أثبتّه .

– البيت الثاني : جاءت فيه كلمة (مُغْرِبٌ) منصوبة، واقترح الجومرد أن تثبت مرفوعة لتكون فاعلاً لـ(نعى)،

أما العجز فجاء في الأصل هكذا: (ولم يدر أو يحرص ....) ولم أجد هذين الفعلين ملائمين للسياق ؛ إذ لا معنى للدراية ولا للحرص في هذا المقام، ولعل الصواب - كما أثبتُ -: لم يُذْرِ، أي لم يسكب دمعًا، ولم يجرض وقد سبق شرحها.

- البيت الخامس : (كإياه) فيها نظر، ولعله لحقها تحريف.
- البيت التاسع : (فيا ناعيَيْه) جاءت في الأصل (فيا ناعياه) والصواب النصب؛ لأنه منادى مضاف ، وقوله (للخليفة) صحيح المعنى، غير أني أظنه أراد (للخليقة) بالقاف، ويلاحظ وجوب قطع همزة (إنعيا) لإقامة الوزن.
- البيت الحادي عشر : بُتْرًا جمع أبتر أي منقطع، وجاءت في الأصل (تبرا) وهو تصحيف.

(٢٥)

وقال (من المتقارب):

١ / أريّث عن عرضه العالمين
وأرفع من ذكره الخاملا

٢ / ولو أن في الصبر لي مبغضا
لأمّه حافياً راجلا

٣ / فمالي أقاتل فيه الأنام
فأقطع في حبه الواصلا

٤ / أنا قلت: شهوته خارج
وقد زعموا يشتهي داخلا

٥ / وقد زعموا أنه حامل
ومن ذا رأى ذكرًا حاملا

٦ / وقد قرفوا أمه بالبلاء
فقلت اخسؤوا قلتمُ باطلا

٧ / فقالوا فكيف يكون الصميم
يُنكح ذا عدم وائلا

٨ / ولو لم يكن هاهنا ريبة
لما نكح الناهق الصاهلا

٩ / وقد قيل في أخته ما سمعت
وقد صدّق الفاعل القائلا

١٠/ أرادت وترب لها نزهة
فصادفتا ثملاً جاهلا

١١/ فكان من الأمر ما قد علمت
فتبت إلى أهلها حاملا

* **التخريج** : الأشباه والنظائر: ٢/٣١٣-٣١٤ .

* **الغريب** : أريّث من الريث، وهو الإبطاء ، وقرفوا: اتهموا، والوائل: اللاجئ، يريد أنه ضعيف لا عشيرة له.

* **تعليق** : صدر البيت الثاني غير واضح المعنى ، ولم أجده ملائمًا للسياق، ولعله محرّف.

(٢٦)

وقال مادحًا (من الرمل) :

١ / سخط عبدالله يدني الأجلا
ورضاه يتعدى الأملا

٢ / ملك لو نشرت آلاؤه
وأياديه على الليل انجلى

٣ / حط رحلي في ذراه جوده
وتمشّى في نداه الخيزلى

٤ / حل بالبأس ابن عمرو منزلاً
طال حتى قصرت فيه العلا

٥ / يطلع النجم على صعدته
فإذا واجه نحرًا أفلا

٦ / يعشب الصلد إذا سالمه
وإذا حارب روضًا أمحلا

....

٧ / معشر إن ظمئت أرواحهم
أوردوهنّ مُجاجات الطُّلى

٨ / تحسن الألوان منهم في الوغى
حين تستنكر للرعب الحلى

* **التخريج** : زهر الآداب : ٢/ ٥٥٤– ٥٥٥، وجمع الجواهر: ص٣٦٤، والحماسة المغربية : ١/ ٣٨٧ .

* **الغريب** : الذَّرَى : الكنف والظل، والخَيْزلى : مشية فيها تثاقل وتراجع، والصعدة: القناة أي الرمح، والصلْد: الصلب الأملس، والطُّلى : الأعناق، ومجاجاتهنَّ: دماؤهنَّ.

* **تعليق** : أ – قال محمد رضوان الداية محقق الحماسة المغربية : أظنه يمدح عبد الله بن طاهر، قلت : قول الشاعر في البيت الرابع (ابن عمرو) يمنع هذا الاحتمال؛ لأني لم أجد في نسب ابن طاهر من اسمه عمرو.

ب – أعدت ترتيب الأبيات بما أراه ملائمًا لسياقها؛ نظرًا لاختلاف الترتيب في المصادر المذكورة.

(٢٧)

وقال (من الرمل):

١ / **سائلي عن كنه حالي لا تسلْ**
أنا عن تفسير شأني في شُغُلْ

٢ / **كنت موصولاً بأسباب القلى**
يدّريني البحر عن قوس الملل

٣ / **فجرت تفاحة معضوضة**
بين من أهوى وبيني فوصل

٤ / **لطُفت لي حمرة في جنبها**
حين أومى لوصالي بالخجل

٥ / **جاد لي بعد جماح فبدت**
لي في خديه آثار القبل

٦ / **يا رسولاً أوصل الصب به**
عِش نضير الغصن يا مولى الرسل

* **التخريج** : طبقات الشعراء : ص ٢٩٨ ، وفي المختار من طبقات الشعراء لابن المعتز : ص ٤٤٤ (مما نقله المحقق في آخر الكتاب) : ....

٧ / **لطفت لي حمرة في جنبها**
(بخفيٍّ من تجاويد العملْ)

٨ / **(فاكتست حمرتها وجنته)**
حين أومى لوصالي بالخجل

ويبدو أن الشاعر شطّر بيته الرابع، أو أن التشطير من غيره.

* **الغريب** : يدّريني : يختلني ليصيدني.

قافية الميم

(٢٨)

وقال (من مخلع البسيط) :

١ / **يا منزلاً ضن بالسلام**
سقيت ريًا من الغمام

٢ / **لم يترك القطر منك إلا**
ما ترك الشوق من عظامي

* **التخريج**: يتيمة الدهر: ١/ ١٣٢، و المنصف : ص٢٦١ وفيه روايتان أخريان: ص٣٤٨ و ص٤٣٨ ، الصبح المنبي: ص٢٨١، وشرح ديوان المتنبي لابن عدلان ١/ ٣٥٠ غير منسوب.

(٢٩)

وقال يهجو أبا تمام (من مجزوء الرمل):

١ / **أنت عندي عربي الـ ... أصل ما فيك كلام**

٢ / **عربي، عربي ... أجني ما ترام**

٣ / **شعر فخذيك وساقيـ ... ـك خزامى وثمام**

٤ / **وضلوع الشلو من صد ... رك نبع وبشام**

٥ / **وقذى عينيك صمغ ... ونواصيك ثغام**

٦ / **لو تحركت كذا لانـ ... ـجفلت منك نعام**

٧ / **وظباء مخصبات ... ويرابيع عظام**

٨ / **أنا ما ذنبي إن خا... لفني فيك الأنام**

٩ / **وأتت منك سجايا ... نبطيات لئام**

١٠/ وقفا يحلف أن مـا عرّقت فيـه الكرام

١١/ ثم قالوا جـاسمـي من بني الأنباط خام

١٢/ كذبـوا مـا أنـت إلا عربـي ، ما تضـام

١٣/ بيته ما بين سلمى وحـواليـه سـلام

١٤/ وله مـن إرث آبـا.. ءِ قسيّ وسهـام

١٥/ ونخيـل باسقـات قد دنا منها صـرام

١٦/ أنـت عنـدي عربـي عربـي ، والسـلام

* التخريج: أخبار أبي تمام : ص ٢٣٥- ٢٣٧، والعقد : ٤/ ١٨٨ ، وفيه رواية أخرى: ٦/ ١٣٨ ، والأشباه والنظائر : ٢/ ٣١٣ ، وجمع الجواهر : ص ٣٦٢ - ٣٦٣، والتذكرة الحمدونية : ٨ / ٣٣٣، والحماسة المغربية : ٢/ ١٣٢٩ - ١٣٣٠ .

* اختلاف النسبة : نسبت في العقد : ٦/ ١٣٨ لأحمد بن أبي الحارث الخراز.

* الغريب : أجئيّ : منسوب إلى جبل أجأ، والشلْو: العضو، والنبع : شجر صلب تتخذ منه السهام ونحوها، والبشام: نبت طيب الريح ، والثغام: نبات جبلي أبيض الزهر ، والخام : قد يكون من الخامة وهي الطاقة الغضة من الزرع، أو من الخـام: وهو الجلد الذي لم يدبغ ، يريد أصالته في النبط، والسِّلام بفتح السين وكسرها: شجر، وهي بالكسر فقط الحجارة الصغيرة، وكلاهما وارد.

(٣٠)

وقال يرثي علي بن الحسن وإخوته (من الخفيف):

١ / يا طلول الندى عليك السـلام

كلمـينا وأين منك الكـلام؟

٢ / أخطأ الدهر فيك، لا سلم الدهـ...

ـر وجارت في صرفها الأيام

٣ / واقشعرت لهدمك الأرض شجواً

وبكى للسمـاء دمع سِجـام

٤ / ليت شـعـري أيرجـعـون إليـهـا

قبل يقضي عليّ هذا السقام

٥ / لي أنين عال إذا ما هوى النجـ...

ـم كما يهدر الحمام الحمام

٦ / لو عُشَيْر الذي ألاقي على رك..

ـن شمـام إذا لذاب شمـام

٧ / ليت شـعـري أعندكم مثل حزني

حِلّ ربي إذاً عليّ حـرام

٨ / آل قحطان فاغضبوا غضب اللـ...

ـه عليكم مثل الكرام وحاموا

٩ / أسـد غـيل إذا خلوتم ولكـ...

ـنكمُ سـاعـة الوغى آرام

١٠/ ليس يشفي النفوس لس كعوب

وقـيـان خـرائد ومـدام

١١/ لا ولا مرهفٌ حسـامٌ إذا مـا

لم يعن شفرتيه قلب حسام

* التخريج : تاريخ الموصل : ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

* الغريب : الشجْو: الهم والحزن ، وسِجام : سائل منسكب، ويُهْدِر: يصوّت له فيجيب ، وشَمام: جبل في عالية نجد ، أما كُعوب : فقد تكون جمع كَعاب وهو الجارية التي نهد ثدياها، ولكنها لم ترد في المعاجم والقياس يمنعها، ويمكن أن تكون محرفة عن كعاب ، وإلى هذا ذهب محمود الجومرد .

(٣١)

وقال يهجو أبا تمام (من مجزوء الرمل):

١ / يا نبي الله في الشـعـ...

ـر، ويا عـيـسى بن مـريم

٢ / أنت من أشعر خلق الله... ،

مـا لم تتكلـم

* **التخريج**: أخبار أبي تمام : ص ٢٤١، والكناية والتعريض: ص ٥٣، والعمدة : ١/١١١، ووفيات الأعيان: ٢/ ٢٥، ومعاهد التنصيص: ١/٣٨- ٣٩.

* **اختلاف النسبة**: نسبا في معاهد التنصيص لعبدالصمد بن المعذّل أو أبي العميثل الأعرابي ، والراجح لدي نسبتهما لمخلّد فهما أقرب لروحه ونهجه في الهجاء . وقد ورد البيتان مع آخريْن في ديوان ابن الرومي : ٦/ ٢٤٠٩.

قافية النون

(٣٢)

وقال (من الخفيف):

١ / كل شيء أقوى عليه ولكن
ليس لي بالفـــراق منك يدان

* **التخريج** : الأغاني: ٨/٣٧٣

(٣٣)

وقال يمدح بني تليد (من الوافر) :

١ / تليـد في أناملهـا رمـــاح
تلقّظ في أسنتـــهـــا المنون

٢ / ومن [يبغِ استباحتهم] يزرهم
فـهم أسْد وحِبْتُـون العرين

٣ / فـلا تقرب حـريم بني تلـيد
فـــإن الموت دونهم كـــمين

* **التخريج** : تاريخ الموصل : ص ٤٢٣ .

* **الغريب** : حبتون : جبل في نواحي الموصل ، وكمين : كامن .

* **تعليق**: البيت الثاني : جاء الفعل (يبغي) في الأصل مثبتة ياؤه، والصواب حذفها لأن الفعل مجزوم، وقد نبّه إلى هذا الجومرد، أما (استباحتهم) فهي في الأصل (استباحهم) التعديل من الجومرد.

الهوامش

١ – شعراء عباسيون، غوستاف غرنباوم ، ترجمة محمد يوسف نجم، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٩م .

٢ – شعراء إسلاميون، نوري القيسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

٣ – شعراء أمويون، نوري القيسي، خمسة أقسام نشرت منجمة .

٤ – أربعة شعراء عباسيون ، نوري القيسي وهلال ناجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م .

٥ – أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبدالمعين الملوحي، القسم الأول: دار أسامة، دمشق ١٩٨٤م، القسم الثاني : دار طلاس، دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٦ – شعراء أمويون، نوري القيسي، القسم الثالث ص٤-٥.

٧ – شاعر المنارة مخلد الموصلي، محمود الجومرد ص١٥ ، حاشية ١ .

٨- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٨/٣٧٣، واللآلي للبكري ص٧٦٧.

٩ – أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي ص ٢٣٤ ، حاشية ١ .

١٠- الحماسة المغربية للجراوي ١/٣٨٦ حاشية المحقق.

١١- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي ص٤٧٠ .

١٢- اللآلي ص٧٦٧ .

١٣- شاعر المنارة ص١٧ .

١٤- أمالي القالي ٢ / ١٦٠ .

١٥- معجم البلدان لياقوت ٤/٤٨٧ .

١٦- الحماسة المغربية ٢/١٣٣١.

١٧- أخبار أبي تمام ص٢٣٤ .

١٨- معجم البلدان ٣/ ٣٣، وليست